هوامش على دفتر أحوال مصر

قراءة في أرشيف الصحافة المصرية

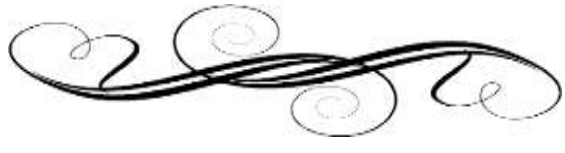

الدكتور

محمد فتحي عبد العال

الطبعة الأولى ٢٠٢٣

ديــوان العـرب للنشــر والتــوزيع

عنــوان الكتاب: هوامش على دفتر أحوال مصر

اسم المؤلف: الدكتورمحمد فتحي عبد العال

رقـم الإيـــــداع: 15424 / 2023

الترقيــم الدولي: 978 – 977 - 998 - 654 - 8

التدقيــق اللغوي: د. هبة ماردين

تـصـميـم الغلاف: منـى المـوجـــي

التنسيق الداخلي: محمد وجـيـــه

رقـــــم الطـبـعـة: الطبعة الأولـى

المديـــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر – بورسعيد

تليفون: 00201211132879 – 00201030502390

بريد الدار: mohamedhamdy217217@gmail.com

هوامش على دفتر أحوال مصر

قراءة في أرشيف الصحافة المصرية

الدكتور

محمد فتحي عبد العال

ديوان العرب للنشر والتوزيع

إهداء

إلى روح والدتي الغالية السيدة ناريمان عبد الفتاح أحمد زردق
وإلى روح أخي العزيز الأستاذ أحمد فتحي عبد العال

وقد شاء الله أن يكون موعد رحيلهما في نفس اليوم من شعبان لعامين متتاليين أهدي هذا الكتاب متمنيا أن يكون صدقة جارية على روحهما .
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له) .

د.محمد فتحي عبد العال

****

مقدمة

يُعَدُ التاريخُ المصريّ تاريخاً ممتداً وحاشداً وثرياً، وقد أخذ قسطاً وافراً من اهتمام الباحثين؛ للتنقيب فيه وإظهاره، والحكم عليه، لكن ما يزال هناك تاريخ معاصر قريب العهد من زماننا لم يقربه أحد بعد بالبحث والتنقيب والدراسة، وهو بحاجة إلى عقول واعية وأقلام تعمل على تجميعه وترتيبه وتبويبه؛ ليغدو محلاً للدراسة والاستفادة منه للأجيال الحالية والقادمة التي تجهل الكثير من خفاياه وعظاته ودروسه.

في هذا الكتاب سوف أخط لك تاريخاً جمَّ أبطاله من العوام والبسطاء والمجهولين من واقع أرشيف الصحافة المصرية الممتد، ستجد جدي وجدَك وقريباً لي وقريباً لك، وستجد هؤلاء الذين مروا بهذه الأرض وزرعوا ولو بذرة صغيرة في أرض قاحلة، ولم يحفظ لهم التاريخ ذكراً أو بعضاً من أثر مع غياب التكريم والحفاوة لجميل صنيعهم.

سنعود بآلة الزمان معاً إلى الماضي وآلتنا هي أرشيف الصحافة المصرية، ذلك الكنز الثمين الذي قلّما يلتفت إليه أحد لنفهم قضايانا وقضايا من رحلوا بشكل أكثر ملامسة لواقع الناس وأحلامهم..

د. محمد فتحي عبد العال

"فوالله الذي لا إلٰه إلا هو إني حين بليتُ بمسجد الأزهر، وشاهدت ما شاهدت من انحراف المصريين، وعزلت نفسي باختياري رجاء حصول نعمة الفراغ والتباعد عن الناس؛ فما تمكنت من ذلك، فصرت أتحيل في التخلي، وأفر من طرف إلى طرف، بحيث لو أمكنني أن أتخذ حجاباً من حديد يحول بيني وبين الخلطاء والقرناء والدعاوي التي لا أستطيع حملها ولا أتحمل ثقلها لفعلتُ، وغاية ما في وسعي أن أتوجه إلى الله سبحانه أن يخرجني من هذه الدار غير مفتون، بمنه وإحسانه".

الشيخ حسن العطار

"ثُمّ اِنقَضَت تِلكَ السُنونُ وَأَهلُها فَكَأَنّها وَكَأَنّهُم أَحلامُ"

شعر أبو تمام

"كونوا ناراً تضيء... لا ناراً تحرق"

الملك فاروق الأول ملك مصر السابق

الفصل الأول

من ملفات حوادث وقضايا الماضي

أولاً: القضايا الجنائية:
ـحوادث القتل:

1- من أطرفها قضية مصرع إسماعيل بيك رضا (**33** سنة -مدير جراج به **80** سيارة وناظر وقف من **300** فدان) والمتهمة فيها زوجته السيدة فاطمة هانم كريمة حسن بيك صبحي بدس السم له في الطعام والشراب (القرع والليمون) في مرضه الأخير، وقد وردت حيثيات القضية في العدد **58** من مجلة الدنيا المصورة في **1** مايو **1930** م، والتي بدأت في **14** يوليو **1929** م، ببلاغ للنائب العمومي يتهم السيدة فاطمة صبحي بأنها وراء وفاة زوجها؛ بدسِّ السُّمِّ له كما أرسل البلاغ نفسه لشركة التأمين التي أمن فيها المجني عليه على حياته، فأمرت النيابة باستخراج الجثة وعرضها على الطبيب الشرعيّ... جاءت شهادة الطبيب الشرعيّ الدكتور محمود ماهر أنّ أعراض التسمّم بالزرنيخ واضحة، لكنه لم يستبعد حدوث هذه الأعراض جراء استخدام مقويات فيها زرنيخ..

الطريف في شهادات الشهود بالقضية، شهادة عبد العاطي الطباخ الذي فجر أثناء المحكمة مفاجأة أن المحقق ضربه وهدده بالسجن وأرغمه أن يقول في التحقيق أنه طهى للفقيد قرعاً في ليلة الوفاة..

جاءت شهادة أم المتوفى ـوتُدعى تفيدة هانم عزتـ بأنّ العلاقة بين الزوجين كانت متأزمة وكانا كثيريّ الشجار، وأنّ الزوجة طلبت الطلاق مراراً، وحول أسباب الخلاف تطرقت شهادة محمد مظهر ابن خالة القتيل، والذي اتضح أنه "من قدّم البلاغ للنيابة دون إمضاء" أنّ المتوفى كان يقضي أوقاتاً كثيرة في جرسونير استأجرها في سافوي شامبرز باسم مظهر ليخفي ذلك عن زوجته فيما جاء في شهادة علي رضا أخي المتوفى تفاصيل أخرى أن الزوجة كانت تشكو باستمرار من إدمان زوجها الراحل للسكر والسهر والاتصال بالنساء وتبذير ماله في المنكرات..

المثير في القضية أن النيابة بنت اتهامها لفاطمة هانم بقتل زوجها على أنها كانت تعمد للسحر لتستميل زوجها "وأنّ التي تعتقد في السّحر تستعمل السُّمَّ، فإنّ السّحرَ والسُّمَّ يسيران معاً!!"..

استند دفاع المتهمة مرقص بيك فهمي إلى أنّ صاحب البلاغ كيف عرف بأمر السّمّ إن لم يكن هو الفاعل أو الشريك! وأنّ البلاغ كتب في منزل علي بيك رضا، وهو من أوعز لمظهر بكتابته لعلمهما أنّ جسد المتوفى يمتلئ بالزرنيخ بحكم مرافقتهما له لوقت طويل معتقداً أنّ السبب في ذلك يعود لاستخدام المتوفى له كدواء من مرض خبيث أخفاه عن طبيبه الخاص، وكان يعالج منه في الجارسونير! كما انتفى في مرافعته أي دوافع للزوجة لقتل زوجها خاصة وأنها ثرية تمتلك مائتي فدان، يزيد إيرادها عن ثلاثة آلاف جنيه، وأنه ليس حقيقياً أنها عزلت زوجها عن زيارات ذويه أثناء مرضه الأخير..

في النهاية صدر الحكم ببراءة المتهمة وسط التهليل والتصفيق..

في الإطار العام للقضية، وبعيداً عن الحكم؛ فإننا نلاحظ في أجواء قضايا الماضي أنها تميل إلى الخطابة والبلاغة بعيداً عن فحص الأدلة ومقارنتها بعناية، فمثلاً ما هو المرض الخبيث الذي ورد بالمرافعة؟! وما هو الدواء أو المقوي المستخدم؟! وهل يتناسب مع الحالة المرضية أم لا؟! وكم الجرعة؟! وما هي نسبة الزرنيخ فيه؟! وهل تم تتبع السجل المرضي للمتوفى في أي مستشفى أو عيادة للوقوف على حالته أو أي شكوى سابقة من أي مرض؟! كلها أسئلة تبقى دون إجابة!

2- في المصور العدد **230** في **8** مارس **1929** وتحريض السيدة منيرة كمال على قتل المطرب المعروف الشيخ حامد مرسي بمسرح الماجستيك، بالاستعانة بأربعة من الصعايدة العاطلين أحدهم كان يحمل عصا غليظة لكن أحد ضباط البوليس تمكن من إنقاذه في اللحظة الحاسمة وقد أفرجت النيابة عن السيدة بكفالة مالية قدرها مئة جنيه..

وحامد مرسي لمن لا يعرفه كان معبود العذارى والمراهقات ومطارداً من الحسناوات أينما حل وعرف عنه كثرة زيجاته ومن أشهرها عقيلة راتب وتم طلاقهما في هدوء وهي من اختارت له زوجته العاشرة.

كان في بدايته حافظاً للقرآن مجوّداً له، وحلمه أن يكون منشداً دينيّاً وأتته فرصة عمره حينما قرأ قصار السور أمام السلطان حسين كامل في ذكرى المولد النبوي الشريف في إيناي البارود فأعجب السلطان بصوته ومنحه جنيهاً ذهبياً يحمل صورته... لكن تيار الفن جرفه وسلك اتجاه الطرب فتعرف على الشيخ سيد درويش في أواخر حياته، وراح يغني ألحانه قبل المسرحيات لتسلية الجمهور وبرع

في ذلك ومنها لحن (زوروني كل سنة مرة) ومن مسرحياته (سرقوا الصندوق يا محمد)..

3-جريدة النيل لصاحبها فرج سليمان فؤاد وتنفيذ الحكم بالإعدام في **29** مارس **1936** على المدعو أحمد محمد عبد المغيث محمود لأنه بتاريخ **20** مايو **1935** بليمان أبي زعبل ضرب عمداً مع سبق الإصرار المذنب فهمي حنا يوسف بقادوم على رأسه لقتله لاختلافهما على سيجارة!

4- مجلة المصور في **28** فبراير **1941** م عن مقتل ضابط كبير هو القائمقام الحاج محمد شكيب بيك في شارع منصور وانتحار قاتله محمد أفندي مصطفى عثمان.

5-في مجلة الجديد العدد **92/51** بتاريخ **13** يناير **1930** م (خطأ طريف في المجلة في كتابة التاريخ بالإنجليزية **1930/1/31**). يحكي مندوب المجلة جون سنكلر عن جناية الدرب الأحمر الفظيعة وتتلخص أنّ الوالد فتحي قد ترك لأولاده عقاراً بقيمة تسعين جنيهاً قسم فيما بينهم وبينما حافظ الأول (محمد) على ماله والتحق بخدمة وزارة الأوقاف براتب **270** قرش شهرياً متكفلاً بوالدته وأخته وأخيه أحمد، ففي المقابل أضاع شقيقه الثالث (مصطفى) ماله في إدمان المخدرات وبدأ يهدد إخوته فطرده أخوه (محمد) وأبلغ عنه البوليس مراراً، وتأججت نيران الكراهية بين الشقيقين إلى حد التشاجر بينهما في وزارة الأوقاف وفي غياب الأم والتي سافرت إلى السويس قام (محمد) واستلّ سكيناً وارتدى قفازاً وتسلل إلى مخدع أخيه (مصطفى) وكان نائماً وطعنه عدة طعنات متتالية على الرغم من توسلات الأخير

ليلقى مصرعه، وبعد أن قتل (محمد) أخاه (مصطفى) عمد القاتل إلى إلقاء السكين وراء صندوق، ثم ارتدى بذلةَ القتيل وحذاءَه وتركه وقضى ليلته في حانة!

ملحوظة: أعتقد أنّ هناك خلطاً في الأسماء بين الجاني والمجني عليه بين صفحات المجلة ولم يتسنَّ لي مراجعتها من مصدر آخر غير هذه المجلة.

6-من القضايا المثيرة اتهام أم تدعى (منيرة صبري) مأمورة سجن النساء لزوجها السابق أحمد خليل صاحب صحيفة "فتى النيل" بخطف وقتل ابنتهما الشابة "علية أحمد خليل"، وأنّ دماءَها تلطخ سلم رقم **2** شارع دولت فاضل بجوار قسم عابدين، ودعم الاتهام زوج شقيقة الفتاة الغائبة _ويعمل محامياً_ بأنّ الأب كان سيئاً مع ابنته، وأنه احتفظ بالقسط الأكبر من مهرها وحينما طلقت الابنة من زوجها وكان الأخير دائناً لأبيها بثلاثة آلاف جنيه، ادعى الأب أنها هبة لابنته، وأن الكمبيالة التي مضى عليها صورية وطالب ابنته بالشهادة لصالحه مقابل ألف جنيه فإذا بها تشهد لصالح طليقها.. كما حاول الأب إرغام ابنته على رفع دعوى نفقة على طليقها فرفضت كذلك، وبدأت مطاردات الأب لابنته ومنها أن أرغمها على الركوب بتاكسي معه أمام محل روبل في شارع عدلي وكسر أحد أصابعها واستولى على سوارها الذهبي، وحاول احتجازها في منزله وهددها بالقتل لكنها لاذت بالفرار... المرة الأخيرة التي ظهرت فيها الفتاة كان بصحبة خادم لها يدعى عبد الحكيم عند ميدان الأوبرا، حيث لمحها والدها فحاولت الفرار منه بركوب تاكسي لكنه تمكن من الركوب معها ومنع الخادم من الركوب معهما.. وفي النهاية ظهرت جثة الفتاة عند ترعة المريوطية على مقربة من شارع الهرم ملفوفة في سجادة صغيرة ادعت الأم أنها سجادة مكتب الأب وحول عنقها حبل غليظ وبجوارها إيشارب من الحرير

رُبِطتْ فيه حقيبة يدها وحذاؤها، وطبقاً لتقرير الطبيب الشرعي فيوم الوفاة هو نفس يوم الاختفاء الأخير وبتفتيش مكتب الأب عثر على آثار دماء، كما تبين اختفاء السجادة من المكتب؛ فصدر الأمر بالقبض على الأب المتهم بحسب ما جاء في مجلة آخر ساعة في العدد **765** بتاريخ **22** يونيو **1949**م.

7- من قضايا القتل المروعة التي استدعت أن تكون القضية رقم (**1**) أمام المحاكم العسكرية في مصر والتي بدأت إرهاصاتها مع حوادث حريق القاهرة في **26** يناير.. تلك القضية التي حدثت في **2** فبراير عام **1952**م وتفاصيلها بحسب مجلة المصور في عددها **1450** في **25** يوليو **1952**م أن المزارع (علي جاد الله) استدرج جاره (دميان مسيحه أفندي) ويعمل وكيل مكتب بريد قرية (صول) مركز الصف بمديرية الجيزة إلى داره لتناول الحشيش معاً، ثمّ تناول آلة حادة وحطم رأس دميان أفندي لأخذ مفتاح خزينة البريد وسرقة **700** جنيه بها، ثمّ وضع جسده في "طشت الغسيل" ورأسه المحطم في "حلة". ولإخفاء معالم جريمته حاول قتل زوجة دميان وتدعى (توفيقه ميخائيل إبراهيم) بشاكوش مشوهاً وجهها، فأطلقت صرخات مدوية فأمسك به الأهالي قبل أن يجهز عليها.. حاول (علي جاد الله) أن ينتقم من العمدة والأهالي الذين قبضوا عليه فادعى على العمدة (عبد الحميد غيث) وبعض الأهالي أنهم من أغروه بقتل دميان وهو ما ثبت عدم صحته في التحقيقات، كما راح يتظاهر بالجنون ويطلب من القاضي أن يبحث له عن ملك الطير!

ـقضايا الإهمال:

1-ما جاء في العدد **55** من مجلة المصور في **30** أكتوبر **1925**م، والفاجعة الأليمة في مولد السيد البدوي بطنطا، ففي مساء يوم الاحتفال حدث الحادث حيث إنّ المولد يقام خارج البلد ويوصل إليه منها كوبري يمر فوق خطوط سكك الحديد يسمى "كوبري سيجر"، وكان المعتاد منع السير فوقه بربع ساعة قبل مرور موكب المدير ومن معه من الوزراء وكبار رجال الدولة وإفساح الطريق لهم..

لكن رجال البوليس تخلوا عن اتباع هذا النظام في هذه السنة وأرادوا إفساح الطريق لموكب المدير وسط جموع الأهالي ومطاردتهم وتصادف في الوقت نفسه وجود سيارتين متقابلتين على الكوبري؛ فزادتا الطين بلة، فكان ما كان من وقوع البعض ودهس الآخرين عليهم فقُتِلَ **54** شخصاً وأُصيبَ كثيرون بإصابات مختلفة ولولا عمل مخرج عبر كسر عمال سكة الحديد الحاجز الخشبي القائم على الحائط عند منتصف الكوبري ليتمكن الجمهور من التسرب على ظهر المحطة وإلا لكانت الكارثة أفدح وهي السقوط على خطوط سكك الحديد.

2- من قضايا إهمال البناء وما أكثرها في مصر حتى يومنا هذا ما جاء في العدد **557** من الطائف المصورة بتاريخ **12** أكتوبر **1925**م، ففي شارع الشرفا في حي السكاكيني سقط فهيم أفندي مليكه من موظفي مصلحة الأملاك وزوجته الحامل وقريب لهما فتى يدعى وديع أفندي صليب من الشرفة العليا بشقة كانوا ينون استئجارها، بمنزل حديث البناء في شارع الشرفا ملك عبد الجواد أفندي حسن، وحدث السقوط من الشرفة الصغيرة التي لم تحتمل ثقلهم مع الدرابزين (تصور

هشاشة المبنى لذا لا تسمع كثيراً لعبارات مباني زمان ومتانة مباني زمان) فتوفيت الزوجة في الحال أما الزوج والغلام فأسلما الرّوح بالمستشفى...

3- من هذه الحوادث ما قد تكشف في تفاصيلها عن قصور جسيم ومنها حادثة غرق الراقصة عزيزة سامي بسيارتها في النيل وبرفقتها مرشد أخرس يدعى سيد هاشم كانت تستعين به في الكازينو لإرشاد الزبائن إلى أماكنهم وخدمتهم. كشف الحادث أنه لا يوجد بالقاهرة سوى غواص واحد عمره أكثر من خمسين عاماً، ولا يعمل سوى بدوام جزئي بين الساعة الثامنة صباحاً والرابعة بعد الظهر، وعلى هذا ظلت السيارة مستقرة في قاع النيل من ليل اليوم السابق وحتى ظهر اليوم التالي حتى بدأت جهود انتشال السيارة والجثامين!! وذلك بحسب مجلة آخر ساعة في عددها **916** في **14** مايو **1952** م.

بحسب مجلة المصور في عددها **1440** في **16** مايو **1952** م، فقد سقطت عزيزة سامي ضحية للسرعة الجنونية وترصد المجلة ملابسات الليلة الأخيرة في حياتها، حيث كانت في حالة غضب من صاحبة مسرح الجلاء التي طالبتها بالرقص بعد انتهاء "نمرتها"؛ إرضاءً لبعض السياح الأجانب وبعض أبناء الأقطار الشقيقة لتلوح الراقصة بعدم العمل مجدداً معها!! بالطبع صاحبة المسرح لم تكن لتبال بهذا التهديد في وقت كان السخاء العربي (بحسب لغة المجلة) على أشده فتروي المجلة أن أحد السعوديين قدم لمصر لعلاج زوجته من مرض عضال، فلما ماتت بعدها بأيام حزن عليها وراح يسلي أحزانه بارتياد الملاهي الليلية، ومنها هذا المسرح وقد بلغ

متوسط ما ينفقه على الشراب في الليلة الواحدة **25** جنيهاً، مع أنه لم يكن يشرب من الخمر إلا قليلاً...

4- حوادث الترام في مصر: في **26** ديسمبر **1921** م نشرت اللطائف المصورة عن واحدة من ضحايا الترمواي، وهي مسألة كانت شبه يومية في مصر، وجاء توصيف المجلة لهذه الحوادث على النحو التالي: "ما تزال مركبات ترمواي العاصمة تحصد أرواح الناس حصداً وشركة الترام ساكنة وحكومتنا لاهية"، وحملت المجلة صورة إحدى الضحايا وهي المرحومة ماري كريمة حبيب أفندي فهمي، بتفتيش حسابات السكة الحديدية التي تدحرجت بين مركبتي الترمواي لأن رجلها خانتها فوقعت.. الطريف أن والد الفقيدة فند الواقعة في تصحيح نشرته اللطائف المصورة يوم **3** يناير **1922**م يجعل من الحادثة مسألة قدرية لا قصور خلفها، فالفقيدة بحسب التصحيح لم تكن واقفة على سلم الترمواي، لعدم وجود محل لها بين مقاعد النساء، ذلك لأن القطار لم يكن مزدحماً بالركاب كما زعمت المجلة، وإن حقيقة الواقعة أنها حدثت حينما كادت الفقيدة تضع قدماً على السلم تريد الركوب والقدم الأخرى على السلم في الوقت نفسه الذي كان الكومساري ينفخ للرحيل، فقام القطار دفعة واحدة في منتهى القوة "فسقطت المسكينة من قوة الجذبة".

وتحت عنوان "فوضى الترمواي في مصر" استعرضت المجلة بعض الأسباب منها تعنت بعض كومسارية الترمواي أو بعض الناس الرافضين دفع المليم "زيادة" معترضين على الستة ملليمات مما يؤدي إلى تأخير القطار كله، وفيه أكثر من مئة راكب وراكبة فلا يقوم القطار إلا بمليم يتكرم به واحد من الركاب والعوض على الله. كما

تتحدث المجلة عن تشجيع شركة الترمواي للأطفال وأولاد الشوارع على الجري والوثوب على مركبات الترمواي في أثناء مسيرها والتسلق على السلم المقفول.. (مصر الماضي والحاضر لا يتغيران).

وميزة صحافة هذا الزمان أنها لم تكن تطرح المشكلات فقط، بل تقرنها أحياناً بالحلول فهي تقترح مثلاً صنع سلم متحرك وإطلاق مجرى كهربائيّ خفيف في أسفله، بحيث يرهب الأطفال فلا يتسلقونه كما تقترح وضع شبك عريض يفتح ويغلق بين المركبات أسوة بأوروبا حتى لا تعرض حياة الناس للموت بسقوطهم بين المركبات أثناء سيرها..

الغريب أن شركة الترام تجاهلت كل الحلول التي يمكن بها حل مشكلات الازدحام و"الشعبطة" والنشل، ولعل أبسطها زيادة عدد عربات الترام مثلاً في أوقات الذروة، ولجأت إلى حل غريب لمنع "الشعبطة" على الترام، وذلك بأن اتفقت مع الحكومة على أن تدفع لها **8000** جنيه مقابل تخصيص عدد من رجال البوليس للقبض على من يحاولون "الشعبطة" دون أجر، وقد نقلت عدسة المصور في عددها رقم **1098** بتاريخ **26** أكتوبر **1945**م صوراً للقبض على عدد من الأفندية والطلاب والتجار بشكل مزرٍ، ممن لا يظهر على هيئتهم عدم القدرة على دفع ثمانية مليمات واقتيادهم للقسم لتحرير محاضر على الرغم من استعدادهم لدفع الغرامة ومضاعفة أيضاً.

وكما أنّ هناك حوادث يقف وراءَها التراخي، فهناك حوادث قدرية ومن أمثلة فواجع الأقدار:

1-من أمثلتها الفاجعة الأليمة عند رأس البر، والتي تحدثت عنها اللطائف المصورة في عددها 548 في 10 أغسطس 1925م، حيث غرقت الباخرة "الباسل" عند اصطدام الباخرة "سعد" بها في 26 يوليو في النيل، ومن أكثر المشاهد مأساوية هو مشهد المرحوم علي أفندي العلايلي، والذي كان مع ولديه الطفلين عطية 4 سنوات ومصطفى 6 سنوات، على ظهر الباخرة الغارقة " الباسل" وقد سبح بطفليه مائتي متر، ولما اقترب من البر ولم يجدهما خارت قواه ولفظ أنفاسه الأخيرة..

2-في العدد 1129 من اللطائف المصورة في 28 سبتمبر 1936م، ففي صباح يوم 18 المنصرم وقعت فاجعة مروعة في النيل أثناء فيضانه حينما اصطدم لنش يقِلُ فريقاً من عمال ورش السكك الحديدية بمركب شراعيّ قرب جزيرة محمد في جهة إمبابة للاحتفال بحفلة وفاء النيل، ووقع ضحية الحادث 36 شاباً ورجلاً وطفلاً، وهي واحدة من الرحلات النيلية التي اعتادت تنظيمها إدارة نقابة عمال العنابر للترفيه عن منتسبيها، وقد استأجروا لنشاً وسفينتين لنقل ما يزيد على مائتي شخص، لكن يشاء القدر أن تكون وجهة بعضهم للموت..

-جرائم خطف وقتل الأطفال والنساء:

1-من أغرب جرائم خطف وقتل الأطفال، ما أوردته مجلة المصور في عددها يوم 17 يوليو 1953م عن سفاح السويس، وهو من عبيد أسرة حمد الله التي تقيم في بلدة القلعة التابعة لمديرية قنا وكان يعيش مع أبيه بعد وفاة والدته التي لم يرَها، وهو من

علّمه ركوب الخيل والجمال وإطلاق الرصاص في الفضاء، وبوفاة الأب أصبح وحيداً لا يملك سوى ثلاثة قروش صاغ وخرقة بالية (جلباب)، فقرر الذهاب إلى القاهرة سيراً على الأقدام لأنه لا يملك ثمن تذكرة القطار، وحمل مصحفاً وكتيّباً قديماً، واشترى دواة وقلماً من البوص، علماً بأنه لا يعرف القراءة ولا الكتابة وراح يطوف القرى مدعياً أنه يعرف أسرار الغيب، فأقبل عليه الناس وانخدعوا به.. حب السَّفاح لصور المجلات العارية، وكانت موضة العصر، وكذلك عرائس المولد جعلته يفتن بمنظر الفتيات الجميلات الفقيرات في الريف، فعرض على إحداهن الزواج فردت عليه: "ما بقاش إلا أنت يا أسود (كان طويلاً ولون بشرته سمراء بحسب الصور) ليه مفيش رجالة!!".. وهنا تولدت عقدة لديه، فكان يعتدي على الأطفال، ثم يقتلهم والعكس أيضاً! الطريف في القضية أن خطاباً وصل من مجهول إلى "أبي المجد العطار" تاجر الخضر والفاكهة والد الضحية الأولى "حسنة أبو المجد" يعلمه بمكان جثة ابنته، والمتهم لا يعرف القراءة والكتابة لذا بدأت الشكوك تساور المباحث أنّ هناك سفاحاً آخر على الرغم من اعتراف المتهم بقتل ضحيته حسنة.. ومما عزز من هذه الشكوك شهادة ضحيتين أفلتتا من القتل لصراخهما، أكدتا عند عرضه عليهما أنه ليس السّفاح الذي أراد الفتك بهما.. الطريف أنّ السّفاح أراد أيضاً أن يغذي هذه الشكوك فعاد عن اعترافاته الأولى بعدم وجود شركاء له، وبدأ يذكر أسماء أشخاص ذوي صلة به، وقد تكون من وحي خياله.

2-ومن الولع بقتل الأطفال إلى الولع بقتل النساء وقضية أحمد أبي الذهب من الوجه القبلي، وبحسب جريدة لسان الحال اللبنانية في **6** فبراير **1923** م، أنه اشتهر بقتل النساء وسلبهن حلاهن فقتل مومساً في الإسكندرية، وامرأة اسمها نعيمة في

شارع كلوت بيك، وقابلة في بولاق، وامرأة من أسيوط، وكان إبان الحرب العالمية الأولى في فرقة العمال المصريين، فقتل خمس نساء وثلاث نساء في الأستانة بالخنق، وامرأتين في مرسيليا، وقد قبض عليه من قبل لكن هرب وفي النهاية نجح البوليس في القبض عليه في محطة القاهرة وهو يحاول ركوب القطار.

ـ قضايا الرقيق الأبيض:

حينما تعمل مندوباً للدعاية بمحافظة أغلب مراكزها من الأرياف؛ فأنت على موعد مع الغرائب والعجائب..كنت أزور أحد المراكز منتظراً أن تفتح المستشفى الحكومية، لمتابعة صنف دوائيّ لي وجلست على مقهى أمام المستشفى، ولم أجد سوى كرسيّ واحد وسط خمسة من القرويين بالرغم أن الوقت كان مازال مبكراً... نسي القرويون الخمسة وجودي وراحوا يتحدثون عن أحد الخليجين الموسرين، ويريد أرملة أو مطلقة مصرية ليتزوجها وترحل معه للخليج، وراح الخمسة يقترحون أسماء الفتيات حتى اتفقوا على إحدى الفتيات المطلقات في منتصف العمر وبيضاء بضة... أخيراً انتبه لي أحدهم وبدأ يتعرف عليّ، ثمّ اقترح عليّ عروساً وأخذ رقم هاتفي، فلم أرد أن أكون قاسياً معه على الرغم من حجم الابتذال الذي رأيته، فأعطيته إياه وذهبت إلى المستشفى حيث فتحت العيادات الخارجية أبوابها، وظل الرجل يطاردني لأيام بالاتصال ليريني عروساً مقابل مبلغ من المال. طبعاً تهربت منه بلطف.

كنت أظن أن هذه الظاهرة حديثة على مجتمعاتنا لأسباب عدة كالفقر والبطالة والعنوسة، لكن مع التجوال في أرشيف الصحافة المصرية قد تُفاجَأ بأمور مدهشة منها:

المثال الأول: هذا الخبر من مجلة آخر ساعة العدد **989** بتاريخ **7** أكتوبر **1952**م بملحق آخر لحظة تحت عنوان: "الملك عبد العزيز يأمر باعتقال تاجر رقيق اختطف **12** سيدة من القاهرة" وخلف الخبر أن القنصلية المصرية في جدة رفعت بشأن سعودي قد تكررت زياراته إلى القاهرة حيث يمضي أسبوعاً واحداً يتزوج خلاله ثلاث أو أربع مصريات، ويصطحب زوجاته بالطائرة إلى جدة وفي إحدى زياراته أحضر معه ابنه محمد البالغ من العمر **16** عاماً وتزوجا سوياً، كلٌّ منهما ثلاث مصريات وعادا سوياً إلى جدة بصحبة الزوجات المصريات.

المثال الثاني: من مجلة الدنيا المصورة العدد **1** في **22** مايو **1929** م، وتقرير عن إطباق البوليس على "عزبة العبيد" بقيادة القائمقام (سالم بيك مباشر)، وكانت العزبة متاخمة للجامعة المصرية في سراي الزعفران (جامعة عين شمس حالياً) وتتألف من ستين داراً تقطنها نساء ساقطات يعملن بالبغاء، وتم اقتياد النساء أمام نقطة البوليس، حيث جلسن القرفصاء وعددهن مائة امرأة سافرات واشتركت كل ثلاثة منهن في ملائة.. الطريف ما جاء في التقرير من أنه أثناء نقلهن بالسيارات راحت جارية عجوز من بينهن تلطم خديها قائلة: "عين صابتنا"، فيما قالت أخرى: "عقبال اللايم".

كانت النساء في هذا المستنقع الآسن طبقات، فنجد سبع نساء هن صاحبات دور البغاء من الوزن الثقيل بيض البشرة ما عدا واحدة جارية سوداء، ترتدي كل منهن ملاءة من الحرير وخلخالاً من الذهب غير المصوغات والملابس الثمينة، وكانت من بينهن شقيقتان إحداهما في الثلاثين والأخرى في الأربعين من العمر، وكانت

إحداهما على علاقة بجاويش مفصول في قسم الوايلي، وشيدت له محلاً تجارياً، وكان بمثابة المستشار القانوني لها بشأن الإجراءات في قضايا البغاء.

في القسم يرصد التقرير حادثة طريفة أخرى، وهي قيام إحداهن بمطالبة رجال البوليس بحماية مصوغاتهن وأثاثهن وما تركنه؛ خشية أن يقع في قبضة متعاطي المخدرات.

ومن السبع الكبار الموسرات الحاكمات في إمبراطورية البغاء إلى المحكومات ومن بينهن أربعة عشر فتاة قاصرات، أرسلن مع رجال البوليس الأوروبي إلى قسم الوايلي ومن التحقيقات اتضح أنهن كنَّ خادمات ألقت بهنّ صاحبة مكتب للتخديم إلى "أحضان النسوة السبعة"، بقصد الخدمة، ثم تحولن إلى ممارسة البغاء كرهاً، وإن امتنعن يُضربن، وكانت تمارس عليهن إجراءات صارمة، فإن خرجت إحداهن لقضاء مصلحة كان يرسل معها من يلازمها كظلها، وإذا جلب لإحداهن فستاناً لا يزيد ثمنه عن خمسين قرشاً، كانت توقع في المقابل على سندات تتراوح قيمتها بين خمسة وعشرة جنيهات لتظل أسيرة الابتزاز، ويتم تهديدها بها من وقت لآخر كما كان يودعن مصاغهن لدى النسوة السبعة الكبار.

ـ قضايا مخلة بالشرف والواجب الوظيفي:

1-من القضايا الطريفة تحت هذا العنوان ما ورد في مجلة المصور في عددها **1362** في **17** نوفمبر **1950** م، وحادثة اختلاس ستين ألف جنيه في **6** أكتوبر الماضي بفرع بنك مصر بدمنهور، وبطلها عبد الحليم المغربي أفندي والذي اختفى تماماً، ثم بعد نشر صوره في الصحف والقبض على زوجته بتهمة الاشتراك في إخفاء المبالغ

المختلسة، ظهر المتهم بعد يوم واحد وسلم نفسه مدعياً أنّ اختفاءَه لثلاثة أيام كان مدعاه الذهاب إلى مكرم عبيد باشا لسؤاله عن موقفه من المبالغ التائهة قانونياً، فلما لم يجده اختار مكاناً هادئاً لكتابة مذكرة لمكرم باشا، ثم العودة له مرة أخرى أفضل من الارتجال.

2-ومنها ما جاء في مجلة المصور العدد **232** في **22** مارس **1929**م وقضية تزوير أوراق بنكنوت من أوراق البنك الأهلي من فئة عشرة جنيهات وبطلاها بحسب المجلة أحمد عبد الغفار أفندي الموظف بمصلحة المساحة في قسم التصوير المعهود إليه في صنع طوابع البريد المصري، وتوفيق فام أفندي تاجر الأحجار الأثرية ومن أهالي قوص، حيث ضبط بوليس مكتب المباحث الجنائية في العاصمة ثمانية أوراق منها مع توفيق أفندي فام.

3-تتسم القضايا المتعلقة بذمم الموظفين العموميين بحساسية شديدة خاصة في مطلع القرن الماضي نظراً للهجوم البريطاني على حركات التمصير في المصالح الحكومية المصرية والتقليل من كفاءة الموظف المصري واصطياد اي خطأ صغر أو كبر لاتهامهم بعدم الكفاءة، ومن القضايا الشهيرة التي تدخل تحت هذا المسمى قضية الدكتور مميش مدير المعمل الكيماوي بنيابة مصر والذي اتهم بالتلاعب في تحاليل المواد المخدرة التي تحال إليه لفحصها، ومن ثم يرفع تقارير بشأنها لرجال النيابة بحسب ما جاء في مجلة المصور في عددها **166** في **16** ديسمبر **1927**م.

طبعاً قضايا المخدرات كانت شديدة الخطورة في ذلك الزمان، ويكفي أن أسوق مثالاً عليها وفي وقت ليس ببعيد عن هذا الحدث، ففي مجلة المصور أيضاً العدد

165 في 9 ديسمبر 1927 تم ضبط 22 كيلو ونصف كيلو حشيش و6 كيلو هيروين و7 كوكايين و3 مورفين، مخبأة بمنزل قهوجي بطنطا، تصور كل هذه الكمية في قضية واحدة! واستعرضت المجلة صورة المضبوطات متراصة على طاولة وبجانبها حضرات مظهر أفندي صدقي نائب مأمور قسم أول بندر طنطا وأحمد أفندي الورداني ضابط المباحث..

ويمكن أن ننعت هذا الزمان بعصر الكوكايين المدمر.. تصور شاعر مصري عثماني معارض بحجم (ولي الدين يكن) الذي عينه السلطان حسين كامل سكرتيراً عربياً في الديوان العالي السلطاني، وقد عرف عنه معارضته للسلطان عبد الحميد الثاني، ووضِعَ عنه كتاب لم يعثر عليه تحت عنوان "مائة برهان وبرهان على ظلم عبد الحميد السلطان" وكتاب "المعلوم والمجهول" هاجم فيه السلطانَ وشيخَ مشايخ الدولة العثمانية أبا الهدى الصيادي، فيما مدح اللورد كرومر!

كما عُرِفَ عنه استخفافه برجال الدين والملتحين منهم فيقول في كتابه "أما رجال الدين وهم عيال الرجال، فينبشون منسوخة الأحاديث وغير الصحيح منها فلا يروون للملوك إلا ما كان حثاً على طاعتهم مثل قولهم: (قلب السلطان بين إصبعي الله يقلبه كيف يشاء)، وقولهم: (الملوك ملهمون)، وقولهم: (اسمعوا وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة).

كل ذلك يفسدون به أخلاق الملوك تقرباً إلى جفانهم واستجداء لحبواتهم".

كما طلب بخلع الحجاب والسفور علانية فيقول:

"أزيلي الحجاب عن الحسن يوماً وقل مللتك يا حاجبه

فلا أنا منك ولا أنت مني فرح ذاهباً إنني ذاهبة".

هذا الرجل وبسبب استهتاره الديني وقع في النهاية فريسة الكوكايين وتوقف عن العمل عام **1919**م، وأقام بحلوان للاستشفاء حتى توفي عام **1921**م.

4- من أغرب قضايا الاختلاس قضية إبراهيم بيك مهدي أمين صندوق الدين العمومي وكان مثالاً للثقة والاحترام طيلة فترة عمله الوظيفي قرابة أربعين عاماً، وحينما بلغ سن التقاعد تم مد فترة خدمته لعام آخر.. حدث أن أراد إبراهيم بيك أن يقوم بإجازته بعد انتقال صندوق الدين إلى الإسكندرية وكان خليفته على عهدة الخزينة والمرشح الأوفر حظاً ليحل محله ويشغل منصبه هو صهره زوج ابنته سيد أفندي فهمي وكيل أمين صندوق الدين.. حينما جرد سيد أفندي خزينة الإسكندرية وجد عجزاً قيمته **361** جنيه، كما وجد عجزاً في رسالة من أكياس الأرز.. كان إبراهيم بيك يعول على أن صهره لن يفضحه ويشي بسره، لكن العكس قد حدث ورفع سيد أفندي الأمر إلى المسيو كابرارا (الواضح أنه مسؤول الصندوق من الأجانب) فأمر بجرد الخزينة في غيبة إبراهيم بيك فوجد **35** كيساً مختوماً مكتوب على كل كيس مائة جنيه عاينها سيد أفندي فوجد إحداها ينقص وزنه عن المائة جنيه.. حاول إبراهيم بيك التنصل من أمر عجز أكياس الأرز وأن يلقي باللائمة على الفراشين، فقال له المسيو كابرارا في نظرات لا تخلو من معنى: "الفراشين ياكلوا الرز فوق والفيران ياكلوا الفضة في الخزانة تحت". بعد جرد محتويات الخزينة بشكل كامل من سندات ونقود وأوراق مالية بلغ مجموع العجز **6611** جنيه، تعهد إبراهيم بيك بردها فأمهله المسيو أربعة أيام لتدبير المبلغ.

من حظ إبراهيم بيك مهدي العاثر أن يتزامن مع مأزقه وفاة حماته وكان متولياً إدارة شؤون وقفها وكيلاً عن زوجته وأختيها، وكان قد أضمر في نفسه أن يسدد العجز من مبالغ إيجار الوقف.. لكن الغريب أنه حينما علمت موكلاته ومن بينهن زوجته بالعجز سحبن التوكيل وعزمن أن يتولين التأجير بأنفسهن..

حاول إبراهيم بيك عبثاً أن يقنع زوجته أن تسدد عنه دينه، لكنها رفضت فوسط ابنته زوجة سيد أفندي لإقناعها لكنها صممت على الرفض.. وجد الرجل أن الأبواب كلها موصدة في وجهة ولا حيلة لديه، فقرر الانتحار في غرفة استأجرها في فندق مودرن الكائن عند ملتقى شارع عماد الدين بشارع الملكة نازلي، حيث قام بشنق نفسه بأن ربط حبلاً بأحد عمدان سرير غرفته بعد "أن كساه بقطعة من القماش حتى لا يؤلمه عند اشتداد ضغطه حول عنقه بطرف الحبل الآخر" وعثر البوليس على زجاجة من الكونياك وأخرى من الكحول ربما استعان بهما في السكر حتى لا تلين عزيمته عن الانتحار، ووجد بجواره مذكرات بخط يده يشير فيها لكونه غير مسؤول عن مبلغ العجز ملقياً المسؤولية على غيره من كبار موظفي البنك ممن "حسن ظنه بهم" كما تضمنت عدة أسماء كال لها كلمات السب والشتم! وذلك بحسب العدد **24** من مجلة الدنيا المصورة في **30** أكتوبر **1929** م.

تتلاقى هذه القصة في خيوطها مع حكاية طريفة عرضتها مجلة الاثنين والدنيا العدد **693** في **22** سبتمبر **1947** م، تحت عنوان "زبال ولكن" لأحد كبار الموظفين عن ذكرياته، حينما كان موظفاً في وزارة الأوقاف وخشي على عهدته البالغة **500** جنيه، فوضعها في حافظته وذهب إلى داره وتصادف أنّ خادماً جديداً جاء للعمل لديه

فغافله وسرق الحافظة بالنقود وخبأها في صندوق "الزبالة " وإذا بزوجة الموظف تسلم "الزبالة" ومن بينها الحافظة إلى "الزبال"..

ساورت الموظف الشكوك حول خادمه الجديد؛ فضغط عليه حتى اعترف، فمضى به لقسم البوليس لتحرير محضر رسمي لكن الخادم أنكر اعترافه السابق..

وبينما الموظف يحاول تدبير المبلغ خشية افتضاح أمره واتهامه بالاختلاس إذا برسول من القسم يطرق بابه بأنّ أحد الزبالين وجد حافظة لها نفس مواصفات حافظته، فتهلل وجهه وذهب إلى القسم لاستلامها ووعد "الزبال" أن يمنحه المكافأة القانونية وهي عشر المبلغ، ولكن على أقساط ومن وقتها وصار الزبال من أعز أصدقائه...

ـ قضايا الانتحال والنصب:

1-في ملحق الغازيتة (1) في **21** أغسطس **1925**م ورد ضمن بيان المجرمين الخطرين المزمع الإفراج عنهم شخص يدعى جورج عصا عيصوه عمره **45** سنة، يقوم بالإيهام أنه أمير من أمراء الأسرة المالكة بمراكش واسمه البرنس مولاي مصطفى بن عثمان، واستولى على ملابس قيمتها تسعة وعشرين جنيهاً من المسيو دليا الترزي وعلى مبلغ ستة وعشرين جنيهاً من صاحب فندق سميراميس الذي نزل به. المجرم ذاته استخدم أسماء جورج كساب عصا عيصو وجورج عصا عيصو حبيب للاستيلاء على بضائع ونقود بالاتصاف بشخصيات كاذبة.

2-ومن القضايا الأخرى ما نشرته الدنيا المصورة في عددها **191** في **16** مارس **1932**م، عن المحتال ذي الشخصيتين (توفيق فهمي حنا) ففي وضح النهار يرتدي

بذلة إفرنجية كاملة الإتقان أخذا وجهته نحو العمارات الفاخرة ومنازل الأغنياء مدعياً أنه يريد إيجار شقة، ثمّ يجمع معلومات عن ساكني العمارة من البواب ومن السكان أيضاً بحجة السؤال عن الإيجار وإمكانية إنقاصه "عما يطلب البواب" وبعدها يبدأ في وضع خططه المحكمة لسرقة الشقق السكنية التي يدرك بحدسه وخبرته أنها تحتوي على "الشيء الجم من المصاغ والمال والتحف الثمينة"، فإذا أقبل الليل تغيرت هيئته إلى رجل ريفي بقفطانه وجلبابه ولبدته، ثم يجمع عصابته ويبدأ الهجوم..

نشاط الهجوم على الشقق لم يكن هو فقط وجهة توفيق الإجرامية، بل كان له قدرة فائقة على النصب فحدث أن ورد لمكتب بريد بولاق إشارة تلغرافية من أحد مكاتب البريد بالقليوبية لصرف حوالة مالية لشخص معين، فإذا بتوفيق يأتي في ملابسه الريفية لاستلام المال وحينما طلب منه ضامناً جلب أحد الكتبة العموميين ليضمنه نظير مبلغ بسيط من المال.. طبعاً اتضح لمكتب بولاق أنه وقع ضحية للنصب حينما طلب الأوراق الخاصة بالمبلغ الذي طلب صرفه تلغرافياً من مكتب القليوبية، وقد أفاد الأخير أنه لم يرسل أي تلغرافات ولم يطلب صرف أي مال..

خطة توفيق في التخفي الدائم من البوليس أطاحت بها "لازمة طريفة" كانت محل إجماع ضحاياه وهي "أنه كثير الثرثرة يمد مقاطع الألفاظ مداً" مما وجه أنظار البوليس إليه وهي أيضاً التي أوقعت به في النهاية، حيث حدث أن ذهب لمنزل في مصر الجديدة وأطال في حديثه فبدا حديثه مرتبكاً وكلامه مختلطاً وارتاب أصحاب المنزل فيه وأنه يريد الشقة لقصد غير محمود فحكوا لضابط البوليس عن طريقة كلامه، فطلب ضابط البوليس أن يحتجزوه إن عاد إليهم مرة أخرى، وتم القبض

عليه في النهاية، واقتيد للحكمدارية وعرض على معاون بريد بولاق والكاتب العمومي الذي ضمنه فأقرا بأنه المحتال الذي أرسل التلغراف المزور واستولى على المبلغ..

3-من قضايا الاحتيال الطريفة ما جاء في مجلة المصور في العدد **100** في **10** سبتمبر **1926** م حول الاحتيال بالتليفون، حيث تصادف تواجد المحتال محمود جلال بالبنك حينما كان سليمان بيك هزاع كبير مهندسي، قسم البلديات بوزارة الداخلية يسلم ساعيه حوالة بمبلغ **55** جنيهاً إلى بنك مصر، فأطرق المحتال السمع وفهم من سياق الحديث قصة الحوالة وخرج وخاطب الساعي بالتليفون موهماً إياه أنه سليمان هزاع، وطلب منه الحضور للمحكمة المختلطة وتسليم المبلغ إلى أفندي على بابها، أعطاه أوصافه مقابل حوالة أخرى بمبلغ **350** جنيه، فذهب الساعي وقد انطلى عليه الأمر.. تم القبض على المحتال بواسطة الحوذي الذي أركبه العربة التي أقلته إلى المحكمة.. وهذا كل ما ورد بالمجلة عن الواقعة. ما يعيب صحافة زمان هو طريقة الصياغة السردية التي لا تسحر لب القارئ وتحلق به في أجواء القضية وتثير فضوله وتجيب على حراك أسئلته فتجد القضايا في أغلبها خاصة لو على شكل خبر سريع تفتقد المعالجة وخبايا ما وراء الخبر.

-حوادث السرقة والنشل:

1-ومنها ما أوردته مجلة الدنيا المصورة في عددها رقم **27** في **30** نوفمبر **1929**م، حول واقعة نشل بطلها محمد أفندي ع. الموظف "بأحدى" (بأحدى بحسب أخطاء

المجلة اللغوية) الوزارات، حيث نشله أحد النشالين بأحد المحال التجارية للملابس بالموسكي ولم يكن بالمحفظة سوى ورقة واحدة من فئة الجنيه، وخطاب مؤثر من أبيه له يرجوه أن يرسل إليه بعض المال ويشتري ثياباً لإخوته الأطفال.

الطريف أنّ النشال رقَّ حينما قرأ الخطاب ففوجئ محمد أفندي ذات صباح بخطاب من البريد موقع باسم "صديقك النشال" ومعه الجنيه المسروق راجياً أن يرسل لأبيه ليفك كربته...

موقف من النشال لا تستغربه إن علمت أن نقابة النشالين تضامنت مع ثورة **1919** وتوقفت عن النشل.

2-لكن حوادث السرقة التي كانت لا تعرف هوادة في هذه الأزمنة كانت الحوادث الخاصة بجنود الاحتلال البريطاني ففي غازيتة **6** أغسطس **1925** م، نجد حادث سرقة أتوموبيل متعلقاً بالجيش البريطاني ماركة فورد لونه أسود به أربعة مقاعد بماكينة نمرة **10272314** وعليه نمرة **5230** بوليس مصر سرق بتاريخ **4** "الجاري" من داخل قشلاقات الجيش البريطاني بالعباسية وحرر من أجله المحضر نمرة **1511** جنح جزئية قسم الوايلي **1925**.

الطريف ما جاء في مواصفات المتهم ومن الواضح أنه مسجل حيث تتحدث الغازيتة أنه يشتبه أن يكون "السارق هو المدعو محمد علي يوسف المراقب بقسم بولاق والهارب من المراقبة الآن وغير معروف محل إقامته ولا صناعته! - قصير القامة - متوسط الجسم - عيونه سليمة - حواجبه مفتوحة- بكل من صدغيه وشم عصفورة".

ثانياً: القضايا الاجتماعية

ـ قضايا الأحوال الشخصية:

1-من أطرفها ما جاء في عدد المصور **1410** في **19** أكتوبر **1951** م، وهو عدد الجهاد المسلح ضد المحتل الإنجليزي بعد إلغاء معاهدة **1936**م في **7** أكتوبر **1951**م، وذلك بشكل منفرد من الجانب المصري على صعيد آخر نجد اليوزباشي محمد عبد الشافي الضابط بسلاح الفرسان الملكي يتقدم بخطاب لإدارة البعثات الخارجية بوزارة المعارف يعارض فيه استمرار زوجته الطبيبة هدى زكي في بعثتها إلى إنجلترا، وكانت جامعة فاروق قد أرسلتها للحصول على دبلوم عالٍ في مرض "الحول" بأحد المستشفيات الرمدية بلندن، كما عارض أيضاً تعيينها بجامعة فاروق بعد العودة ونظراً لأن موافقة الزوج كانت من شروط الابتعاث إلى الخارج في ذلك الحين، وأن الزوجة تقدمت بموافقة أبيها دون زوجها مع أنه صاحب الحق الشرعي، فقد أمر الوزير بإلغاء البعثة بعد موافقة مجلس الجامعة.

لم يفت ذلك في عضد الطبيبة، فأقامت دعوى أمام مجلس الدولة تطالب فيها بإلغاء قرار مجلس الجامعة واستمرارها في البعثة..

الطريف في القضية هو تدخل الدكتور عبد الرازق السنهوري باشا على الخط ومحاولة الصلح بين الزوجين وكان يشغل وقتها منصب رئيس مجلس الدولة وقاضي الأمور المستعجلة إذ لم يبق سوى ثلاثة أشهر، وتستكمل الزوجة فيها دراستها والحقيقة أن الطبيبة أبت إلا وأن تظهر تميزها الدراسي فلم تكتفِ بالحصول على شهادة فخرية فحسب، بل واصلت دراستها حتى تحصل على شهادة علمية كزميلاتها..

سأل السنهوري في الجلسة الزوج عن السبب في معارضته قال: "لأنني رجل شرقي مسلم وتقاليدنا لا تجيز للمرأة أن تغترب عن زوجها مهما دعا الأمر". فيما جاء رد محامي الزوجة الأستاذ حنا باروز بأن المدعية "دكتورة مهذبة ومثقفة والزوج سبق وسافر إلى لندن وتركها وأنها لا تريد منه نفقة".

فجاء رد محامي الزوج: "إنّ الزوجة أنكرت زواجها في بعض الاستمارات الحكومية".

فكان رد محامي الزوجة: إنها ذكرت الحقيقة في استمارة إدارة البعثات".

أظرف ما في القضية أن محامي الحكومة وقف على الحياد ذاكراً المثل الشعبي: "الداخل بين البصلة وقشرتها".

بحسب المجلة فإن رئيس المجلس بذل مجهوداً كبيراً في محاولة إقناع الزوج بالتفاهم وتقدير مستقبل الزوجة العلمي لكنه تمسك بحقوقه.

2- من قضايا تعدد الزوجات: ومنها ما كان غير رشيد ولا يسير على منهاج النبوة والصحابة والتابعين حيث تزوج إمام خليل الدمشاوي أحد أهالي مصر القديمة من اثنتي عشرة امرأة، لكنه لم يحسن معاشرتهن فقاضينه جميعاً، وحصلن على أحكام متفاوتة بالنفقة من المحكمة الشرعية، ثمّ تزوج بأربعة أخريات ومن بعدهن خامسة، وأعاد الكرة مرة أخرى، فطلق البعض وهجر البعض، ومع كثرة الأحكام الصادرة بحقه وعجزه عن الوفاء بها على الرغم من كونه يمتلك عمارات كثيرة واصطبلات بها عدد وافر من الخيل الجيد وعربات النقل ولا يقل إيراده عن خمسين جنيهاً، لكن كثرة الزيجات أربكت مركزه المالي، مما انعكس على هيئته فكان يلبس لاسة من القماش الحقير وجلباباً رخيصاً وبلغة مرصعة بالرقع.

هرب "إمام" من منطقة مصر القديمة وقرر الانتحار بأن ألقى نفسه في النيل بالقرب من قسم مصر القديمة، ولكن كما يقولون: "الروح حلوة" فراح يستغيث قائلاً: "حوشوني يا عالم يا هو.. خسارة واحد زيي يموت"، فأسرع إليه رجل البوليس حجازي كريم ومحمد إبراهيم المراكبي فألقيا إليه مدرة خشبية في إحدى المراكب على الشاطئ، فأمسك بها إلى أن وصل الشاطئ بسلام.

ـ قضايا الخيانة الزوجية

1-أعتقد أن قضايا الخيانة الزوجية قديماً وحديثاً تتواضع أمام ما فعلته امرأة من شطانوف فبحسب مجلة المصور في نوفمبر **1951** م أن سعاد صالح القريطي زوجة محمد هنداوي المزارع ببلدة شعشاع كانت سيئة السلوك وتتناثر حولها الشائعات، وحينما حاول زوجها مراقبتها همت هي بالتخلص منه بدس السم له مرة لكنه نجا، ثم أشعلت النار في البيت بينما كان نائماً فنجا أيضاً، فأسرع الزوج لعمدة القرية مستنجداً فيا روح ما بعدك روح كما يقولون، وطلقها طلقة لا رجعة فيها وأبدى استعداده للتنازل عن طفليه إن تمسكت بهما..

هجرت سعاد وشقيقها محمد وكان يعمل سابقاً مع الزوج وولداها القرية، واستقروا في شطانوف التي تجاورها فكان الأخ يعمل بالزراعة والأخت بحياكة الملابس ولأن الطبع غلاب فعادت سعاد سيرتها الأولى ونما إلى أخيها محمد سوء سلوكها فتوعدها بسوء المصير.. مرت أيام واشتم جيران سعاد رائحة كريهة من كوخها، فكانت تتعلل بأن أرانبها نفقت تارة أو أن حداة اختطفت أوزة وألقت بجثتها على سطح الكوخ، لكن الجيران ارتابوا وأبلغوا العمدة والذي أبلغ بدوره ضابط مباحث مركز أشمون

وبالحفر في الغرفة التي تنام فيها سعاد عثر على جثمان شقيقها محمد حيث سولت لها نفسها قتل أخيها بتحطيم رأسه بفأس أو بلطة، وأخفت ثيابه الممتلئة بالدماء في الفرن.. الطريف في هذه القضية البشعة هو الطفل فتحي (6 سنوات) والذي شهد أن أمه قتلت خاله.

2- في العدد 13 من مجلة الدنيا المصورة في 14 أغسطس 1929م حمل لنا قضية خيانة زوجية طريفة من ذكريات الأستاذ محمد لطفي جمعة بيك المحامي انتدب لها من قبل المحكمة عام 1915م تقريباً، وتعود القصة برمتها إلى عام 1895م وبطلها خباز يوناني يدعى "انسطاسي" كان يسكن مع زوجته وابنته إحدى قرى الصعيد، وكان "انسطاسي" يلعب القمار إلى ساعة متأخرة من الليل مع أبناء جلدته بمنزل واحد من هذه الصحبة كل يوم. كان من بين هذه الصحبة شاب يوناني جميل الطلعة وكان دائم مغادرة الجمع (المجلس) عند الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، ولا يعود إلا عند الساعة الثانية، ومع تكرار الأمر بدأ انسطاسي يرتاب ويشعر أن شيئاً بين هذا الشاب وزوجته.. وفي إحدى الليالي وعقب مغادرة الشاب عاد انسطاسي إلى منزله فوجد زوجته في أحضان هذا الشاب، فتناول سكيناً كبيراً وقطعه إرباً حتى انفصلت رقبته عن جسده، ثمّ فرَّ هارباً متوعداً زوجته الخائنة بالقتل إن أفشت سر الواقعة لكن الزوجة أخبرت البوليس عن الواقعة كما أراد "هواها أن تصورها".
انقطع أمر انسطاسي نهائياً واختفى عن الأنظار تماماً وحكمت محكمة الجنايات عليه غيابياً بالأشغال الشاقة المؤبدة.. طبقاً لأحكام المذهب الأرثوذكسي في اعتبار غيبة الزوج غيبة منقطعة أصبح من حق هذه الزوجة الخائنة أن تتزوج وهو ما حدث بالفعل، حيث رحلت عن الصعيد إلى المنصورة، وهناك تزوجت ورزقت

بأولاد.. تشاء الأقدار وعلى غير موعد أن ترى الزوجة الخائنة زوجها الهارب منذ أمد "انسطاسي" وقد قسى عليه الزمان مرتدياً ثياباً بالية وقد أرخى لحيته وشحب وجهه فعرفها وراح يستجديها ويستعطفها "بصوت متهدج ضعيف" أن يرى ابنته. أظهرت الزوجة عطفها على حاله لكنها في الحقيقة أضمرت أمراً آخر إذ واعدته أن يلتقيها هي وابنته خلف الكنيسة الأرثوذكسية في المنصورة، وفي الموعد انقض عليه البوليس وهكذا دفع الرجل من عمره ما بين السجن والتشريد خمسة وثلاثين عاماً بسبب خيانة زوجته له.

-قضايا الاختفاء الغامض:

ومنها قضية اختفاء الآنسة (صوفي بطرس ميخائيل) الطالبة بكلية طب العباسية والتي شغلت الرأي العام وقامت مجلة المصور في عددها **1379** بتاريخ **16** مارس **1951** م بمحاولة استكشاف ملابسات الاختفاء عبر إجراء حوارات مع شهود الواقعة.. فنقلت المجلة عن شقيقها الأستاذ جورج بطرس ميخائيل صاحب صيدلية في إمبابة أن أحد زملائها من طلبة الكلية اعتاد مغازلتها وتوجيه ألفاظ نابية لها، وأنها سعت للتحويل لكلية طب القصر العيني، لكن رفض طلبها وبعد يومين من ذلك خرجت ولم تعد وحينما التقت المجلة مع الطالب سبب الواقعة علق أنه شديد الأسف لما حدث، وأن كلماته لا تعدو مجرد تحية زميل لزميلة حينما يصادفها..

كما تحرت المجلة بعض سيناريوهات مصير الفتاة فأجرت مقابلة مع الآنسة (خديجة) الطالبة بكلية الطب والتي قالت: إنها سمعت من إحدى طالبات كلية

الزراعة أن صوفي التحقت بأحد الأديرة، وحينما سئلت عن اسم الطالبة صاحبة هذه الرواية رفضت قطعياً الإدلاء باسمها وأن الأمر لا يفيد التحقيق ويتسبب في إحراجها!! كما نقلت المجلة رواية فراش بوفيه الطالبات من أنه رأى جثمان فتاة في مثل قوام صوفي منتحرة في النيل.

الطريف في القضية أن شقيق الفتاة طرق كل الأبواب بما فيها العرافين والمشتغلين بالتنويم المغناطيسي فلم يظفر منهم "بغير ألفاظ مبهمة".

-قضايا الفقر:

من القضايا شديدة التأصل في مصر والمرتبطة بالفقر هي قضية الباعة الجائلين، وهي مشكلة أزلية بلا حل تضع البائع بين خيارين إما الجريمة أو البيع بالمخالفة للقانون أو بالجمع بين الاثنين معاً، ومن الباعة الجائلين أيضاً من يضيق به الحال من كثرة الديون وملاحقات الشرطة مما يدفعه للانتحار ومن هذه المآسي ما تحدثت عنه مجلة المصور في عددها **1344** في **14** يوليو **1950** م عن محاولة انتحار فتى "سليم الجسم قوي البنية" خلع ملابسه وألقى بنفسه عارياً على قضبان الترام فمنعه المارة وحملوه من فوق القضبان، فتحدث باكياً عن فراره للموت من جند ولوائح البوليس وتضييقهم عليه وعلى غيره من الباعة الجائلين.

وترصد المجلة حياة الباعة الجائلين وقسوتها وأنهم يحصلون على سلعهم من كبار التجار بالآجل، ورأس مال الواحد منهم بين عشرين قرشاً وخمسة جنيهات، ونادراً من يصل منهم إلى العشرة جنيهات! ويبلغ صافي الربح بين خمسة قروش وخمسين

قرشاً، حسب سن البائع وقدراته ومهاراته ويعمل الباعة المتجولون **14** ساعة يومياً بدون عطلات أُسبوعية...

وتتوزع مشاكل الباعة الجائلين بحسب المجلة بين البوليس ومفتشي الصحة وموظفي مصلحة التنظيم، وجميعهم يجرون للباعة المساكين المخالفات فلا يبدون سوى الإذعان ويسلمون رؤوس أموالهم مقابل إخلاء السبيل، وتكشف المجلة عن نقابة للباعة المتجولين (لم يتم تسجيلها في وزارة الشؤون)، ويرأسها رجلٌ في الستين من عمره، وقد بدأت النقابة نشاطها منذ عام **1942**م بخطى وتيدة، ثم تعثرت فترة، ومن ثم عادت عام **1950**م. وتعد الحقبة الملكية فترة السعي لإنشاء النقابات المهنية بصورة كبيرة وملفتة لأغلب القطاعات والطوائف..

حلق ببصرك عزيزي القارئ إنها صور لا تختلف كثيراً عن مشاهد حاضرنا في الوطن العربي وأقربها حالة التونسي محمد البوعزيزي، والذي أشعل النار في نفسه عام **2010**م، أمام مقر ولاية سيدي بوزيد؛ احتجاجاً على مصادرة السلطات البلدية في مدينة سيدي بوزيد لعربة كان يبيع عليها الخضار والفواكه، وكان أحد بواكير الثورة التونسية.

-قضايا المصريين بالخارج:

في وصية شهيرة قالها الملك فؤاد مؤسس النهضة التعليمية الفريدة في تاريخ مصر للطلاب المصريين الدارسين في ألمانيا أثناء زيارته لها عام **1929** م: "يجب علينا أن نكون سفراء صالحين لمصر في كل بلد ننزله لكي يتبوأ الوطن المقام الذي يستحقه في

أعين الأجانب.. هذا واجب على كل مصري فيجب عليه أن يؤديه بعناية واهتمام وأمانة".

وحينما أهدى الطلبة تحفة نفيسة اكتتبوا لشرائها لولي عهده فاروق شكرهم، ثم أردف قائلاً: "إني أروم أن تجدوا في عملكم وتواصلوا جهادكم لكي تتشرف مصر بكم، وتكسب سمعة طيبة بعملكم. ليجتهد كل منكم أن يغنم أعظم ما يستطيع غنمه من الفائدة في أثناء إقامته هنا لكي يجني الوطن بعد ذلك هذه الفائدة" وذلك بحسب ما جاء في العدد **365** من مجلة المصور في **9** أكتوبر **1931** م.

وبحسب ما جاء في المجلة فقد كان فؤاد أول المراعين لهذه التقاليد ولو ظاهرياً، فاعتذر عن كأس الفاكهة المثلّجة المقدم له في مأدبة برلين؛ لأنه اشتمّ رائحة الشمبانيا وهي من المشروبات الروحية التي لا يقربها.. وحينما علم أنّ موظفاً مصرياً سيمثل مصر في أحد المؤتمرات الدولية بالخارج استدعاه فور عودته واطلع منه على محور الجلسات، فلقد كان لدى فؤاد حساسية حقة فيما يتعلق بالتقاليد ومراعاة سمعة البلاد..

غيرة الملك تسربت أيضاً للصحافة الوطنية في عهده والتي أخذت المنحى نفسه في مراقبة مراعاة التقاليد وصورة المملكة المصرية في الخارج، فمثلاً صحيفة التيمس المصري تعليقاً على صورة نُشرت في **27** إبريل **1935** م لحضرة صاحب السعادة والسيادة "مراد سيد أحمد باشا " وزير مصر المفوض في بلجيكا، وهو يزور الأعمال الجارية في بناء القسم المصري بمعرض بروكسل الدولي مرتدياً "برنيطة" بدلاً من "الطربوش" رمز القومية المصرية، مما اعتبرته الصحيفة خروجاً على التقاليد فكتبت متهكمة: "أتوسل للقارئ بكل عزيز لديه أن يتبين الفحل الواقف الثالث على

اليسار، وليقل لي بعد ذلك هل يتعرف فيه فراناً رومياً أو وزيراً مصرياً؟! "ثم تمضي الصحيفة في تعريف مهمة الرجل الدبلوماسية بمزيد من التهكم والحدة "إنه أحد الذين أوفدتهم حكومتنا المصرية الجليلة لا لعمل لا سمح الله، ولكن ليكونوا في بلاد الإفرنج إعلاناً أو "ركلاماً" (كلمة لاتينية تعني في أكثر معانيها تهذباً دعاية فموية أو نداء) يقول لعباد الله هناك: إنّ في أفريقيا مملكة متمدنة اسمها مصر لا يأكل أهلها الجراد وأن هذا هو أحد أفرادها".

وكان الملك فؤاد حريصاً على التكريم العلني للنابهين من أبناء أمته، ففي مجلة كل شيء والعالم في عددها **181** في **28** أبريل **1929**م تبرز المجلة مقابلة الملك للأستاذ محمد أفندي يوسف سليم مدرس الألبان بمدرسة الزراعة العليا في **21** إبريل، وذلك لابتكاره نوع من الجبن يضارع الأصناف الأوروبية جودة ومذاقاً، وقد سبق أن انتدبته الحكومة المصرية ليمثلها في مؤتمر الألبان في لندن قبلها بعام.. إنه الاستثمار في التعليم أيها السادة!

وعلى خطى فؤاد سار فاروق من بعده فكان يحتفي بخريجي الجامعات ففي مجلة المصور العدد **985** في **27** أغسطس **1943** م، نجد دعوة الملك لخريجي الجامعات والمعاهد لتناول الشاي في ضيافته في حديقة القصر الملكي ومن هؤلاء الخريجين في ذلك العام بحسب المجلة: "عزيزة ياقوت وسيدات محمود (خريجي معهد التربية العالي) -ثريا أحمد النهري كلية الطب)" وحينما تخلف شفيق حسين شكري أفندي عن الحفلة لوفاته قام الملك بتكريم أسرته، وقد دأبت الصحف على نشر أسماء الفائقين وما ينتظرهم من مستقبل مشرق ففي مجلة المصور في **19** مايو **1944** م

وتحت عنوان "الشباب يحتل أخطر مناصب الدولة"، وضعت المجلة أسماء ثمانية تتراوح أعمارهم بين **28-35** عاماً، احتلوا درجات بين الأولى والثانية ومدير عام في وظائف كمدير عام مستخدمي الحكومة ومراقب عام بلدية الإسكندرية ومدير الميزانية ومدير إدارة الشركات ومن مجلة المصور أيضاً في عددها **1079** في **15** يونيو **1945**م، واحتفائها بالطلبة الحاصلين على درجة البكالوريوس في التربية من الجامعة الأمريكية ومنهم: "مرتضى عبد الغفار - سسليان -نجيبة إسماعيل - روز مريمز- فاطمة الحاروني - فرتنوش- إحسان الكيلاني -ماري باسيلي" وقد آتتْ هذه السياسة أُكُلها في الترويج للنهضة التعليمية في مصر، وأن يكون لها صدى خارجي يليق بسمعة مصر فمثلاً نجد جلالة إمبراطور الحبشة ينعم على الأستاذ رياض أفندي شحاتة مصور جلالة الملك بنيشان نجمة أثيوبيا، وقام صاحب السمو الأمير أصفاو وصن بتسليم النيشان إلى الأستاذ شحاتة بحسب ما جاء في عدد مجلة المصور **385** بتاريخ **26** فبراير **1932** م. وفي صحيفة الاثنين والدنيا العدد **631** في **15** يوليو **1946**م، نقل مندوبها في أمريكا أن جريدة (البلتيمور) في ريف أمريكا قد "تزينت بصورة الفاروق العظيم وهو يكرم العلم في شخص الطلبة المصريين المتفوقين ويتناول معهم الشاي"..

ولكن هل راعى هذا الجيل الذي عمل على تهذيبه وتعليمه الملك فؤاد ومن خرج من أرحامهم هذه السمعة؟! بالطبع نعم، والكثير منهم صاروا نجوماً تحدثنا عنهم في كتب سابقة، ولكن يا ترى هل كانت الصورة مثالية تماماً ولم يحد أحد عن هذا

الخط؟! بالتأكيد هناك في هذه الأزمنة من نال من سمعة مصر وهذا مبحثنا اليوم في هذه الحلقة.

في عدد طريف من مجلة المصور يحمل رقم **1313** في **9** ديسمبر **1949** م يباهي بأن جلالة الملك يصطاد **344** بطة، وسفير الهند يصطاد بطة واحدة، كان العدد يحمل في طياته قصة مثيرة بطلها محتال عالمي يدعى إبراهيم فوزي أو بنيامين بلدوين، أو أندريه كابلان أو ريمون جروبيه.. كان حلمه أن يكون طبيباً، لكن دخل والده البسيط ككاتب حسابات في متجر بالقاهرة جعله يلحقه بمدرسة صناعية إيطالية وهناك تعلم اللغة الإيطالية وبعدها التحق بالعمل بورشة كبيرة للسيارات تابعة لتوكيل لإحدى الشركات الفرنسية ومع كفاءته ومهارته رشحته الشركة للتدريب على هندسة السيارات في مصانعها بفرنسا.

وهناك تعاون مع إحدى العصابات لنسف مصانع الشركة مقابلَ مبلغٍ كبيرٍ من المال، والزواج من "غادة حسناء".. عاش الزوجان هاربين فترة في باريس، وقد انتحل إبراهيم اسم "أندريه كابلان" ومع إحساسه بأنّ هناك من يتتبعه فرّ وزوجته إلى نيوزيلندا بدون جواز سفر أو أوراق شخصية منتحلين اسميّ مستر ومسز بنيامين بلدوين، وعاد المحتال لعمله كمهندس في ورشة لإصلاح السيارات وظن أن الأمور هادئة، لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن؛ فقد خانته زوجته مع جار لهما فقتلها خفية وأخفى ملامح جريمته مدعياً أنه طلقها، وأنها رحلت إلى إنجلترا على إثر خلاف بينهما، ثم سرعان ما ألقى بحبال غرامه على فتاة نيوزيلندية تدعى هيلين يملك أبوها مصنعاً صغيراً؛ فتزوجها وأصبح المتصرف في إدارة مصنع حميه!

وما أن اندلعت الحرب العالمية الثانية حتى ألحق بالجيش النيوزيلندي برتبة جندي عادي وحملته يد القدر إلى مصر مرة أخرى تحت ستار فرد من أفراد القوات النيوزيلندية خلال الحرب ثم قبض عليه البوليس الفرنسي في باريس في النهاية..

هذه الحادثة وغيرها تدفعنا لإعادة تقييم النظرية القائلة: إنّ المصريين في الخارج كانوا في الماضي خير مرآة وعنوان لتمثيل بلادهم بالمقارنة بزماننا، فمثلاً في مجلة مسامرات الجيب العدد **119** في **19** أكتوبر **1947** م وتحت عنوان "أنقذوا سمعة مصر"، تحدثت المجلة عن فضائح المدرسين المنتدبين من وزارة المعارف للتدريس بالأقطار العربية وخصوصاً العراق، فمدرستان مصريتان اِلتحقتا بمدرسة ابتدائية للبنات بالعراق، ثم اختفتا في ظروف غامضة، حيث تبين أنّ الفتاتين على رأس عصابة رقيق كبيرة تحتمي ببعض الشخصيات الكبيرة ومن العراق أيضاً، وواقعة أخرى بطلها صهر أحد أصحاب المعالي وزراء المعارف السابقين قد ألحق للعمل بإحدى مدارس التعليم الزراعي بالعراق، ومنح بيتاً وخادماً لسكنه هو والسيدة حرمه، لكن الرجل حرصاً على توفير ثمن الصابون وأجر الغسيل، قرر أن يغسل ملابسه وملابس حرمه المصون في مغسلة المدرسة، وهكذا صارت ملابس المدرس وقمصان زوجته الحريرية وسراويلها وحوامل الثدي على مرأى ومشهد من عمال مغسلة المدرسة فضلاً عن الطلبة.

في مجلة مسامرات الجيب العدد **218** في **11** سبتمبر **1949** م، حملت واقعتين تمسان سمعة المصريين في الخارج، الأولى تلقي المجلة اللوم من خلالها على وزارة الخارجية في اختيار السياسيين والدبلوماسيين للسفارات من المدللين أرباب الواسطة والشفاعات، وفي مقدمة من وقع الاختيار عليهم هذا العام (**1949**) ليرفع

رأس مصر عالياً نجل سياسي كبير كان طالباً في إحدى الجامعات في الخارج، وهرب بحلي زوجته وبدده عن آخره، وظل البوليس ورجال مكتب البعثات يبحثون عنه..
أما الواقعة الثانية في المجلة، فتتحدث عن سفر إحدى مفتشات الموسيقى بوزارة المعارف لتشارك باسم مصر فاستولى عليها الهوى وتزوجت من إنجليزي كان من ضمن سلاح الطيران البريطاني في مصر وقت الحرب وهي الزيجة الرابعة لها في "حياتها المديدة البهيجة" بحسب تعبير المجلة!

في ملحق آخر لحظة العدد رقم **333** في **25** فبراير **1953**م، اشتمل على خبر مؤسف وهو أن الجامعة العربية دفعت عشرة آلاف جنيه لإحدى الشخصيات المصرية، وكانت تشغل منصباً كبيراً في وزارة المواصلات لعمل مشروع عمراني ضخم، وخرج الشيك باسم هذه الشخصية، لكن بعد زوال الصفة الرسمية لهذه الشخصية بعد "حركة التطهير الأخيرة" وفشل هذه الشخصية أن تترأس لجنة المواصلات التابعة للجامعة العربية طالبته الجامعة برد المبلغ فدفع خمسة آلاف جنيه، وطلب تقسيط الباقي لتصرفه فيه (يتصرف في أموال ليست له) لكن الدوائر المختصة في الجامعة العربية رفضت الفكرة وبقي الأمر معلقاً..

هذه المشاهد على غرابتها والتي لا تتناسب مع مظهرية شعب طاعن بجذوره في الحضارة الإنسانية لا ينبغي أن تهمل وأن ينظر لها بعين الإفراد والقدم خاصة وأن لها من واقعنا المعاصر مئات الأمثلة مما يفوق هذه الأشكال فداحة.

هذا لا يمنع أن نشيد بنماذج من المصريين في الماضي ليسوا بمشهورين كانوا مثالاً للانتماء والوطنية، ويصلحوا أن يكونوا مثالاً للشباب الحالي الذي يشرع منه الكثيرون للتنازل عن جنسياتهم المصرية والتحول صوب الغرب وأوروبا للعيش

والاستقرار الدائم، ومن أمثلة هؤلاء الأديب والتاجر نجيب أفندي كامل، والذي استوطن بلاد المكسيك، وأقام في نارانخوس ولم تبرح مصر ذاكرته؛ فانتهز فرصة العيد الوطني المكسيكي لمرور مئة عام على جمهورية المكسيك وأقام حفلة أنيقة في نارانخوس، دعا لها الحاكم والأعيان وكبار التجار، ونَصبَ قوسَ نصرٍ كبيراً على مدخل المدينة، ورفع على برج القوس من جهة اليمين العلمين المصري والمكسيكي وعلى جهة اليسار العلم الإنجليزي وفي الوسط علماً مكسيكياً آخر، وصورة الرئيس الأول للجمهورية بحسب ما جاء في اللطائف المصورة في **7** نوفمبر **1921** م.

لنا أيضاً مثالاً في اليهودية (ليلى) أو (ليليان) شيكوريل مصرية الأصل والمولد، والتي أبدت اعتزازها بتلك الجذور المصرية في حديث لها لمجلة آخر ساعة العدد **1046** في **10** نوفمبر **1954**م، وكان وقتها زوجها پيير منديس فرانس الاشتراكي الفرنسي واليهودي الأصل يشغل منصب رئيس الوزراء، ويسجل له التاريخ رفضه لشتى صور الاحتلال؛ فانتصر لحق الهند الصينية وتونس في الاستقلال أثناء رئاسته للوزراء التي دامت ثمانية أشهر، كما كان رافضاً لفكرة الحق اليهودي بفلسطين ودعا إسرائيل للدخول في سلام مع عبد الناصر بعد هزيمة **1967**م.

هذه ليست المرة الوحيدة التي يحدث فيها الاقتران بين بنات الأسر المصرية من أهل الكتاب وأرباب السلطة والسياسة في الغرب فمن مجلة (المصري) وهي مجلة أسبوعية جامعة لصاحبها ومحررها سلامة موسى نجد في عددها **12** بتاريخ **20** نوفمبر **1930** م خبراً عن قرآن الآنسة (نلي) ابنة سيزوستريس سيداروس باشا الوزير المصري المفوض في هولندا على الكونت شارل دوبورج البلجيكي والكونتس

المصرية من عائلة سيداروس القبطية الكاثوليكية التي يقطن معظمها القاهرة والإسكندرية وطنطا ويجيدون اللغة اللاتينية، وعددهم لا يتجاوز عشرة آلاف شخص ويعود تاريخ نشأة هذه الأسرة إلى المعلم غالي الكاتب الخصوصي لمحمد علي باشا والمسؤول عن الضرائب والأراضي.. كان في بداياته كاتباً للأمير المملوكي الألفي، ثم أصبح مقرباً لمحمد علي باشا لمعرفته باللغة التركية ودهائه في تدبير الأموال، وكان حاله مع الباشا بين شدٍ وجذبٍ تارة يرضى عنه وتارة يغضب عليه ويحبسه، حتى وجد مقتولاً عام **1821**م، لأسباب مجهولة وجثته ملقاة في الخلاء ببعض بلاد مديرية الشرقية يومين إلى أن استأذن أحد الأقباط في دفنها. وتتعدد الروايات حول قاتله قيل إبراهيم باشا وقيل محمد علي باشا نفسه.. الغريب أن محمد علي باشا أنعم على باسليوس ابن المعلم غالي بالبكوية وقربه منه وبدأ نفوذ أسرته في ازدهار...

الحفاظ على سمعة مصر كان شعاراً وطنياً أيضاً بين الجنود المصريين. المثال الأول: الجندي محمد عبد الجواد علي الحلواني الذي حاول مطاردة قتلة السردار السير لي ستاك، وأصيب بطلقات نارية ونقل للمستشفى. وقد نشرت مجلة المصور في عدد **28** نوفمبر **1924** م خبر منح اللورد إدموند اللنبي المعتمد البريطاني في مصر مبلغ **1000** جنيه مكافأة له. وتعد حادثة السردار من الحوادث الفارقة في تاريخ مصر إذ أطاحت بمستقبل أول وزارة وطنية رأسها سعد زغلول للأبد وجراء هذا الاغتيال وقع صادق يحي باشا وزير الحربية في حكومة زيور باشا التي تلت استقالة سعد باشا القرار الأقسى على المصريين وهو عودة الجيش المصري المرابط في السودان... طبعاً ينبغي أن نغير من وجهة النظر القائلة دوماً أن سعد كان الضحية في هذه الحادثة وأنه تنصل من مرتكبيها (راجع كتاب تأملات بين العلم والدين والحضارة

الجزء الأول) ذلك أن سعد كما يقولون في المثل كمن "حضر العفريت وأخرجه من قمقمه ولم يستطع صرفه" إذ أن التنظيم السري الذي أنشأه له ضابط الجيش السابق عبد الرحمن فهمي بمعاونة ابن أخيه أحمد ماهر (رئيس الوزراء فيما بعد) وكان له الفضل الأكبر في نجاح ثورة **1919**م لم يكن تفكيكه بهذه البساطة التي تصورها سعد بمجرد شغله منصب الوزارة ظناً منه أنه ليس بحاجة إلى بقاء التنظيم وخشية إحراجه سياسياً. ذلك أن التنظيمات السرية في تركيبتها الداخلية شديدة التعقيد ولا يمكن إعادة دمج جميع عناصرها في الحياة السياسية بين يوم وليلة بشكل سهل خاصة إنْ كانت منغمسة في ممارسة العنف في السابق، ومما يصعب من هذه المهمة أنها تعتمد في انتقاء عناصرها على مقومات القوة والجرأة والكتمان، وهي شروط قد تتوفر في مثقفين متعلمين مؤمنين بقضية ما وتتوفر أيضاً فيمن يتم بذل المال في سبيل كسب ولائهم لتنفيذ مهمة معينة أو عدة مهمات خاصة داخل التنظيم والنوع الأخير يعمل لدى تنظيمات أخرى بعضها منبثق من التنظيم الأول وبعضها يسير على منواله واتجاهه دون انتماء سابق له، وبعضها مختلف في الاتجاه والانتماء بشكل جذري.. لذلك فحادثة السردار نتاج طبيعي للمسار التنظيمي السري الذي بناه سعد وتخلى عنه فجأة دون سابق إنذار.. المثال الثاني: الكونستابل الأمين عبد الله والذي استطاع القبض على يهوديين ينتميان لمنظمة شتيرن الصهيونية، هما إلياهو حكيم وإلياهو ميتسوري، بعد اغتيالهما اللورد والتر موين الوزير البريطاني لشؤون الشرق الأوسط أمام منزله بشارع حسن صبري بالزمالك، وقد طاردهما **3** ساعات بدراجته البخارية، وكافأه الملك فاروق بمنحه نوط الجدارة الفضي وترقيته من رتبة كونستابل أو شاويش إلى ضابط برتبة الملازم وقيل: إنّ فاروق رفض دعوة

الحكومة البريطانية للأمين عبد الله لتكريمه في مجلس العموم البريطاني خشية اغتياله هناك، وبعد الثورة نال تقديراً من نوع خاص، وهو الاستغناء عن خدماته بتهمة التعامل مع جهات أجنبية!

وتبقى خصلة "الجدعنة" أكثر خصلة ضمّها الماضي بين جنباته ورصدتها صحفه، ونطمح أن نثير حميتها لتعود من جديد ضمن أخلاق غابت ونتمنى أن تعود، ومنها ما ننقله عن الطائف المصورة في **5** ديسمبر **1921** م ونقلتها الصحيفة بدورها عن جريدة الأمة في **3** أكتوبر أن النار اشتعلت في منزل بحارة المتوكل بشارع اللبان فبادر الكشاف محمد أفندي محمد بهنسي من فرقة وادي النيل المصرية لإنقاذ سيدة التهبت بها النيران، ونقلت للمستشفى لعلاجها من الحروق.. ومن أدوار فرق الكشافة الكبيرة في عمليات الإنقاذ ما أوردته مجلة اللطائف المصورة في عددها **360** في **2** يناير **1922**م حول قيام فرقة الكشافة لسمو الأمير عمر طوسون باشا أثناء تواجدهم في رحلة في جهة المعمورة بأبي قير باسعاف رجل وطني يدعى السيد حسن رزق صدمته سيارة ومرت عجلاتها على ظهره، ثم دحرجته إلى مصرف صغير على قارعة الطريق فتنبه للحادثة جاويش الفرقة طه أفندي حافظ فأبلغ في الحال قومندان الفرقة أحمد أفندي نبيه فصفر صفارة الخطر وفي الحال أسرع أفراد قسم الطب من فرقة محمد علي نمرة **8** إلى نجدته فوجد ملطخاً بالوحل ومغشياً عليه، فظلوا في إسعافه ثلاث ساعات، ثم نقلوه إلى منزله وضمدوا جروحه..

كما نقول دائماً: إنّ مصر قديماً هي المثال الخالد للالتحام الشعبي حتى في المروءَة والشهامة دون تمييز بين جنس وآخر أو ديانة وأخرى، وحسبنا أن نورد هذا المثال

من العدد **188** من مجلة المصور في **18** مايو **1926** م وتحت عنوان "شهيد المروءة والواجب" أوردت المجلة خبر مصرع الشاب (دافيد ليفي) أحد متطوعي جمعية الإسعاف اليومية في العاصمة أثناء توجهه إلى الحوامدية تلبية لنداء الواجب والإنسانية حيث تحطمت السيارة التي كان يستقلها عند مزلقان السكة الحديدية وتم تشييع جنازته في احتفال مهيب ضم متطوعة الجمعية وأعضاء مجلس إدارتها وبعض فرسان البوليس حيث ألقى رئيس الجمعية العام "نوس بك" كلمة بليغة أسالت العبرات...

وفي عدد مجلة المصور رقم **100** في **10** سبتمبر **1926**م نتوقف عند شهامة عبد العزيز أفندي عبد اللطيف والذي رأى سفينة شراعية في عرض النيل ما بين كوبري أبو العلا وكوبري قصر النيل أمام بناية شركة تراموای مصر، وقد انقلبت السفينة بركابها الأربعة وكادوا يغرقون لولا شهامة هذا الشاب الذي ركب لنشاً من رصيف أبو العلا وأسرع إلى عرض النيل وأنقذ الأربعة من الغرق وأعادهم إلى الشاطئ سالمين. ومنهم أيضاً داوود سليمان البويجي، والذي نشرت اللطائف المصورة صورته في **2** أكتوبر **1922**م في محطة القاهرة حيث عثر في أول سبتمبر على حقيبة بها مصوغات تقدر ب**800** جنيه، فسلمها إلى ولاة الأمر فأكرم به وبأمانته، وقد صرفت له مصلحة سكة الحديد مكافأة.

وتظل الجدعنة والشهامة عنوانين يرافقان المصري أينما حل ودائماً ما كانتا مثار افتخار مصر أمام زائريها من عرب وأجانب، فمثلاً زيارة الملكة اليصابات ملكة البلجيك لمصر، وكانت قد عملت كممرضة طول مدة الحرب العالمية في المستشفيات

العسكرية والأهلية وفي زيارتها لمصر زارت دار جمعية الإسعاف حيث ألقى المسيو نوس بيك رئيس الجمعية كلمة أشاد فيها بمتطوعي الجمعية الذين لا يقبلون أجراً ولا مكافأة أيضاً، وضرب على ذلك مثالاً بأحد شباب الجمعية والذي سارع لإنقاذ ولد صغير كان في الرمق الأخير من بين منكوبي أحد المساجد الذي سقط على المصلين وقد ظنه الناس قد مات فانحنى فوقه وأخذ يحرك يديه ورجليه وأجرى له التنفس الصناعي، بينما الناس مندهشون، ثم حرك الولد عينيه وأفاق وانتظم تنفسه.. حينما علم البوليس بشهامة الشاب أرسلوا للجمعية مبلغاً من المال لمكافأته فرفض فحاولت الجمعية إقناعه أن المبلغ المرسل مكافأة من الحكومة وليس أجراً فأصر على الرفض قائلاً: "إن مبدأ التضحية لا يقبل تأويلاً وتفسيراً".. المثير أن الشاب بعد يومين عاد لسؤال الجمعية عن المال لا ليأخذه لنفسه ولكن ليدفع به لأهل الولد الذين كانوا في أمس الحاجة إليه.. هنا علقت الملكة أن هذا الحادث يمثل الشهامة بأجمل صورها وأكرمها وذلك بحسب ما جاء في مجلة المصور العدد **287** في **11** إبريل **1930** م. من دروس هذه الحادثة والتي تعد ضرورة على الدوام وجوب أن تكون دورة الإسعافات الأولية والإنعاش القلبي الرئوي (**CPR**) من البرامج التأهيلية للالتحاق بالوظائف الحكومية وغير الحكومية، والتأكد من أن شهادتها تعطى بعد اختبار عملي حقيقي فحفظ حياة الناس أمانة وإنقاذهم فرض عين ودور نبيل لابد وأن يشيع في المجتمع بشكل إجباري..

بقيت نقطة وهي العلاقة المفترض أن تكون بين المرء ووطنه وهي علاقة منفعة متبادلة كي يستقيم مفهوم الوطن في الوجدان، ولقد كتبت ذات يوم قصة مستلهما أحداثها من أركان التاريخ وأضعها هنا على الهامش للتأمل والاستئناس:

"خائنة ولكن...

بينما تجلس (نور) تطالع أحد كتب جدها الموضوعة على الأريكة وقع بصرها على صورة لفتت انتباهها لسيدة متوسطة العمر، ولكن لم تستطع نور صاحبة العشر سنوات أن تميز من الكلمات الإنجليزية الحافلة بها صفحات الكتاب سوى كلمة ميكسيكو.. لذا فما أن قدم الجد (فتحي) حتى حاصرته بأسئلتها الكثيرة كعادتها والجد يتلقاها بمحبة ويجيب عنها بسعة صدر ومحبة لفضول (نور) العلمي..

صاحت نور في شغف:

-ما قصة هذه السيدة متوقدة الذكاء على ما يبدو من صورتها يا جدي؟!

- إنها يا نور " دونا مارينا" من أشهر الخائنات في التاريخ..

اندهشت نور وصاحت: هل خانت حبيبها مثلما فعلت دليلة بشمشمون؟ لقد قرأت قصتهما هذا الأسبوع... كم أبغض هذا النوع من النساء؟!

قال الجد: لا يابْنتي لقد فعلت ما هو أعظم.. لقد سددت طعنة الخيانة لصدر وطنها وأمتها عبر سلاح فريد.

قالت نور: كيف يا جدي؟

قال الجد: بحسب بعض الروايات فإن "دونيا مارينا" أو "مالينالي" أو " مالينجي"أو "مالينشي" هي ابنة لأحد النبلاء والحاكم لمدينة "بيانالا" بقلب الإمبراطورية الأزتيكية (المكسيكية القديمة) وبوفاة الأب حدث تحول غامض في حياة الفتاة إذ تلقفتها الحوادث المتسارعة وقذفت بها من حياة القصور إلى أتون حياة الإماء والجواري..

قالت نور في دهشة: وكيف حدث ذلك؟!

قال الجد: حيث سارعت أمها للزواج من أول طارق وأنجبت ابناً وطمعاً في انتقال العرش إليه فقد كانت العقبة هي وجود الفتاة ذات الثانية عشر ربيعاً والوريثة الوحيدة لأبيها لذا خططت مع وزوجها الجديد للتخلص من "دونيا مارينا" وباعتها لبعض التجار لتتحول من أميرة إلى جارية بسوق العبيد..

قدم الحدث الفارق في حياة الفتاة مع بزوغ نجم المغامر (هيرنان كورتيس) الذي أتى بأسطوله مدعوماً من أسبانيا لغزو المكسيك القديمة.. عبثاً حاول إمبراطور الهنود الحمر في مملكة الأزتيك " مونتيزوما الثاني " تفادي الدخول في صدام ومواجهة مع قوى أجنبية لا قبل له بها فأرسل بهدايا ثمينة من الذهب والطعام والأغطية وعشرين جارية من بينهن "دونيا مارينا" عسى أن تخطف أبصارهم وتنال من قلوبهم فيستكينوا ويعودوا من حيث أتوا.. لكن هيهات هيهات إذ زاد بريق الذهب من أطماع المغامر ورجاله ودفعه أكثر من ذي قبل للمضي قدماً لغزو هذه البلاد واسعة الثراء..

تم تعميد الجواري طبقاً للقانون الإسباني القاضي بضرورة تحول الجواري للديانة المسيحية ومن ثم جرى توزيعهن على قادة "كورتيس" لكن ميزة واحدة لدى مارينا أنقذتها من الاستمرار في حياة الجواري..

قالت نور وقد بدا على محياها الإعجاب بالقصة: ما هي يا جدي؟!

قال الجد: دائماً يابْنتي ما يقف عائق اللغة كحائط صد منيع في التاريخ القديم بين المغامرين وساكني المناطق التي يتم اكتشافها والسيطرة عليها.. حيث كانت تتسم هذه المناطق البعيدة بالغموض وتنوع اللغات المحلية وصعوبتها وهذا كان موطن القوة لدى أصحاب الأرض.. كان "جيرونيمو دي أغيلار" هو المترجم الرسمي

لكورتيس وكان يعرف لغة "المايا " أي لغة العامة، لكنه يجهل لغة "الناهواتيل" أي لغة البلاط والطبقة الأرستقراطية بينما كانت "دونيا مارينا" تجيد اللغتين على نحو كبير بحكم معايشتها للطبقتين مما جعل "كورتيس" يطير فرحاً بهذا الكشف المدوي الذي ساقته الأقدار إليه وسيمكنه حتماً من بلوغ مآربه ومعرفة خبايا القوم دون أن ينتبهوا له، وهكذا تحول موضع القوة لدى القوم إلى ضعف خطير ينذر بنهايتهم وزاد من زهوه بهذا الكشف قدرة الفتاة على إجادة اللغة الأسبانية في فترة وجيزة..

قالت نور: وما المقابل يا جدي؟!

قال الجد: الوعد بالحرية بعد أن تنتهي من مهمتها وأن يزوجها أحد قادته.. وهكذا قدر للفتاة أن تغدو مترجمة بين عشية وضحاها..

وبالفعل أدت الفتاة مهمتها بإخلاص وجد فكشفت لكورتيس مؤامرة قد دبرها الإمبراطور "مونتيزوما" لاستدراجه والإيقاع به ورجاله، وقد علمت بذلك من إحدى زوجات النبلاء من قومها.. كما ساعدته أيضاً في قمع تمرد هندوراس..

كل هذه الخدمات رفعت رصيدها في ميادين الخيانة وترسخت في وجدان وطنها بصورة سلبية تماماً..

قالت نور: أظن الخيارات كانت أمام الفتاة صعبة ومحدودة للغاية ونعتها بالخيانة ليس من العدالة في شيء وهل للعبد بين يدي سيده اختيار؟!

قال الجد: لا أستطيع سوى أن أقول: إنك محقة يابْنتي فمتى قست الأوطان على أهليها وضنّت عليهم بفرص الحياة الكريمة لا يلبثون أن يصيروا لقمة سائغة

لأعدائهم ولا سبيل أمامهم سوى الخيانة رغم أنوفهم حينما يكون البديل لذلك هو الموت بعد المهانة والشقاء في أحضان أوطانهم.

قالت نور: يبقى يا جدي سؤال؟! كيف انتهى المطاف بدونيا مارينا؟!

قال الجد: هام "كوريتس " بها عشقاً وأنجب منها ابناً أسمياه "مارتن" لكن بعد أن استتب له الأمر في أرض المكسيك وخشية من زوجته التي قررت المجيء أظهر لمارينا أنه مازال على وعده السابق لها وزوجها من أحد قواده أثناء سكره ويدعى "خوان جاراميلو" ويقال إنها مرضت سريعاً بالجدري وفارقت الحياة..

قالت نور في أسى: مسكينة هذه المرأة.. كم بالحياة من قصص على غير ظاهرها تحمل في طياتها عناوين الشقاء"..

-قضايا الأجانب في مصر

1-بحسب مجلة الدنيا المصورة في عددها **13** في **14** أغسطس **1929**م، حاول خواجة روسي التهرب من دفع أجرة سائق فدخل على الضابط النوبتجي بقسم الأزبكية، وبحسب وصف الصحيفة فالخواجة في الخمسين من عمره أو يزيد أحمر الوجه أمرده (مكلبظ) ممسكاً قبعته بيده اليسرى ومبسوط شوية وحاملاً في يده اليمنى رخصة أخذها من سائق لأن أغلب السائقين لصوص ويخشى أن يكون هذا السائق منهم ويسرقه. من تحقيق الضابط اتضح أن الخواجة ليس معه نقود بالمرة وابتكر هذه الحيلة للإفلات من أجرة العربة.

2-من القضايا الأخرى التي تخص الأجانب بالعدد ذاته موت "آثيل ماري كروكفورد" سيدة إنجليزية في العقد السابع من عمرها بشكل يوحي أنها جريمة

"ذبح" حيث تبين أنها كانت على علاقة بالمستر (كنجستون) وبعد وفاة "وليفها" بحسب وصف المجلة تاركاً لها صيدلية بجوار منزلها أدمنت الخمر وفي يوم الحادثة أفرطت في الشراب حتى خرج الدم من رئتيها، فذهبت إلى المطبخ محاولة إيقافه فخارت قواها وسقطت على الأرض واصطدم رأسها بشيء صلب، فجرحت جروحاً بالغة أظهرت أنها ماتت مذبوحة على غير الحقيقة..

3- من الحوادث الطريفة مصرع جندي بوليس إنكليزي مع فتاة مصرية في جهة الجزيرة وبحسب ما جاء بمجلة اللطائف المصورة العدد **409** بتاريخ **11** ديسمبر **1922** م بشكل مقتضب للغاية أن الجندي الإنكليزي قتلها وانتحر "لأسباب غرامية أو لأسباب أخرى الله أعلم بها". بحسب ما ورد بالمجلة.

ثالثاً: قضايا مهنية (الصحة أنموذجاً):

1-أزمة الدواء في مصر

في مقال كتبه الدكتور سعيد عبده (كاتب مسرحيات شوقي الشعرية تحدثنا عنه في كتاب نوستالجيا الواقع والأوهام) عن أزمة الدواء في مصر في مجلة آخر ساعة العدد **898** في **9** يناير **1952**م تحدث كاتب المقال عن إضراب الصيادلة لمدة يومين وعزت الأدوية (ينبغي مراجعة موضوع أن إضراب الصيادلة في عهد مبارك كان الأول) السبب متوقع فلا يحرك الصيادلة قديماً أو حديثاً سوى الاقتراب من أرباحهم التجارية، وقد كان السبب وقتها تخفيض واحد أو اثنين من ربح الصيدلي في الأدوية المستوردة (تصور ربح الصيدلي من الأدوية المستوردة في هذه الآونة كان **20**٪).

ويتطرق الكاتب إلى فوضى صرف الأدوية في مصر، وكأنه يتحدث عن واقعنا الحالي سواء بسواء فحرية شراء الأدوية في مصر لا مثيل لها في أي بلد متحضر ضارباً المثال ببيوت الطبقة الوسطى فلا يوجد بيت دون دولاب خاص بالأدوية قد يتناقض بعضها مع بعض دون دراية أهل هذا البيت فتذهب أرواح أهل البيت "الحزين" سدى كما أن طلب الأدوية من الصيدليات يكون موجهه في الغالب إعلانات الأدوية في الصحف ومقالات الأطباء حول علاج الأمراض ولا يخلو الأمر من مسؤولية على الصيدلي الذي يغض الطرف عن هذه المسائل بحثاً عن الربح المادي خلف فوضى البيع..

كما يصف المقال مصر بسوق مفتوحة لجميع الأدوية من كل العالم بلا باب ولا بواب ويحكي عن موقف حدث له في إنجلترا، حيث أصابته قرحة في عينه ولم يجد طبيباً ليحرر له وصفة طبية وذهب من فوره للصيدلي فرفض الصيدلي الصرف إلا بوصفة طبية ولم يعر حديث الرجل أهمية من أنه طبيب وجواز سفره يؤيد ذلك قائلاً في حسم: "ولو فإنه غير مرخص لك في هذه البلاد". ويقارن ذلك بعدم وجود قيود لصرف الدواء في مصر، حيث ينافس الطبيب على وصفها الحلاق والمريض نفسه والذي يشتري من تلقاء نفسه ما يريد ويداوي به دون حرج كيفما شاء.

ثم يمضي للحديث عن قضية هامة ألا وهي السيل الجارف من الأدوية المستوردة الذي يملأ رفوف الصيدليات إذ تبلغ أربعمائة ألف مستحضر لها بدائل وطنية وتبلغ قيمتها أربعة ملايين من الجنيهات سنوياً لصالح أربعة ملايين من السكان هم "المرضى الخصوصيين" أما المستشفيات الحكومية والتي يرتادها **16** مليون مصري، فأدويتهم مركبة ولا تلجأ المستشفيات إلى الأدوية المجهزة وطني أو أجنبي

إلا عند الحاجة وفي أضيق الحدود كما يرصد المقال أن هذه الأدوية المستوردة يدفع لها من جيوب المصريين ما لا يقل عن ستة ملايين من الجنيهات لتغطية عمولة المستوردين ومخازن الأدوية والصيدليات بما يوازي خمسين في المائة من أصل ثمن الدواء (طبعاً النفقات التي تدفعها الشركات للأطباء من أجل كتابة أدوية بعينها ربما لم تكن على هذا العهد وإلا لاتسعت قائمة الحساب)، كما يضع المقال يده على قضية شديدة الحساسية وهي أنّ الأدوية الأجنبية المستوردة لا تفحص مطلقاً اعتماداً على أن السلطات الصحية في البلاد الأجنبية قد قامت بهذه المهمة من حيث الفحص والتجربة ويلوح بخطورة هذه المسألة مستعرضاً مثالاً من تعالي شكوى الأطباء في العام "الماضي" (يقصد عام **1951**م) من نوع أجنبي من السلفاديازين وهو مضاد حيوي كان يستخدم وقتها في علاج الحمى المخية الشوكية والوقاية منها ومع اضطرار معامل وزارة الصحة إلى فحص الدواء اتضح أنه سلفانيلاميد وهو مركب سام من مركبات السلفا لا يجدي نفعاً في الحمى المخية الشوكية وكل ما يميزه هو أنه أرخص وأن الشركة الأجنبية "استخارت الشيطان" وكتبت عليه سلفاديازين وأغرقت به السوق المصري وقد تمت مصادرته ولكن بعد فوات الآوان ومن هذا فهو يطالب بالرقابة على الأدوية الأجنبية " فالعيب في الشعب ووزارة الصحة".. ومما لا يخفى على لبيب أنه يرمي من خلال هذا القول إلى نصيب الشعب من المسؤولية لشغفهم الزائد بالأجنبي وعقدة الخواجة المتأصلة لديهم لدرجة قطع الأميال للبحث عنه ولو له عشرات البدائل المحلية مثيلة المادة الفعالة وهو أمر يحتاج إلى مزيد من التثقيف الصحي في بلادنا..

يطرح الدكتور سعيد مثالاً حول تقبل السوق المصري للمثائل أو النظائر فمثلاً إسبرين باير الألماني الشهير وكان قبل الحرب العالمية الثانية لا يبارى وأي دعاية لمثيل له تقابل بالسخرية لكن بعد انقطاعه بسبب ظروف الحرب نسيه الجميع وها هو يعود الآن "كاليتيم في السوق".

كما يضرب مثلاً مهماً على بعض الأدوية التي كان يروج لها إعلانياً في الصحف "ميسينا" باعتباره إكسير الحياة، ويعالج كالعرقسوس "أربعين داء إلا داء" فلما جربه الأطباء تأكد لهم أنه لا يعالج سوى القليل النادر من هذه الأمراض.

أهمية هذا المقال تنبع من توقيته والذي جاء قبل شهور قليلة من ثورة **1952**م فهو يمثل حصاد الصناعة الدوائية المصرية ومخرجات تجربتها المحدودة، والتي من الجليّ أنها لم يكن لها اليد العليا في سوق الدواء المصري..

يخطئ من يظن أن التوجه المصري للتصنيع الدوائي كان وليد ما بعد ثورة عام **1952**م، والدليل هذا الخبر من صحيفة مصر الفتاة (كان يصدرها أحمد حسين ويرأس تحريرها محمد صبيح) في عددها **305** بتاريخ **8** إبريل **1940**م فتحت عنوان "حبذا هذا العمل" استفسرت الصحيفة من حضرة الدكتور حافظ عفيفي باشا عن شركة الأدوية الجديدة التي أعلنت عن إنتاجها الجديد وهو الأسبرون (منتج مصري نظير للأسبرين) للتأكد من مصرية الشركة فجاء رده أن شركة مصر للأدوية مصرية بكل معنى الكلمة وأن بنك مصر مساهم فيها "بمبلغ متواضع"! وأن رئيس مجلس إدارتها هو صادق وهبة باشا وأن الفنيين فيها من علماء مصر في الطب والصيدلة الحائزين لأرقى الدرجات العلمية.

كانت الدعوة لتكريس الصناعة الوطنية على أولويات الصحافة المصرية منذ وقت مبكر حتى الصحف الفكاهية وحسبنا أن نستأنس بما جاء في مجلة الفكاهة في عددها **249** بتاريخ **1** سبتمبر **1931** م ونادرة جحا والشركات الأجنبية: "جحا: بيقولوا إن ثمانين في المية من المصريين ما يعرفوش يقروا ولا يكتبوا عربي.. لكن ده مش عيب مادام مية في المية من الشركات الأجنبية في مصر لا تقرأ ولا تكتب عربي".

2-رواتب الأطباء

في عام **1951**م نظم الأطباء إضراباً مدعوماً من نقابتهم ومن أساتذة كلية الطب وأغلقوا العيادات الخارجية بأقفال اشتروها مطالبين برفع أجورهم المتدنية ليحصل طبيب الامتياز على عشرين جنيهاً بدلاً من تسعة جنيهات وثمانية وستين قرشاً وثلاثة مليمات والطبيب النائب خمسة وعشرين جنيهاً بدلاً من اثني عشر جنيهاً... كان تعليل الحكومة في ذلك الوقت أن رواتب أطباء الامتياز والنواب تتناسب مع كونهم في فترة تمرين بمكافأة، وأن الحكومة تتحمل تكاليف إعاشتهم على حسابها في سكن الامتياز.. رد الأطباء بأنهم يعملون **36** ساعة متواصلة في **48** ساعة ويقومون بالكشف في الصباح على مائتي مريض، كما شكوا من أن بيت الامتياز بالقصر العيني كل ثلاثة بغرفة يشتركون في دولاب واحد بلا خصوصية والأسرة محطمة والفراش ممزق ونفس ألوان الطعام تقدم لهم لفترات طويلة (بطاطس وسبانخ وقرع والجبن مثل الكاوتش)..

من مجلة آخر ساعة العدد **865** في **23** مايو **1951** م، والتي أفردت تحقيقاً عن أزمة إضراب الأطباء واستعرضت وجهات نظر الطرفين نجد تبني المنياوي باشا رئيس

النقابة مطالب الأطباء وقال "أنه كان يتقاضى وهو طبيب امتياز عام **1908**م مرتباً يبلغ **12** جنيهاً" والفارق المعيشي كبير الآن (كل جيل يحن للزمن الذي يسبقه والكل في الأزمات سواء لكن من يقرأ التاريخ ويتعلم) كما اشتكى بعض الأطباء من تراكم الديون عليهم ومن تحمل آبائهم نفقات معيشتهم بعد التخرج..

الطريف هو أين موقف وزير الصحة وقتها من الأزمة؟!

وزير الصحة وقتها هو عبد الجواد حسين باشا وكان قبل منصبه الوزاري نقيباً للأطباء وداعماً لمطالبهم في زيادة المرتبات فلما أصبح وزيراً قال: "دعوني أبحث الميزانية"واعداً بكادر خاص للأطباء.. طبعاً تصريح فؤاد سراج الدين باشا وزير المالية بعدم علمه بهذا الكادر الخاص وأن الكادر الجديد ضمن الكادر العام لجميع الموظفين أجّج من اتساع فجوة الخلاف بين الأطباء والحكومة في ذلك الوقت..

مع اشتعال الأزمة سافر وزير الصحة إلى جنيف تاركاً عبد الفتاح الطويل باشا وزيراً بالنيابة للتعامل مع الأزمة التي اتسعت وتيرتها.. تعاملُ الوزيرين في الحقيقة لم يتسم بالحكمة اللازمة فعبد الجواد باشا وصف الإضراب من جنيف بأنه "حركة شيوعية" وعبد الفتاح باشا في مصر كان حديثه مع الأطباء أقرب للوعيد منه إلى الوعد ومع رفض الأطباء مقابلته أكثر من مرة هدد بشكواهم للنائب العام!

المحزن أن حتى راتب ال **12** جنيه الذي يتحسر عليه النقيب في زمنه لم يكن عادلاً أيضاً في بلد كانت الجلسة الواحدة لجمع "النقطة" لراقصة تدعى "بنت أبو شنب" مئتي جنيه! وذلك في حدود عام **1878**م بحسب ما جاء بمجلة الزهور **1913**م لأصحابها الجميل وتقي الدين وشركائهما وبحسب العدد ذاته فقد لجأ

المسيو "مانولي يوانيدس" صاحب مقهى "ألف ليلة وليلة" إلى جلب راقصات تونسيات كبديل للمصريات اللاتي يمارسن التهتك والتبذل وافتتح أول مقهى للرقص البلدي في شارع كلوت بيك خلف مقهى اللوفر **1887**م.

3-الاختلاسات الكبرى:

طبعاً وضع ملف الصحة بصفة عامة يحتاج إلى تغيير محوري وشامل ليس في الطب والصيدلة فحسب، بل في كل التخصصات المتعلقة بالصحة وهو وضع لا يختلف بين الماضي والحاضر ووزارة الصحة تحتاج لبناء مؤسسي حقيقي وفعال لاستئصال الفساد بها، وحسبنا أن نورد هنا قضية الاختلاسات الكبرى بوزارة الصحة والتي أتت على تفاصيلها مجلة مسامرات الجيب في عددها **244** بتاريخ **12** مارس **1950**م، وقد بدأت القضية عام **1945**م بكتاب من مجهول إلى أحمد عبد الرحمن رئيس المباحث الجنائية في حكمدارية بوليس القاهرة يقول صاحبه: "راقبوا بعض موظفي وزارة الصحة. إنهم يختلسون ويزورون" وبعد سنوات من البحث والتحري كشف التحقيق عن فضيحة وهي اختلاسات بقيمة **17** ألف جنيه لم يضبط منها سوى **1715** جنيه. وأحيطت التحقيقات التي وصلت إلى ألفي صفحة في البداية بالكتمان والسرية، وثبت تورط سبعة موظفين في القضية من بينهم مدير القسم ورئيس القلم والطبيب وعامل التليفون والطريف أن تضمنت القضية أحد البلطجية والذي تظاهر بخدمة البوليس وإرشاده ظاهرياً وفي حقيقة الأمر قصد

تضليله، وأحيلت القضية إلى محكمة جنايات مصر برئاسة إبراهيم كامل بيك في نهاية المطاف..

4-انتحار صيدلي:

من الحوادث المهنية انتحار صيدلي في قاعة محكمة المنصورة عند الحكم عليه بالسجن في **19** فبراير **1930**م. وتتلخص القضية أن رزق أفندي بطرس وهو حفيد رزق أغا غبريال والي ولاية الدقهلية في عهد محمد علي باشا وبعد حصوله على دبلوم الصيدلة من مدرسة الصيدلة بالقصر العيني في مايو **1925** م وكان ترتيبه الثاني بين الناجحين، عين مديراً لأجزاخانة عاصم بيك في الزقازيق كما أنشأ لنفسه أجزاخانة الإنسانية في ميت غمر.

وفجأة وعلى حين غرة جاء اتهامه بالإتجار في المخدرات وأنه يبيع من الهيروين كميات كثيرة سراً دون تذاكر طبية، كما أنه أثبت في دفاتره أشياء لم يصرفها وهو ما يعد تزويراً كما صرف ست حقن مورفين لأحد الأطباء بتذكرة طبية لم يقدمها للمفتش.

قضت محكمة ميت غمر الأهلية في البداية ببراءته لكن النيابة استأنفت الحكم أمام محكمة المنصورة الكلية في **23** أكتوبر **1929**م، والتي قضت بحبسه سنة

وحينما سمع المتهم الحكم صاح بأعلى صوته: "عشت بريئاً وسأموت بريئاً شهيد الظلم شهيد الاستبداد (انظر لمساحة الحرية في هذا الزمان الغابر في انتقاد أحكام القضاء على الصحف)، ثم أخرج من جيبه زجاجة بها كمية كبيرة من سم الأستركنين وانتحر..

استأنف والد المتوفى ورفع نقض على الحكم في سابقة هي الأولى كما رفع أهل المتوفى شكواهم إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد؛ فأمر بالتحقيق، وكان من نتيجة الحادثة أن الصيادلة رفعوا شكواهم إلى مصلحة الصحة باسم نقابة الصيادلة، فصدر أمر المصلحة بتكوين المجلس الأعلى للصيادلة يحاكمون أمامه على ما يوجه إليهم من اتهامات. ألا ترى معي أن أحياناً تأتي الحلول من الماضي فلو لدينا مجلس فني كهذا يكون الأدرى بالتحقيق في القصور وتحديد المسؤوليات لما أصبح حال الصيادلة على هذا الحال.

بالمناسبة ومن باب الطرافة فالفضل يعود في تنظيم سوق الدواء في مصر للسوريين وعلى رأسهم الصيدلاني القانوني نجيب أفندي غناجة صاحب صيدلية (المقتطف) بالموسكي والتي جرى افتتاحها عام **1886**م، وكان لنجيب نشاط علمي كمدير للمجلة الصحية والتي كانت تصدر شهرياً، وكانت تشتمل على مقالات صحية وعلاجية وعن الطب المنزلي بالإضافة لنشاطه الواسع في تجارة الأدوية في مصر والإسكندرية وطنطا وأسيوط.

كانت صيدلية (المقتطف) تعمل على مدار الساعة، وكان يباع فيها حبوب الشفاء حصرياً والتي قد اشتهر نفعها في سائر الأمراض الصدرية وعرق الليل والزكام الخفيف والقوي والنزلات الشعبية المزمنة والبسيطة وغيرها، تباع العلبة بـ **4** فرنكات وكان يجري فيها فحص طبي كل يوم صباحاً قبل الظهر بساعتين وتعالج الفقراء مجاناً بواسطة الطبيب حضرة "النطاسي" اللبناني الشهير الدكتور شبلي أفندي شميل صاحب جريدة الشفاء وأحد الداعين للعلمانية والمتبنين لنظرية النشوء والارتقاء بقوة.

ولقد جمع النشاط الاجتماعي بينهما مرة أخرى حينما اجتمع فريق من الأطباء في منزل الدكتور شبلي شميل للسعي في إنشاء مستشفى سوري لمعالجة جرحى الحلفاء وتشكلت لجنة للاكتتاب على الجمهور لهذا الغرض وعين الدكتور شبلي شميل رئيساً لها، ونجيب أفندي غناجة أميناً للصندوق والدكتور أمين معلوف سكرتيراً بحسب مجلة الهلال في عددها **10** في **1** يوليو **1915**م.

مطالعة سريعة لكتاب "دليل مصر تأليف يوسف آصاف طبع بالمطبعة العمومية بمصر **1890**م". تكشف أن عدد الصيدليين القانونيين والصيدليات في مصر كان في مطلع القرن الماضي متواضع للغاية وأغلبهم من الأجانب فبالإضافة لنجيب أفندي الذي أتينا على ذكره نجد: (الموسيو بيرو صاحب الأجزاخانة المتوسطة بكلوت بيك - الخواجة يوسف صالوميديس صاحب أجزاخانة الاتحاد بالفجالة- ماندوفيا إخوان أصحاب أجزاخانة أنجلواجبسيان بوجه البركة-المسيو كوبليش صاحب الأجزاخانة المصرية بوجه البركة-المسيو كاسكارللي صاحب أجزاخانة الإسماعيلية بعابدين - المسيو كارااليس صاحب أجزاخانة سقراط بشارع محمد علي- إبراهيم أفندي جاماتي صاحب أجزاخانة الصحة بباب الشعرية- نقولا مانولي صاحب أجزاخانة محمد علي بالجامع الأحمر - الموسيو باجوني صاحب أجزاخانة النيل بالموسكي -الموسيو صامويل صاحب أجزاخانة فرنكو أمركان بشارع عبد العزيز - محمد أفندي حامد مدير الأجزاخانة الإسرائيلية الخيرية).

العنصر المصري لم يكن غائباً أيضاً عن السوق الدوائي وهو ما يمكن أن نلمحه في مجلة المصور في عددها **288** بتاريخ **18** إبريل **1930** م، وصورة الأستاذ محمد علي حجازي كيمياوي صيدلاني "صاحب محضرات (مستحضرات) حجازي الطبية"

والتي عرضت بالمعرض الطبي العام بالجزيرة ونال إعجاب الفنيين من جميع العالم عام **1928** م.

وبمناسبة سم الأستركنين لقد وضعت له ذات مرة قصة شاركت بها في مسابقة وهي مأخوذة من قضية حقيقية وقعت أحداثها بين عامي **1871** -**1907** م مع تصرف بسيط في بعض الأحداث بما يتطلبه الحس الدرامي تحت عنوان: "ملكة الأقدار"

شريط من ذكريات طويلة ومتناثرة لا يفارق كريستينا في أحلامها كأنه كان بالأمس القريب.. ملامح الطفلة البريئة على محياها وقلبها الملائكي الذي يشع بالحب للجميع.. الكنيسة ومنارتها الشاهقة تذكرها دوماً بأبيها المهندس العظيم "وليام إدموندز" الذي شيدهما لقد عاشت ملكة متوجة تقطن في قصر من حنان أعمدته حضن أبيها وعروشه حنان والدتها "آن كريستيانا بيرن" سليلة قبطان مشاة البحرية الملكية.. يا لها من لحظات قاسية لا تنفك تطاردها كلما خلدت إلى النوم فيد الموت القاسي خطفت أباها، فتهاوت معه قصور أمانيها وعروش أحلامها.. اليوم أصبحت تتجرع كأس الوحدة وتصارع مرارة العزلة وحدها وعزائها وجود والدتها الأرملة بالقرب منها في مدينة برايتون البريطانية..

لقد رضيت بقضائها وأذعنت له فأصبحت تطاردها الآلام النفسية من كل حدب وصوب حتى كادت تفقد عقلها أو ربما فقدته حقاً دون أن تدري... أتكون هذه النهاية يا كريستينا؟! لطالما حدثت نفسها بذلك أمام مرآتها...

لحظات من السعادة تهبط عليها من عليين حينما تعرفت ولأول وهلة على الطبيب "تشارلز بيرد" أحست أن قبساً من نور والدها يقبع في جسد بيرد.. نظراته تحيها وابتسامته تبعث الدفء في جسدها العليل.. لاح لها الأمل من جديد وآن لها أن

تطوي صفحات الماضي الحزين وأن تلملم جراحها سريعاً، وأحست مع كلماته الرقيقة أن قصرها القديم قد عاد وأنها قاب قوسين أو أدنى من أن تستعيد عرشها المتداعي وتعود ملكة من جديد..

لكنها اكتشفت أن سداً منيعاً يحول بينها وبين من اختاره قلبها إنها زوجته الحسناء..

هل تستسلم ليد القدر لتخطف من أحيا قلبها بعد رقاد؟! مستحيل يا كريستينا هكذا حدثتها نفسها.. إن الأمر يحتاج شيئاً من التدبير وأي تدبير!!.

في صباح اليوم التالي تلقت زوجة بيرد هدية لطيفة تعشقها شيكولاتة أنيقة مرسلة لها وما أن تناولتها حتى بدأت تشعر بالإعياء الشديد، ثم بدأت تتعافى من مرضها تدريجياً..

بدأت الشكوك تساور زوجها الطبيب تشارلز أن ما حدث لزوجته بسبب كريستينا التي تعاني اضطراباً نفسياً فبدأ يبتعد عنها ويتجنب لقاءَها..

شعرت كريستينا أن الحياة التي أقبلت فجأة على وشك وداعها أيضاً فجأة.. إنها اليوم استجمعت شتات نفسها ولن ترضى بغير تحطيم قيود الاستسلام لن ترضخ لطاعة الأقدار مرة أخرى، بل ستكون هي صانعة الأقدار من حولها ستضع هي النهايات كما تشاء وستكون من اليوم ملكة الأقدار..

يبدو أنّ هناك مرضاً غامضاً يجتاح برايتون.. حالات كثيرة خاصة بين الأطفال تجمعها أعراض غريبة شبيهة بالتسمم: (التهيج والتوتر- العصبية الزائدة- التشنجات العضلية المؤلمة- الزراق الشديد- الحمى- تشنج الرقبة- تصلب اليدين

والساقين- صعوبة التنفس- لون البول الداكن-ألم شديد في العضلات)... لقد أصاب الناس الهلع والخوف على أطفالهم..

في هذا الوقت بدأت الشرطة تلاحظ تزايد إرسال طرود الشيكولاتة لعدة شخصيات بالمدينة وأن زوجة الطبيب تشارلز قد عادت لها الأعراض السابقة بشكل أعنف مع تلقيها أحد هذه الطرود..

هنا أصبح شك "تشارلز" يقيناً بأن "كريستينا" تقف وراء ما يحدث لزوجته ولأهل المدينة بأكملها فأبلغ الشرطة وتم القبض على كريستينا..

كانت التحقيقات صادمة إذ اتضح أن كريستينا كانت تقوم بشراء كريمات الشيكولاتة من صانع الحلوى "جون ماينارد" ثم تقوم بحشوها بمادة الإستركنين السامة التي حصلت عليها من الكيميائي "إيزاك جاريت" تحت دعوى تسميم القطط الضالة، ثم تعيدها مرة أخرى لصانع الحلوى ليقوم ببيعها للأطفال مما أدى إلى موت أحدهم كما تبين أن كريستينا ادعت أنها واحدة ممن تلقوا الطرود لتصرف عنها الشبهة.. لكن القناع قد سقط وتهاوى عرشها للأبد وحكم عليها بالإعدام، ثم خفف الحكم مراعاة لحالتها العقلية إلى السجن مدى الحياة بعد شهادة والدتها أنّ شطراً من العائلة له تاريخ مع الإصابة بالأمراض العقلية."

5-طبيب في مستشفى المجاذيب:

السعي لكشف المظالم كان من شيم صحافة زمان ومن أمثلة القصص التي نالت حظها من التسليط الإعلامي الكبير قضية الطبيب (علي عبد السلام) الذي تخرج عام **1928**م والتحق بالعمل في وزارة الصحة "طبيباً للأنكلستوما" براتب خمسة

عشر جنيهاً شهرياً، ومع اجتهاده تم نقله كمعيد بقسم البكتريولوجي، ثم كان قاب قوسين أو أدنى من أن يسافر في بعثة للخارج لكنها ذهبت إلى زميل آخر، ولم يفت ذلك في عضد صاحبنا فاستكمل مشواره في الدراسات العليا وحصل على دبلومة طب المناطق الحارة، وتتكرر القضية مرة أخرى مع بعثة أخرى تذهب لغيره، فعاد لمواصلة دراسته العليا وحصل على دبلومة جديدة في الصحة العامة، واعتزل الناس وعمل بمعمل صغير كطالب أبحاث دون أجر..

وفي عام **1936**م أتاه ما تمنى إذ تقرر إيفاده في بعثة لمدة ثلاث سنوات إلى جامعة كامبريدج لنيل الدكتوراه في البكتريولوجيا، كما حصل على ترقية للدرجة الخامسة بضعف راتبه الأول وابتسمت له الحياة أخيراً... سافر الباحث ومر عامان وكانت الجامعة تثني على عمله كما اختاره الدكتور إيان فلمينج مكتشف البنسلين معاوناً له في عدد من الأبحاث (بحسب روايته)، وفجأة يأتيه خطاب من القاهرة بأن الترقية ألغيت وأن مرتبه عاد خمسة عشر جنيهاً، فأرسل لإدارة البعثات يطلب إما إعادة الترقية أو إعفاءه من البعثة فوعدته الإدارة بتسوية الأمر مع المالية أما "هو فعليه تكريس جهده لدراسته".. رغم ذلك استمر جهاد صاحبنا ونال الدكتوراه أخيراً، وعاد للقاهرة وهناك اكتشف أن الموضوع لم يحل وأن مرتبه نقص خمسة عشر جنيهاً فرق الترقية الملغاة، وأن إدارة البعثات لم تتصل بالمالية، فانقطع عن العمل تحت وطأة حالته النفسية السيئة حتى يتم حل مشكلته ففصلته كلية الطب ورفضت طلبه تشكيل مجلس تحقيق للنظر في فصله. فوجه خطاباً لوزير المعارف محمود فهمي النقراشي يطلب إنصافه مهدداً إياه بالقتل!! فأحال النقراشي الخطاب للنائب العام لبحث جدية التهديد، فكان رد النائب العام أنه مظلوم حقاً فوعد

النقراشي بتسوية حالته. وحينما بدأ الوزير يفحص المسألة كان التغيير الوزاري قد حل مع حادث **4** فبراير **1942** م ورحل الوزير وأتت حكومة الوفد برئاسة مصطفى النحاس باشا فأرسل صاحبنا إليه يطلب الإنصاف ثلاث شكاوى متتالية، فلما لم تأتِ بنتيجة أرسل الرابعة تتضمن تهديداً له بضربه بالرصاص!! فكان النحاس أكثر تشدداً تجاه الخطاب فأحال الأمر إلى الطب الشرعي بدلاً من وزراة المعارف وقبض على الباحث ووضع تحت ملاحظة طبيب البوليس بمحافظة مصر "رشيد كرم" والذي أوصى بإيداعه مستشفى الأمراض العقلية حيث جاء في توصيفه للحالة أن الباحث "مختل الشعور" ويشعر أنه مغبون من رؤسائه والوزراء لأنهم لا ينصفونه ولا يسمحون له بمقابلتهم والأوفق له "أن يرسل إلى مستشفى العباسية الأميري"، وفعلاً يدخل المستشفى تحت رقم **6733** ليقضي هناك عشر سنوات من عمره في الفترة من **1942** وحتى عام **1951**م، كما جاء تقرير ملاحظة مدير المستشفى عن حالته ليوصي باستمرار حجزه مستنداً أنه "ما زال ينتقد النظم الحالية ويسعى لتغييرها وأنهم أهملوا مشروعاته التي تنفع البلد والعالم أجمع وأنه ومكتشف البنسلين في مستوى واحد متهماً الرؤساء المصريين أنهم بطالون وأن المالية رفضت ترقيته لأنه ليس من المحاسيب" وبشكل عام يميل للعزلة وكثير التدخل فيما لا يعنيه والواضح أن تشخيصه داخل المستشفى كان "البارانويا" وهو مرض نفسي يجعل صاحبه في شعور دائم بخداع الآخرين له وارتياب من محاولات الإيقاع به واضطهاده. وتستولي على نفسه أحاسيس مضطربة من شعور متزايد بتقدير الذات والتوجس الشديد من إعطاء الناس أي معلومات عنه خشية استخدامها في إيذائه. الطريف أن الدكتور "علي" كتب أثناء تواجده بالمستشفى دراسة عن عيوب قانون الحجز الجبري لمصابي

الأمراض العقلية نشرت بمجلة المحاماة ولاقت استحساناً إلى حد وصفها بالرصينة، وكان لها أبلغ الأثر في تعضيد موقف أسرته التي سعت عام **1951** م، ومحاميها الأستاذ الظاهر حسن أحمد أمام مجلس الدولة لندب خبراء من الأطباء العالميين لفحص حالته وجاء تقرير الخبير الأجنبي أن حالته ليست بارانويا أو جنون وذلك بحسب ما جاء في العدد **894** آخر ساعة **12** ديسمبر **1951**م..

طبعا لا أحد تتبع خيوط هذه القضية من أطرافها المتعددة للوقوف على مدى دقة ما فيها خاصة أنها كانت في وقت مبكر والبعثات العلمية كانت على أشدها وأعداد المتعلمين محدودة وفي حدود بحثي المتواضع لم يكن هناك شكاوى مماثلة، ولكن تبقى في إطارها العام قصة تحدث في مصر بشكل متكرر عبر عهودها المختلفة من سيطرة المحسوبيات وقسوة الشعور الذاتي بعدم التقدير وتكافؤ الفرص مما يلقي بالمرء بين خيارين لا ثالث لهما إما الاستسلام وما يفضي إليه من السقوط بين براثن المرض النفسي وإما الهروب لواقع أفضل والتخلي عن البلاد وكم نرى من كفاءات تركت مصر وتخلت عن جنسيتها طمعاً في رعاية ومستقبل أفضل.

طبعاً تجربة الدكتور "علي" كانت فريدة في تفاصيلها وحقل خصب للصحافة المصرية لتقترب من حياة المجانين والذين يقدر عددهم في هذه الفترة بنحو **5** آلاف شخص من الجنسين فتحدث عن تقمصهم لشخصيات تاريخية مثل: "ملك الملوك وهارون الرشيد، وسيف بن زي يزن والمهدي المنتظر" ومهن مختلفة مثل:" الشاعر والموسيقي والفنان والطبيب والصحفي" وأنّ بين كل مائة نزيل خمسة عقلاء، أما الباقون فهم خليط من المرضى متعددي الأعراض والواجب علاجهم..

وللأسف الصور التي نقلها تحولت للون من ألوان الكوميديا في السينما المصرية بدلاً من التوغل لسبر أغوار النفس البشرية، وبحث أسباب اضطرابها وأشكال الأمراض النفسية وطرق التعامل مع المرضى النفسيين وعدم النفور منهم والعمل على دمجهم داخل المجتمع على حسب حالاتهم ودرجة تعافيهم.

رابعاً: قضايا طريفة:

1-من القضايا الطريفة ما نشرته المقطم في **4** فبراير **1942** عن وفاة الشيخ عبد الحافظ البرعي من أهل شبرا والمدرس الأهلي في فوه فجأة، وكان يسكن في غرفته وعقب وفاته عثر في مسكنه على تركة كبيرة كان يخزنها وتقدر بخمسة آلاف جنيه منها **300** جنيه ذهب و **17** بنتو ذهب (تعادل الليرة الفرنسية التي تساوي **20** فرنكاً ذهبياً) و**20** قطعة ذهب كبيرة و**267** جنيه نقود فضة و**122** جنيه ورق بنكنوت و**90** جنيهاً "قروشاً" (يقصد فكة) وكان هذا المدرس يعمل في مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بفوه وفصل من عمله وألغيت المدرسة بعد ذلك، وواصل عمله في إعطاء دروس خصوصية وهو أعزب لم يتزوج وكان معروفاً بأنه من الفقراء وكان الناس يعطفون عليه وقد أودعت هذه النقود بنك مصر على ذمة إخوانه وأولاد أخيه.

2-سؤال من باب الطرافة كيف كان المذنبون وذووهم يستقبلون العقاب في الماضي؟!

نسوق هنا ثلاثة أمثلة:

المثال الأول: ما جاء في مجلة المصور العدد **1778** في **7** نوفمبر **1958**م من تنفيذ حكم الإعدام في مجدي يسى صدقي وزميله أبو بكر زكي وقد اشتركا في قتل الموسيقار الإيطالي كوفلر ووالدة أحد الضباط وهي نبوية يوسف والتي قتلت بشبرا عام **1956**م.

قبل الإعدام انتابت مجدي حمى التقبيل، وقد كان عشاؤه الأخير حمام محشي بالفريك، فقبل الضابط الذي أحضره من الزنزانة ومدير السجن ووكيله، واستقبل الموت مبتسماً على عكس ما كان أبو بكر فكان مضطرب الأعصاب مذهولاً ثائراً هائجا يصرخ أنا مظلوم، ثم يستغفر الله عما اقترف من آثام.

المثال الثاني: ما جاء في مجلة المصور في العدد **1404** في **7** سبتمبر **1951** م من مطالب (سعد إسكندر عبد المسيح) والمعروف إعلامياً بسفاح كرموز لإدارة السجن وكان وقتها على مشارف الإعدام (قتل ثلاثة وقيل تسعة عشر شخصاً) والتي جاءت على النحو التالي: "لبشة من قصب يمصها في زنزانته- حديد وأثقال يتمرن عليها مثل الأبطال الرياضيين -ورق أبيض وقلم من رصاص لكتابة مسرحية يمثلها يوسف وهبي بيك مع التنازل عن أجرها لصالح المساجين الفقراء - إرسال برقية للمطالبة بإلغاء معاهدة **1936** م- السماح له بإجازة سنوية في عمان أو إيران أسوة بالسجون الأجنبية ".. بالطبع كان مصير كل هذه المطالب هو الرفض من جانب إدارة السجن... وقد تم إعدامه في الساعة **8** صباح يوم **25** فبراير سنة **1953**م، حيث طلب "سيجارة" وكوب ماء، ثم واجه حبل المشنقة بالابتسام.

هذا حال المتهمين فما بال ذويهم خاصة الزوجات؟!

هلمّ بنا للمثال الثالث.

المثال الثالث: من القضايا الطريفة قضية الخوذات المزيفة والتي طالت أحمد سالم وهو من المصريين الأوائل الذين تعلموا الطيران وقاد طيارته الخاصة من لندن إلى القاهرة وعمل مديراً لاستوديو مصر، ثم في التصدير والاستيراد فضلاً عن العمل السينمائي وأشهر أفلامه فيلم "الماضي المجهول" مع ليلى مراد وكان زوج الفنانة أسمهان وقد أطلق الرصاص عليها ذات مرة بدافع الغيرة فاستدعت البوليس وأصيب بطلقات نارية في تبادل لإطلاق الرصاص معهم.

نعود للقضية التي نتحدث عنها وهي الخوذات المزيفة والتي تتخلص أن وزارة الحربية طرحت مناقصة عامة لشراء خوذات خاصة للجنود من صلب هادفيلد وصلب منجنيز لترسو المناقصة على أحمد سالم، لكنه ورد الخوذات بمواصفات أقل في الجودة ومخالفة للمواصفات فتم القبض عليه وحاول محاميه (وهيب دوس) الدفع بأن صلب هادفيلد ليس بالصلابة المنشودة وأن الصلب لا يحمي الجندي من الأذى.. طبعاً المحكمة لم تقتنع بهذا الهزل وتم الحكم على أحمد سالم بالسجن ستة أشهر..

ما نتوقف عنده هنا هو موقف زوجته وقتها الفنانة المثيرة للجدل أمينة البارودي (اسمها الحقيقي أمينة علي فؤاد طلبة وهي حفيدة محمود سامي البارودي وطلبة عصمت وكلاهما من قادة الثورة العرابية وورثت عنهما ثروة ضخمة) وكان أحمد سالم واحداً من زيجاتها التسع تقريباً (على الرغم من قصر حياتها إلا أنه من الصعب تقدير عدد زيجاتها على وجه الدقة لتضارب المصادر) كانت أمينة تحضر جلسات محاكمة زوجها في كل مرة بفستان جديد وقبعة جديدة مما جعل أغلب

سيدات مصر يتابعن جلسات القضية في الصحف لا لأحداثها أو تطوراتها أو لأنها تتعلق بشخص فنان مشهور، ولكن لمتابعة خطوط الموضة وأحدث صيحاتها والتي جسدتها أمينة البارودي أثناء سير الجلسات.

3- يقولون: "مصائب قوم عند قوم فوائد" ويقولون أيضاً: "مال الكنزي للنزهي" ففي اللطائف المصورة في عددها **708** في **3** سبتمبر **1928**م، جاء مصرع سميرة محمد حجازي صاحبة بار دار السمر في شارع المهدي في **21** أغسطس الماضي جراء الإفراط في السكر وعمرها خمسون عاماً وكان بصحبتها في منزلها في شارع قنطرة الدكة أحد البكوات وقد أغشي عليه أيضاً من فرط الشراب، لكن تم إنقاذه وكتب له عمر جديد (فهل يا ترى قضاه في الطاعة وقد رأى أمام عينيه موت الفجاءة؟! ربما نعم وربما لا.. طبعاً المجلة لم تذكر اسمه بعكس السيدة ففي الاعتبار تفاوت طبقي.) الطريف أن المجلة أحصت أموال الفقيدة بأربعة آلاف جنيه انتقلت لابنها محمود والذي أصبح في لمح بالبصر غنياً بعد أن كان معدماً شريداً بحسب المجلة! سؤال هامش هل حلال هذا الميراث.. حكى لي صديقٌ عن أحد أساتذة الجامعات وكان من متصيدي الطلبة الخليجين القادمين للدراسات العليا من أجل جني المال منهم نظير إنهاء متطلبات الدرجات العلمية في أسرع وقت وفي لحظة صفاء حكى لصديقي مباهياً أنه يأخذ أموالاً نظير خدمات بحثية (معامل خارجية - دروس- كتابة رسائل) وليس كغيره من الأساتذة الجامعيين يتقاضون أموالاً طائلة دون وجه حق! وراح يختص بالقول الأخير دكتوراً معيناً كان أكبر منه درجة وظيفية وعمراً وكان يمقته لأنه دائم السباب له على مرأى ومسمع من الجميع، ثم طرح سؤالاً أمام صديقي غريب عن أموال هذا الأستاذ وكان مصاباً بفيروس الكبد الوبائي سي،

حينما يموت أحلال أم حرام لأسرته من بعده؟ وفي نفس اللحظة أجاب بأنها حلال لأنهم لا يعرفون مصدرها.

4-اشتمل العدد **24** من مجلة الدنيا المصورة في **30** أكتوبر **1929**م على حادثة طريفة خلاصتها أن (ع.د) شاب مصري يعمل مدرساً بمدرسة المعلمين الأولية بسوهاج وقد استهوته الحياة الإنجليزية فراح يتتبع أخبارها.. عدم وفاقه مع زوجته القبطية دفعه للسعي في طلاقها ونظراً لتعقد الإجراءات وفصله من عمله نتيجة لمتابعته إجراءات التقاضي في القاهرة مما دفعه لاعتناق الإسلام في سبيل الإسراع في الطلاق وتسمى (ع.ف) وانتقل للإقامة بالقاهرة مع والده ووالدته وإخوته في منزلهم بعطفة البتانوني في عابدين. شغف (ع) بمطالعة مجلة عالم المعلمين الإنجليزية أوقعه في شباك الحب حيث أعجب بإحدى كاتبات المجلة وكانت معلمة إنجليزية من مانشستر تدعى المس (ف.ب) عمرها **31** عاماً، وتخصصها أدب إنجليزي فأرسل إعجابه بكتاباتها، ثم تطور الأمر إلى تبادل الصور والمواعدة للقاء بمصر حيث حضرت المعلمة في إجازتها لمصر.. كان المعلم قد فقد عمله وبالتالي ما من سبيل لاستضافة فتاته إلا بمنزل أسرته.. بعد فترة قصيرة شق على الفتاة المعيشة في مصر وبدأت تسوء صحتها وأصيبت بالحمى فمنع عنها الطعام إلا اللبن بأمر الطبيب (غريب هذا الإجراء) وبدأت تطاردها الوساوس وأن خطيبها المصري يحاول قتلها بالسم تارة أو يجلب لغرفتها سباع مفترسة ويطلقها عليها.. وفي فجر إحدى الأيام صممت الفتاة على الخروج رغماً عن خطيبها الذي حاول إثناءَها دون جدوى فحملتها قدماها لقسم عابدين وهناك اتهمت خطيبها المصري بسوء المعاملة وإرهاقها بالعذاب ومنع الطعام عنها ودس السم لها وأنها في دور الاختصار..

تم إخطار قنصلية إنجلترا والمحافظة والنيابة العمومية والقسم الأوروبي بفرقة ب، وتم نقل الفتاة إلى مستشفى الأنجلو أميركان بالجزيرة بعد إصابتها بالحمى وقد خارت قواها فيما تم التحقيق مع الخطيب المصري الذي فند الاتهامات وبعد فحص الفتاة تبين أنها ليست مصابة بأي عرض من أعراض التسمم. لم تحدد المجلة على وجه الدقة مرض الفتاة لكن أعراض مثل الحمى والإغماء مع تجنب الطعام والشراب والاكتفاء بالحليب، فقد يكون مرض الفتاة نابعاً من تغيير البيئة وربما إصابتها بالالتهاب المعوي المعدي مع الطعام والشراب الملوث بالبكتيريا والطفيليات في البيئة المصرية المتوسطة الحال والفقيرة ولا أفهم وجهة النظر الطبية التي استند لها الشاب ورددتها المجلة دون فحص وتمحيص في منح الحليب فقط وهو الخيار غير المفضل أحياناً مع ارتفاع درجات الحرارة والإسهال والقيء والعلاج المناسب هو التدرج في تناول الأطعمة الخفيفة سهلة الهضم مع بعض السوائل المعوضة وهي حقائق طبية بسيطة وثابتة لا تختلف من زمن لآخر..

الطريف أن المجلة أجرت حواراً مع الخطيب المصري أبدى فيه ترقبه لشفاء خطيبته والاقتران بها وقضاء شهر العسل في مكان بعيد خارج القاهرة.. فهل هذا حدث؟! أشك ولكن الله أعلم.

5-من عادات الموظف المصري أن يبدأ يومه متأخراً في العمل نادراً ما تجده مبتسماً إلا مع أقرانه من العاملين في المكتب أثناء الفطور الجماعي، فالابتسام للعميل مؤكد حرام. وبعد تناول الشاي باللبن وهي عادة مصرية صميمة وقد عرفت زميلاً بالريف كان لا يعترف إلا باللبن البقري الطازج حتى يجتمع له الفائدة الغذائية من

الحليب مع التركيز الذي يحصل عليه من الشاي وقد اقتنى بقرة في منزله لضمان الجودة!

"يا ضياع فلوسك يا أبو صلاح" (اسم صديقي صاحب البقرة) فإضافة اللبن للشاي يقلل من الخصائص المفيدة للشاي على الجهاز القلبي الوعائي والأوعية الدموية وذلك لارتباط الكازين **casein** (بروتين الحليب) مع البولفينول خاصة **catechin** (الموجود بالشاي) والحسنة الوحيدة من اجتماع الشاي باللبن هو تقليل التصبغات التي يحدثها الشاي بالأسنان وهي مسألة ليست مفيدة ولا أهمية لها للموظف المصري الشره للسجائر.. بعد كل هذا يبدأ الموظف مهامه بتعذيب العملاء لنيل الإمضاءات بين المكاتب المختلفة ويا حبذا لو في الأمر دفع أموال للخزانة أو استرداد أموال فحساب المبلغ المقدر لا يعتمد على الكمبيوتر وقد يستغرق ساعات بين عدد من الموظفين يتبارون في استعراض وجهات النظر ووضع معادلات يعجز عن فهمها آينشتاين وفيثاغورس وأقليدس مجتمعين لذلك، فالأداء الحكومي الروتيني لا أعتقد أنه تغير بين الأمس واليوم بأكثر من إلغاء الطربوش!

ولنا بين ظلال الماضي قصة طريفة فوفقاً لخبر نشرته مجلة آخر ساعة في عددها **589** بتاريخ **1** فبراير **1946** من أن أحد أعيان الريف كان له **37** قرشاً لدى بنك التسليف نفقات نقل قمح أرسله إلى مخازن البنك في عاصمة المركز الذي يبعد عن قريته ثلاثة كيلومترات فطالب البنك بها..

وكأنها "حسبة برما" غرق فيها البنك حينما أراد أن يتيقن من أن المسافة بين القرية ومقر البنك ثلاث كيلومترات حقاً حتى يتأكد من صحة المبلغ مقارنة بالمسافة! فأحيل الطلب إلى مأمور المركز لتحديد المسافة والتكرم بالإفادة ومن

المأمور مر الطلب بدورة كاملة كالتالي: "معاون البوليس- معاون الإدارة-كاتب الغفر-البلوكامين-المطافئ-مهندس الري-الخبير الزراعي-طبيب الصحة-الصراف-محضر المحكمة" لم يجد محضر المحكمة وقد استقر لديه الطلب من يلقيه عليه وبعد قدح زناد فكره فتح الله عليه بعد شرب الشاي باللبن، وأعاد الطلب للصراف بأنه ليس من اختصاصه فعادت الدورة مرة أخرى بين الأطراف جميعها سابقي الذكر حتى عاد الطلب إلى محطته الأولى ببنك التسليف مشفوعاً بعدم الاختصاص!

طبعاً هذه المخاطبات استغرقت سنة حتى يأس الرجل من أن يحصل على ماله من البنك وتسخر المجلة من القضية برمتها فتعلق بأن قياس مسافة كان تحديدها يستغرق ثانية على الخريطة أو دقيقة من ناظر المحطة "لو هرش رأسه ثلاث مرات" تستدعي عاماً من عمر الوطن بلغ فيه عدد المرافعات **22** ومات في القطر المصري **259** ألف شخص وولد **714** ألف مولود!

6- قضية الحجر على الشاب عبد الحميد بيك الشواربي البالغ من العمر واحد وعشرين سنة وتخصيص مبلغ ألف جنيه فقط نفقة شهرية، وهو ابن الشواربي باشا من كبار أثرياء القطر المصري لكن الابن الوريث نشأ لاهياً، فلم يستكمل دراسته مع رسوبه المتكرر والتف حوله قرناء السوء فزينوا له التبذير والإسراف الشديد، وبحسب المذكرة التي رفعها للمجلس الحسبي العالي حامد باشا الشواربي الذي كان قيّماً على عبد الحميد قبل بلوغه سن الرشد، ثم عاد قيّماً عليه مرة أخرى بقرار المجلس مع فؤاد بيك سلطان كمشرف، فقد أنفق عبد الحميد بيك الشواربي **61675** جنيه و**915** مليم في الفترة من إبريل إلى سبتمبر **1927** م أي في غضون

ستة أشهر فقط، وجاء في المذكرة بحسب ما أوردته مجلة مصر الحديثة المصورة (مجلة عمومية مصورة تصدر مرة في الشهر وقتياً ورئيس التحرير المسؤول توفيق اليازجي) في العدد الثاني بتاريخ **15** نوفمبر **1927**م أن هذا المبلغ الهائل في هذه المدة القصيرة للغاية تضمن **21050** جنيه، أثمان مجوهرات لزوجته (بيتريس زكرمان) وعدد من الراقصات والممثلات فضلاً عن **17247** جنيه ثمن سيارات في سنة واحدة.

ملحوظة هامة: هذه القضايا تتضمن أسماء ووقائع وتفاصيل نقلاً عن الصحف في أوقات حدوثها ولا تتضمن الأحكام النهائية في القضايا في كثير من الأحيان والتي قد تؤيد الاتهامات بشأن الواقعة أو تبرئه منها، وكذلك لا تتضمن وجهات النظر المختلفة لأطرافها وذلك لعدم إمكانية البحث بين آلاف الأعداد من الصحف القديمة عن مسار وتداعيات هذه القضايا غير المشهورة والتي قد تظل داخل أروقة المحاكم لسنوات وتنقطع أخبارها كما أنها من الناحية العملية غاية لا تدرك أحياناً في ظل عدم وجود أرشيف كامل خاص بكثير من هذه الصحف النادرة التي تناولت هذه القضايا لدي ولدى غيري وعدم وجود قاعدة بيانات كاملة لأعدادها على الإنترنت وقد تتيسر مهمة البحث في قليل من الأحيان لكن يفاجئك عدم اهتمام الصحف نفسها في كثير من الأحيان بتتبع الأحكام النهائية لهذه القضايا والاكتفاء بمقدماتها.. على سبيل المثال لا الحصر: تريد أن تضمن في مبحثك عن جرائم القتل مثالاً من الحقبة الملكية وليكن مقتل الفتاة "عز العوامي"، والتي وجدت جثتها في قناة المحمودية بجهة حجر النواتية وأشارت أصابع الاتهام في آخر

سبتمبر **1948** م إلى ابنيّ عمها عبد العزيز، وعبد السلام العوامي إذ قيل إنه سبق لهما أن حاولا قتلها لأنها أرادت الاقتران بزوج أختهما.. ربما تنقل الخبر من صحيفة على هذا المنوال وتضع بجوارها التاريخ وتكتفي ولا تدري أنك لو قلبت في أرشيف الأهرام حتى تصل للعدد **22768** في **30** ديسمبر **1948** م ستجد مربعاً صغيراً قد لا تلمحه عيناك المجهدتان يشير إلى أنه بعد التحقيق مع الشخصين سالفي الذكر في نيابة إيتاي البارود لأنهما في منطقتها اتضح عدم وجود علاقة لهما بالجناية وأن نيابة الرمل قد قدمت تحقيقها لرئيس النيابة مشفوعاً باقتراح تقييدها ضد مجهول.

هذا طبعاً قد تقودك المصادفة البحتة إليه إذ من العسير أن تتبع مسار قضايا صغيرة كتلك قد تطول لسنوات عبر أرشيف نادر كالأهرام مثلاً قد يسعد طالعك إن وجدت عدة أعداد متتالية لعام واحد منه لدى أحد باعة الصحف ومحال أن تجده مكتملاً لعدة سنوات متتالية خاصة لو أوغلت في القدم لدى أحد لا إلكترونياً ولا ورقياً..

ولذلك فهذه القضايا الغرض منها في هذا المبحث ليش التشهير أو التصيد للآخرين ممن وراهم الثري رحمهم الله وغفر لنا ولهم جميعاً إنما النصح والاعتبار من أجل حاضر ومستقبل أفضل وفقط..

****

الفصل الثاني

متفرقات من أدب الرسائل والإهداءات والخطابة والاقتباسات وصنوف المديح الشعبية والنخبوية وأشكال الشكر وصور الرثاء ونماذج من لغو الحديث وغيرها في الزمن الماضي..

تمهيد:

لعلّ الماضي في هذه الوجهة زمن التناقضات الأدبية بحق فقد جمع بين المديح الزائد الذي لا يخلو أحياناً من غرض وبعضه أقرب للنفاق والتزلف وبين المشاعر الجياشة وعذوبة الإحساس وخفايا النفس وضعفها وأناقة الكلمة وسحرها في سلة واحدة..

ونستعرض هنا بعض النماذج ونترك للقارئ الحكم السديد عليها حباً ورفضاً وتعلقاً ومحبة وبكاءً ورفضاً وسخرية أيضاً:

1-من صور المديح:

المديح تزلفاً ومن أمثلته:

المثال الأول: حمل كتاب "في صحراء ليبيا لأحمد محمد حسنين إهداء للملك فؤاد: "إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول.. بنورك اهتديت في مجاهل الصحراء فاقتحمتها يحدوني صوت الأمل في رضاك وتظلّلني رعايتك في جوها اللافح وشمسها المحرقة وبعطفك وتشجيعك مضيت فلان لي صعبها وسهل حزنها وقصر بي مداها البعيد فطويتها كما ينطوي هذا الكتاب الذي تشرف باسمك على ما يكنه لك

عبدك الخاضع من إخلاص وولاء وأني لأتقدم به إليك كما يتقدم قاطف الزهرة إلى غارسها وساقيها ومجتني الثمرة إلى متعهدها وراعيها ومازلت يا مولاي عبدك الخاضع المطيع أحمد محمد حسنين" طبعاً لا يخفى عن القارئ أن صاحب الإهداء هو أحمد حسنين باشا رئيس الديوان وزوج الملكة نازلي أرملة الملك فؤاد فيما بعد!

المثال الثاني: ما تضمنه نهج البردة لأمير الشعراء أحمد شوقي في إهدائه للخديوي عباس حلمي الثاني من ابتغاء عرض الدنيا بعمل كان الأولى منه فيه أن يكون خالصاً لله وقد جاء في مدح الأنام المصطفى صلى الله عليه وسلم إذ يقول: "المليك المعظم الحاج عباس حلمي الثاني.. مولاي.. رأى الله لهذا العبد الخاضع شاعر بيتك الكريم أن يمشي بنور العلم الفرد المغفور له (البوصيري) صاحب القصيدة الشهيرة (بالبردة) في مدح خير الأنام عليه الصلاة والسلام فنظمت هذه الكلمة التي أسأل الله وأرجو من رسوله قبولها وجعلها يا مولاي لحجتك المبرورة (تذكارها-**1327**) كلما تناقل الناس أخبارها.. عبدكم شوقي ".

ما أتمناه صدقا أن تزول هالة التقديس لدى بعض الكتاب الإسلاميين حول شوقي فقد كان الرجل يعاقر الخمر طيلة حياته وحتى وفاته بحسب شهادة سكرتيره عنه أحمد عبد الوهاب أبو العز في كتابه " إثني عشر عاما في صحبة أمير الشعراء" كما أنه كان من مؤيدي تنظيم النسل امتثالا للعقلية الأوروبية الداعية لذلك فقد حدث أن رزق سكرتيره بمولود رابع فنصحه شوقي بتنظيم النسل وكان السكرتير يخشى معاكسة القدر فحذره شوقي من أن كثرتهم ربما تصبح سر شقائهم فيما بعد فحمل السكرتير مصحفه وصلى استخارة فكان أول ما وقع بصره عليه بعدها قوله تعالى في سورة الإسراء: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ

وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (31))وأسر بهمه لزوجته فلما عاود مقابلة شوقي مرة أخرى وجده قد عدل عن رأيه السابق معتبرا إياه من شواذ الحضارة!!!.. المذكرات لا تخلو من طرافة فمن عادات شوقي عدم حمل كيس للنقود وتوزيعها بين الجيوب فكان يضع بعضا منها مع أوراقه والفضية منها في جيوب صديرتيه فإذا تمكن أحد من سرقته وجد بقية من النقود معه وهو ما ذهبت إليه أنا أيضا بعد حادثة نشلي

المثال الثالث: ما جاء في كتاب التاج في قواعد اللغة العربية وتطبيقاتها لمحمد لبيب المدرس بمدرسة بنبا قادن الثانوية الأميرية وسيد طلبه القصاص المدرس بمدرسة الشيخ صالح الأميرية وسيد علي أحمد المدرس بمدرسة محمد علي الملكية الأميرية وحسن محمود حسونة المدرس بمدرسة الشيخ صالح الأميرية **1936** م الطبعة الثانية: "إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا فاروق الأول ملك مصر. يا صاحب الجلالة إلى مقامكم العالي نرفع كتابنا الذي ألفناه في ظلال العرش وأسميناه كتاب التاج، وقد تم نسجه وانتظم عقده وجلالتكم ولي النعمة ورب التاج. وكنا قد شرفنا برفعه إليكم وأنتم ولي العهد وقرة عين البلاد فشملنا من جلالتكم عطف كريم.. وما كان أحرانا أن نوفق ونحن إذ ذاك في مدارس الأوقاف الملكية التي غمرها المليك بنعمه وشملها بعطفه.. نرفعه بيد الولاء والإخلاص مبتهلين إلى الله أن يمتع البلاد في حياتكم السعيدة بخير ما ترجون لها من عزة وهناءة وسلام... خدمكم المخلصون".

المثال الرابع: أحياناً يؤثر الإطراء في نظرة القارئ للعمل علاوة على انعكاس هذا المديح على الاقتصار من حجم العمل ليلائم فترة محددة أو مناسبة أو جملة مناسبات

متعلقة بالممدوح وهذا ما نجده منطبقاً على كتاب (تاريخ المساجد الأثرية التي صلى فيها فريضة الجمعة حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول) لحسن عبد الوهاب... إذ أن العنوان وحده كفيل بجعل القارئ يعتقد أنه على مشارف عمل مختزل مدرج لتشريف عدة مناسبات خاصة بالملك على غير الحقيقة، فقد تضمن الكتاب مجموعة من الأبحاث والملاحظات القيمة وإن جاءت مختصة بجملة من المساجد دون غيرها لمجرد صلاة الملك فيها، وليس في إطار بحث علمي تاريخي موسوعي عنوانه تاريخ المساجد الأثرية في مصر والتاريخ هو الباقي بينما البشر زائلون. يقول المؤلف في المقدمة: "حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك الصالح فاروق الأول ملك مصر.. مولاي.. إلى مقامك السامي أتشرف بأن أرفع تاريخ مجموعة من المساجد الأثرية في عاصمة ملكك السعيد كان من حسن طالعها إشراق نور طلعتك عليها بأدائك فريضة الجمعة فيها. ومن بشائر اليمن أن تزدهر المساجد وتعمر في عهدك السعيد (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ). ولقد عم فضلك يا مولاي نواحي الحياة جميعها وانتفع بإرشادك وحسن توجيهك العالم والصانع والفنان (لاحظ أن فاروق لم يحصل على أي شهادة تعليمية في حياته) وسرت على نهج من خلد التاريخ ذكرهم في نشر العلوم والفنون فشجعت العلماء والمؤلفين وأضفت إلى تراث مصر ثروة علمية وفنية تنطق بفضلك ورعايتك وكان لتاريخ مصر وآثارها أوفر نصيب.. وإن الرعاية التي تشمل بها رعاياك المخلصين وما تبثه فيهم من روح التنشيط قد بعثت فيهم الهمة وقوة العزيمة.. وإنها لمنة كبرى يا مولاي أن يوفقني الله لإخراج هذا السفر مشمولاً برعايتك وعنايتك.. دمت يا مولاي نصيراً للعلوم وعماداً للفنون... العبد الخاضع المخلص حسن عبد الوهاب".

المثال الخامس: كتاب "فؤاد الأول" لسردار إقبال على شاه نقله بتصرف محمد عبد الحميد وجاء في إهداء الناقل" إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول. مولاي أخذتني روعة هذه الصورة التي أرادها سردار إقبال على شاه لوالدكم العظيم.. فآثرت أن أنقلها إلى اللغة العربية لتكون تحية صادقة في مناسبة الذكرى الثالثة للراحل الكريم... وإني يا مولاي لجلالتكم الخادم المخلص الأمين.. محمد عبد الحميد.. القاهرة 16 إبريل 1939م".

المثال السادس: كتاب "دليل الشرقية في وصف بلاد المديرية" تأليف سعودي چلبي طبع بمطبعة علي أحمد سكر بشارع محمد علي بمصر 1319 هجرية (بين عامي 1901-1902م) وإهداء لصاحب السعادة عمر بيك رشدي مدير الشرقية "وها هو بإحدى يدي أتقدم به إليك (يقصد الكتاب) والأخرى مبسوطة للإجابة تأمل من مولاي أن يفسح له جانب كرمه محلاً للقبول وتنشيطاً لمقدمه وجبراً لخاطر مؤلفه وبعثاً لهمته وعلى الله الاتكال وإليه المرجع والمآل".

المثال السابع: كتاب "السودان بين يدي غردون وكتشنر.. تأليف إبراهيم فوزي باشا الجزء الأول.. طبع على نفقة مؤلفه وإدارة جريدة المؤيد (شكل من أشكال النشر بالمناصفة قديماً) صفر 1319 هجرية (بين عامي 1901-1902م)" وفيه إهداء من المؤلف "إلى سدة مولاي وولي نعمتي الخديوي المعظم عباس باشا حلمي الثاني الأفخم.. هذه يا مولاي معلومات ومشاهدات شخص من رعيتك قضى في السودان أكثر عمره.. رأى كل ضروب الرخاء والشقاء.. وهي حوالي الثلاثين سنة ما تسنت لمصري غيري.. ولذلك رأيت أن أجعلها بين دفتيّ كتابي هذا.. فتقبل يا مولاي هذه

الخدمة التي قام بها جهد المستطاع عبد من أخلص مخلصي رعيتك لسدتك لم ينسَ في كل أطواره واجب ولاء عبوديتك (مؤسف للغاية أليس كذلك)".

المثال الثامن: ما ورد بكتاب التربية بالقصص لمطالعات المدرسة والمنزل -مقرر المطالعة للسنة الثانية الابتدائية للبنين والبنات لحامد القصبي مدير أعمال مساعد تنظيم القاهرة حيث جاء الإهداء إلى حضرة صاحبة السمو الملكي الأميرة فوزية: "مولاتي.. هذا هو الجزء الثاني من كتاب التربية بالقصص.. حليته بصورتك ولي الشرف بأن أهديه إلى مقامك السامي.. العبد الخاضع حامد القصبي. إبريل **1934**م".

المديح إظاهرا للولاء ومن أمثلته:

المثال الأول: إهداء المؤلف عادل الغضبان كتابه "أحمس الأول أو طرد الرعاة (**1934**)" إلى صاحب السمو الملكي الأمير فاروق رعاه الله:

"يا أمير النشء يا خير الورى سؤددا يا ابن الهزبر الأغلب
أنت للنيل المنى فاسم به في المعالي فوق هام السحب
وتشبه بأبيك الخير في نصرة الفنون ونشر الأدب"

المثال الثاني: من العدد **22806** بصحيفة الأهرام في **13** فبراير **1949**م وقصيدة تحت عنوان "تحية من الجنة" نشرتها الصحيفة وكان الشاعر علي الجارم بيك قد نظمها بمناسبة عيد ميلاد صاحب الجلالة الملك فاروق، لكن الموت عاجله فحملها عنه ابنه الأديب بدر الدين الجارم.. تقول:

"ولد السعد يوم مولد فاروق ورنت مزاهر الأفراح.

من كفاروق العظيم مليكا علوي الجلال رحب السماح.
حارب الفقر والجهالة والأمراض حرباً شفت أليم الجراح.
كم سلاح له يرد العوادي وسلاح للخير والإصلاح.
كيف يسمو شعري إلى أوج قدس عز مكنونه على الإفصاح"

المثال الثالث: كتاب (مرشد الخلق إلى طريق الحق) لمؤلفه أحمد التابعي الحائز على شهادة التدريس الانتهائية من دار العلوم الخديوية والمستخدم "الآن" بديوان عموم الأوقاف بمصر واشتمل على إهداء إلى "سعادة المفضال حسين رشدي باشا طبوزاده مدير الأوقاف العمومية.. يا صاحب الأيادي البيضاء وناصر من يخدم الشريعة السمحاء.. أراني سعيداً بانتهاز هذه الفرصة الثمينة التي ساقها إليّ حب الخير بتقديم كتابي هذا لسعادتكم".

المثال الرابع: من كتاب (الحرب) الصادر عن وزارة الدفاع الوطني - الجيش المصري تأليف النقيب محمد عثمان من حرس جلالة الملك -خريج كلية ساند هرست الحربية الملكية بإنجلترا **1939** م حيث جاء في الإهداء: "إلى القائد الأعلى للجيش حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول.. مولاي.. إن لي غاية الشرف أن أكون ضابطاً في حرس جلالتكم ولي أسمى الفخر بأن أتقدم للأعتاب الملكية بإهداء هذا الكتاب وقد شجعني على وضعه يا مولاي ما حبوتم به الجيش من العطف السامي والشرف الرفيع وما لجلالتكم من الآثار الخالدة في نشر الثقافة العربية وما لذاتكم الكريمة من الآيات البينات في ترقية الجيش ورفع مستواه والنهوض به إلى المكانة العليا التي تودوها جلالتكم والله أسأل يا مولاي يديم عهدكم السعيد وأن

يكلأكم بعنايته ويرعاكم برعايته إنه سميع مجيب.. عابدين في 16 ديسمبر 1937 م.. عبدكم المخلص نقيب محمد عثمان ".

المثال الخامس: قصيدة الفاضل محمد أفندي فتحي ناظر مدرسة بنها في احتفالات عيد الفطر التي حضرها الخديوي عباس حلمي الثاني ومطلعها: "أدم لمصرك رغماً عن أعاديكا.. مراسم العز فالدنيا مواليكا "وذلك بحسب مجلة الاستاذ التي كان يصدرها النديم في 25 إبريل 1893م.

المثال السادس: كلمة صاحب المعالي محمد توفيق رفعت باشا رئيس مجمع اللغة العربية في مجلة "مجمع اللغة العربية الملكي الجزء الأول" في أكتوبر 1934 م: "تيمناً باسمك الكريم ننوه به بدأة ذي بدء في مفتتح الصفحة الأولى من هذه المجلة... لنحمد الله في الخافية والعلانية والجهارة والكتمان أن قيض لها هذا العهد المشدو والعصر المحدو للملك العبقري السرمدي الذكر الأبدي الأثرة الكثير الأعطيات الوافر المنن والهبات حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر "

المديح لغرض ومن أمثلته:

المثال الأول: في كتاب "سهل القريض لناظمه محمود شكري رئيس إدارة مديرية البحيرة سابقاً بداره رقم 22 شارع محمد علي بمصر الجزء السابع 1937 م".

نجده يكيل المديح للملك فاروق من أجل بقاء المحافظ سعادة محمود صدقي باشا في منصبه! فيقول: " إلى جلالة الملك المعظم..

آمالنا ورجاء الناس قاطبة.. من المليك عظيم الفضل والجود.

إطالة الخدمة الجلي منافعها.. لأنزه الحاكمين الندب (محمود).
ترجوه مصر بل الدنيا بأجمعها.. بقاءه ردحاً من غير تحديد.
فضلى سجاياه لا تخفى على أحد.. فهو الحقيق بعطف منك ممدود".

المثال الثاني: كتب صاحب العطوفة إدريس بيك راغب الأستاذ الأعظم للماسون في مصر عريضة "استرحام" للملك فؤاد بحق سعد زغلول باشا بعد نفيه إلى جزيرة سيشل في المحيط الهندي يقولك "نلتمس من عطفكم الأبوي بصفتكم الملاذ الأوحد للأمة المصرية أن (تشملوا) أخانا سعد زغلول باشا برحمتكم فتأمروا بإنقاذه من مكان أجمع الأطباء أنه (يتعب) بصحته ويضر بحياته ومولانا الملك هو خير من يحافظ على أفراد المصريين عموماً، ولاسيما أنهم أدوا للوطن الخدم الكبرى والمحفل الأكبر على يقين من أن جلالة ملك مصر لا يسمح (بقلبه الرحيم) بأن يقضي هذا الشيخ ما بقى من عمره بعيداً عن الأهل والوطن "وذلك بحسب ما جاء في اللطائف المصورة في عددها **378** في **8** مايو **1922**م. الأقواس في بعض الكلمات هي محاولة مني لتعويض بعض الكلمات والتي انطمست من الأصل لدي بفعل الزمن!!
لكن من هو إدريس بيك راغب؟!

بحسب ما جاء بسيرة هذا الرجل الغامض في كتاب (الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية) لشاهين مكاريوس طبعة **1897**م فقصته تبدأ مع ظهور والده إسماعيل باشا راغب على مسرح الحياة السياسية وكان له دور كبير ومؤثر في مجرياتها..

نزح إسماعيل إلى مصر من موطنه الأصلي بالمورة إبان حروب اليونان مع الدولة العثمانية وكان لازال صبياً بصحبة أبيه ونظراً لنبوغه الملحوظ ألحق بالمدرسة

الأميرية بأبي زعبل ومع تفوقه على أقرانه دخل إسماعيل في معية محمد علي باشا الكبير بوظيفة كاتب ومما يروى عن ثقة محمد علي باشا به أنه دخل ذات مرة ليختم أوراقاً من الباشا فدخل في عقبه (سامي باشا) رئيس الديوان فتمهل سامي باشا في عرض ما لديه حتى ينتهي الكاتب من عمله ويخرج فقال له محمد علي باشا: "أَوَيُكْتَمُ عن هذا سِرٌّ؟ اعرض ما عندك، فهذا كابني". وحدث أن خالف إبراهيم باشا في حكم بقتل شخص اجتمع عليه الحضور وطالب بإعادة النظر في الدعوى فغضب إبراهيم باشا وقال له: "أوافقك على نظر الدعوى مرةً ثانيةً، فإن كانت معارضتك على غير حقٍّ قتلتك مع الرجل".. فقال: "يا أفندينا إن الأعضاءَ رأوا رأيك فهم لا يتحوَّلون عنه، وإنما أرجو من أفندينا أن ينظرها وحده وله الحكم بعد ذلك". ولما راجع إبراهيم باشا أوراق الدعوى مرة أخرى تأكد من صحة رأي راغب باشا.. في عهد الوالي عباس حلمي الأول اختار الانزواء مثل الكثيرين ممن اختاروا ذلك رغبة في الحفاظ على حياتهم من غرابة أطوار الوالي الجديد وفي عهد سعيد باشا اتسع نفوذ إسماعيل باشا راغب وجمع بين وظائف عديدة فأصبح ناظراً على الجهادية والخارجية، وناظراً على المالية.

لكن رغم إقبال الحياة عليه كان راغب باشا في هم دائم إذ لم يكن يعيش له ولد ولما رزق بابنه إدريس موضوع حلقتنا أحاطه بسياج منيع من الإجراءات الاحترازية خشية فقده فنصحه الأطباء بتخفيفها كي لا تأتي بنتائج عكسية والطريف أن الوالي سعيد باشا وكان معروفاً عنه طيبة القلب كان "يبعث بالتلغراف إلى مصر وهو في الإسكندرية يسأل كل يوم عن صحة المولود ويبشر بنفسهِ وزيره بصحة ولده".

وفي عهد الخديوي إسماعيل قلده وظيفة باشمعاون وكان يثق به ويزوره في بيته وحدث أن أنعم عليه الخديوي بثلاثين ألف جنيه فاعتذر عن أخذها مراعاة لحالة المالية المصرية المتعسرة..

أصيب إسماعيل باشا راغب بالشلل والسبب بحسب رواية الكتاب أنّ "رجلاً فرنسيّاً من أقارب «موسيو دلونكل» الشهير جاءَ إلى مصر وعرض عليهِ قرضاً" ودارت بينهما مفاوضات حول شروط القرض.. المضحك في هذه القصة أن الخديوي إسماعيل حذره بفراسته من الوثوق بالمقرض الفرنسي.. تصور يا مؤمن من ينصح من؟! ولما تيقن الرجل من صدق فراسة الخديوي كان قد وقع بالفخ فلم يحتمل وأصيب بشلل تعافى منه لكن بقي أثره ظاهراً إلى أن توفي لكن لم يعوقه عن مباشرة أعماله.. كما شغل منصب رئيس الوزارة إبان الثورة العرابية..

نأتي إلى الابن إدريس والذي أتاحت له مكانة والده وفرة من المعيشة الهنيئة الرغدة وجيء له بأفاضل المعلمين والأساتذة في اللغات فأجاد اللغة الفرنسية والإنجليزية والتركية والعربية وكان له باع في العلوم الرياضية، وبلغت به درجة الإتقان أن كان ينشر مقالات علمية ورياضية بجريدة المقتطف بطبعتها ببيروت...

وفي عام **1889**م تم تعيينه في منصب نائب قاضٍ في المحكمة الأهلية، ثم قاضياً في محكمة مصر الأهلية وينسب له الكتاب الدور الأبرز في "كشف مخبآت قضية «مصطفى باشا الخازندار» الشهيرة، وأظهر بواطنها" وهذا ليس صحيحاً تماماً وهنا نتوقف عند ظاهرة الثقة التامة في الكتب القديمة خاصة كتب السير والتراجم والأخذ منها دون احتراز وتيقن خاصة أن أشد ما يعيب كتب التراجم والسير بصفة عامة إسهابها في كيل الفضائل للشخص دون تمحيص..

الحادثة تتلخص أن ممتاز بيك مملوك مصطفى باشا الخازندار ادعى بعد وفاة سيده أنه أوصى له لكونه مملوكه بثلث أمواله ولم يكن للخازندار وريث سوى البرنس حليم.. شجع الشيخ عبد الرحمن البحراوي وكان من كبار العلماء ورئيس دائرة في المحكمة العليا الشرعية ممتاز على فتح خزائن سيده والاستيلاء على ما فيها من أوراق وأموال لا تقل عن خمسين ألف جنيه، كما تلقى المحامي أحمد الحسيني وكيل ممتاز مبلغ ثلاثة آلاف جنيه من مال يعلم أنه مسروق وأصبح الشركاء جميعاً في قفص الاتهام بعد أن شكا الأمير حليم بحكم كونه الوريث الوحيد للخازندار والمتضرر من التلاعب في التركة بفعل ممتاز وشركاه.. تضمنت القضية اتهاماً من سعد زغلول باشا بصفته محامي الأمير حليم بالتلاعب في دفاتر الدائرة لإخفاء السرقات والتزوير وكان المحامي عن ممتاز هو إبراهيم الهلباوي والذي دخل في القضية بحسب مذكراته لتعضيد موقف زميله الحسيني بيك.

مرت القضية بأطوار من التقاضي وكان من بين القضاة بالفعل إدريس بيك راغب لكن يعود الفضل في هذه القضية لحسن باشا عاصم رئيس نيابة طنطا الذي أوكل له مباشرة القضية بعد شكوى من الأمير حليم لرياض باشا رئيس الوزراء من أنّ هناك أنصاراً لممتاز من رجال الدولة فرفع الأمر لوزير الحقانية حسين فخري باشا وتم اختيار عاصم باشا، كما تقدم حيث قطعت القضية شوطاً كبيراً في وقته وتكشف أن المبالغ المسروقة أودعت في المراحيض! وتم الحكم على المتهمين بالسجن ما عدا الحسيني، ثم ما لبثوا أن عفا عنهم الخديوي!

فقط أوردنا القصة بشيء من الاختصار غير المخل بالمضمون لمن يدفعه الفضول للتعرف على قضايا زمان لغرض واحد وهو وجوب الحرص في التعامل مع كتب التراجم والسير والتأكد من صحة ما تورده من أخبار..

نعود لموضوعنا حيث انتهى مسار إدريس بيك الوظيفي بتعيينه مديراً للقليوبية وقيل: إنّ سيطرة المفتشين الإنجليز على المديرين والمحافظين جعلته ينفر منها وعجلت باستقالته.

كل هذا المسار في حياة الرجل لا شيء فيه ولا غبار عليه ولا يثير غرابة حول سلوك الرجل أو اتجاهاته..

لكن الغامض والمريب والمخيف كان دوره مع المحافل الماسونية وإيمانه غير المنطقي بها وغرابة المناصب التي شغلها وتدرج فيها بسرعة الصاروخ..

بحسب الكتاب السابق فقد قدم إدريس بيك طلبه إلى محفل كوكب الشرق نمرة **1355** التابع لمحفل إنكلترا الماسوني الأكبر، فقبل في الدرجة الأولى في **23** ديسمبر سنة **1887**م، ثم رقي إلى الدرجة الثانية في **10** فبراير سنة **1888**م وترقى لدرجة الأستاذ في **29** مارس سنة **1888**م وفي عام **1889**م انتُخِب بإجماع الآراءِ منبهاً أول لمحفل كوكب الشرق وفي **10** يناير سنة **1890**م تولى رئاسة محفل كوكب الشرق وفي ٩ يناير سنة ١٨٩١م اجتمع المحفل الأكبر المصري في الدار الماسونيَّة وانتخبوه رئيساً أعظم.. ويمكن العودة إلى الكتاب للاطلاع على المزيد من هذه التتويجات في سماء الماسونية التي كانت تهطل عليه كالسيل سنوياً.. الواضح أن إدريس بيك كان داعماً مالياً بقوة للمحفل فسدد من ماله الخاص ديونه البالغة ألف وأربعمائة جنيه

وهو مبلغ كبير وحتى تتخيل معي ضخامة المبلغ، فانظر لتبرع خديوي مصر توفيق باشا للمحفل بمائة جنيه فقط بعد انتخابه رئيس شرف مؤبداً للمحفل الأكبر المصري، و"فخري باشا" رئيس شرف أيضاً وفي ذلك قال الشاعر حفني ناصف مادحاً توفيق: "الحر يدرك بالتوفيق ما طلبا.. وبالمساواة كل يبلغ الأربا.

وبالإخاء رخاء العيش مقترن.. تربو رباه إذا عهد الإخاء ربا"..

كان إدريس بيك ينفق على إنشاء المحافل الماسونية وتأثيثها ودعمها بسخاء وبلا حساب وكان جنون العظمة قد سيطر عليه في أن يكون له سيادة على العالم عبر اقتحام هذا العالم الغامض وفروعه بكل أرجاء المعمورة فراح يغدق أموالاً على مادحيه من الكتاب والشعراء وعلى المؤلفات الداعمة للماسونية، فبلغت مؤلفات شاهين مكاريوس عشرة كتب، كان أولها كتاب الآداب الماسونية في عام **1895**، ومؤلفات إدريس راغب نفسه خمسة نشرت في مطبعة المقتطف التي كان يديرها مكاريوس كما تحمل تكاليف إنشاء صحف لدعم الماسونية وتحمل رواتب موظفيها وكان من مؤسسي حزب مصر الفتاة عام **1908** م، وكذلك الحزب الدستوري عام **1910** ويقال: إنّ الأحزاب التي أقامها كانت بدون رسوم عضوية أو اشتراكات متكفلاً بها من الألف إلى الياء غير أنها فشلت سريعاً لأنها سعت لبلورة فكرة تحديث مصر بالشراكة مع الإنجليز لأنهم القادرون وحدهم على الدفع بمصر نحو المدنية والحداثة كما كان من مؤسسي النادي الأهلي وكبار الداعمين له كما أسس مجمعاً لغوياً برئاسته.. ويقال: إن أموال إدريس بيك قد تبددت بعد كل ما أنفقه في هذه الميادين وعلى رأسها الماسونية ويرجح البعض هذا السبب لتخلي المحفل عنه في

النهاية واختيارهم للأمير محمد علي باشا رئيساً للمحفل بنسبة 98٪ أي ما يقترب من الإجماع وهي الهزيمة الساحقة التي تلقاها إدريس بك في أخريات عمره..

ربما تتساءل عزيزي القارئ في قرارة نفسك عن معنى الماسونية؟! من الصعب وضع تعريف مفيد عنها فهي حركة شديدة التنظيم والسرية في ظاهرها تدعو للصداقة والإخاء، وقائمة على أسس دينية هي لليهودية أقرب لكن في باطنها تمارس طقوس شاذة وشديدة الغرابة لا تتفق أبداً مع هذه المزاعم النبيلة.. لكن ما رأيك عزيزي القارئ لو تشاركنا معاً في وضع تعريف لها والحكم عليها؟! وسأستعرض معك هنا فقرات من كتاب نادر فيه شروح لبعض لوحات الماسونية وضعها إدريس راغب بيك "أستاذ أعظم المحفل الأكبر الوطني المصري" بنفسه وطبع بمباشرة "عبد العزيز فريد نائب أستاذ أعظم".. طبقاً لشروحه "فمحفل البنائين الأحرار مرموز له بشكل منتظم متوازي المستطيلات طوله من الشرق إلى الغرب وعرضه من الشمال إلى الجنوب وارتفاعه من مركز الأرض إلى سطحها بل إلى أرفع من ذلك حتى يصل إلى السماوات وهو مشيد على أرض مقدسة لأن أول محفل أسس في العالم رفعت فيه إلى الله ثلاث دعوات اقترنت بالإجابة هم: دعوة إبراهيم عندما قدم ابنه إسحاق قرباناً ودعوة داود التي سكن بها غضب الله لصرف البلاء عن قومه والثالثة القرابين التي قدمها سليمان إلى الرب عند تمام هيكل أورشليم.. كل هذا جعل أرض البناية مقدسة وستبقى مقدسة للأبد والمحفل محمول على ثلاثة أعمدة: الحكمة والقوة والجمال والبناء الحر يمتاز بالفضل والشرف والرحمة وطريقة التعليم في البناية الحرة بالسؤال والجواب.. ومن أمثلة الأسئلة والأجوبة:

س: أين تأهبت أولاً لتكون بناءً حراً؟

ج: في قلبي.

س: صف لي كيفية تأهبك؟

ج: نزعت عني جميع المعادن ووضع حجاب على عيني وكشف عن ذراعي الأيمن وصدري من جهة اليسار وركبتي اليسرى وكعبي الأيمن ووضع حبل في عنقي.

س: صف لي الطريقة الواجبة التي صرت بها ماسونياً؟

ج: كانت ركبتي اليسرى عارية جاثية وقدمي الأيمن معرى نصفه بهيئة زاوية قائمة وقامتي على تلك الهيئة أيضاً ويدي اليمنى على الكتاب الكريم واليسرى حاملة البركار، حيث كانت إحدى شعبتيه تجاه صدري الأيسر المكشوف.

س: صف لنا سقف محفل البنائين الأحرار؟

ج: سقف مختلف الألوان كالسماء.

س: وبصفتنا بشراً كيف نأمل الوصول إليه؟

ج: بواسطة سلم يسمى سلم يعقوب.

س: وضح لنا أول نقطة من أسرار العشيرة؟

ج: الركبة اليسرى معراة وجاثية.

س: لماذا سميت أول نقطة في العشيرة؟

ج: لأني تعلمت أن أعبد الخالق راكعاً وقد قبلت في الماسونية وركبتي معراة وجاثية."

ما رأيك عزيزي القارئ في السؤال الأخير؟! أتمنى أن تعد قرأته جيداً هو وإجابته بتمعن، ثم تأمل بعد ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا

إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165)) وبعدها أجب أنت عن السؤال الذي دائماً ما يطرح: هل الماسونية تتعارض مع الدين أم لا؟!

المديح للدعاية السياسية ومن أمثلته:

المثال الأول: في كتاب "معن بن أوس حياته، شعره، أخباره، جمعه وفسر ألفاظه ووضع أعلامه كمال مصطفى سكرتير بمجلس النواب **1927** م" نجد فيضاً من المديح لزعيم الأمة سعد زغلول رفعه لدرجة مبالغاً فيها فبعد أن كتب تحت صورته التي تصدرت الكتاب "رسمك المحبوب رمز.. للأمان ومظهر. إن خلا منه كتاب.. فهو عند الناس أبتر" مضى يقول: "إلى ذلك الاسم الذي رفعه الله فوق الأسماء وذلك النور الذي نشره الله في جميع الأرجاء وتلك النفس الطاهرة النقية.. إلى قائد مصر الأوحد الذي علمنا الإقدام.. إذا انفردت وما شوركت في صفة.. فحسبنا الوصف إيضاحاً وتبييناً. إليك أيها الزعيم المفدى أهدي باكورة أعمالي والهدية على قدر من أهدى... ولدكم البار "كمال مصطفى".

المثال الثاني: كتاب "الصحافة" لمحمود سمهان دبلوم صحافة من مدرسة العلوم الاجتماعية العليا بباريس.. الطبعة الأولى في **27** ديسمبر **1939**م وجاء الإهداء: "سألت نفسي حين وضعت القلم بعد الفراغ من هذا الكتاب. إلى من أهدي بكر أفكاري وأول آثاري؟ وكان أول وآخر من فكرت فيه هو أول من لمست بره بالأقلام وعنايته بصناعة البيان فأحسن للصحافة ومازال ماضياً في إحسانه" وهو حضرة صاحب المقام الرفيع علي باشا ماهر..

المثال الثالث: من الشهادات والتقاريظ الطريفة التي لا تخلو من الحس الدعائي ما جاء في جريدة العالم (صاحب الجريدة ومحررها كريم خليل ثابت) في **19** يوليو **1926**م وتحت عنوان (نجيب الغرابلي باشا وزير الأوقاف عبر وعظات) وكان هذا الوزير قد تقلد هذه الوزارة مرتين في سابقة وقتئذ فنقلت الجريدة في مآثر الوزير شهادة صيدلي بحقه هو حضرة محمد بيك عبد اللطيف الكيماوي المصري الكبير وعضو مجلس الشيوخ فقال: "من بواعث سروري وسرور كل مصري أن يعود الغرابلي باشا إلى إدارة شؤون وزارة الأوقاف، فقد كنت صاحب أجزاخانة في طنطا وكان الأستاذ الغرابلي المحامي في طنطا من زبائني، فأنا أشهد أمام ضميري وخالقي بأنني لم أضطر يوماً ما إلى مطالبته بحساب لي عنده (واضح أن دفتر الآجل في الصيدليات قديم) والذي أعتقده أنه بمثل هذه الأمور الصغيرة والمعاملات اليسيرة تعرف أخلاق الرجل".

2-رسائل الشكر والعرفان:

المثال الأول: خطاب من ولد لوالدته انتخبته من بين عدد من الخطابات بين أوراق كتاب مجهول لجزالة أسلوبه وما يتضمنه من تأدب وتقدير لعظيم فضل الأم:

"السيدة المصونة سيدتي الوالدة المحترمة أدام عزها وأبقاها.. سلامي عليك وشوقي زائد إلى لثم يدك الكريمة المحروسة وقلبي هاتف إلى مشاهدة أنوار ذاتك المأنوسة صانها مولانا عن الزوال وأدام شريف وجودها في عز وإقبال. أخبر جناب والدتي الشفوقة.. أني من حين مفارقتي لشريف جنابك العالي في غاية الشوق وتراكم

الأفكار، فإن فراقك صعب عليّ جدّاً فلا تمر ساعة ولا تشرق شمس إلا وخيالك أمام عيني أراني الله وجهه في عز وهناء".

المثال الثاني: من أطيب رسائل الشكر ما يكون عرفاناً بالجميل لسابق معروف كالعلاقة بين مريض وطبيبه، ومن ألطف ما وقع بين يدي رسالة فؤاد يعقوب إسكندر بمعهد مستشفى الكلب بالقاهرة إلى الأستاذ شكري جرجس الاختصاصي في الأمراض النفسية إذ جاءت بحسب إحدى الصحف: "شاب في الثلاثين من عمره يعتبر تاريخ ميلاده **16** فبراير سنة **1937**.. عزيزي الأستاذ شكري جرجس الاختصاصي في الأمراض النفسية قد تعجب لهذا العنوان وقد لا تفهمه ولكن فليكن ما تبديه من الدهشة وما يحوطك من غموض معنى ما أقوله غير أني أعود فأذكرك أني بعد ما نالني من عذاب سنوات عمري السقيم اعتبر أني لم أكن أحيا، وأعتبر تاريخ ميلادي هو تاريخ بدء العلاج لديك في **16** فبراير سنة **1937**. لا يمكنني بأية لغة أن أعبر لك عن مقدار الشعور العميق بالسعادة الكاملة التي تحاوطني الآن وأنا أكتب لك هذه الكلمة في عجلة ذاكراً لك جميلك الغالي الذي طوقتني به ما حييت، ويكفي أن تتصور مقدار الهناء الذي يشعر به إنسان عندما يحتفل بعيد ميلاده. وأي عيد ميلاد بعد ميلاد المريض من سقمه وبرئه من مرض. تقبل هذه الكلمة مني في هذه يد عنيفة أخشى أن تؤلمك. ولكن فليكن فالقوة والصحة التي جاءتني بعد شفائي أنت المسؤول عنها. فلا تعتب عليّ فاحتمل هذه اليد العنيفة واصبر وأمرك لله. وأخيراً تفضل بقبول فائق الاحترام. المخلص فؤاد يعقوب إسكندر بمعهد مستشفى الكلب بالقاهرة".

المثال الثالث: شكر الأستاذ لأحد طلابه وما أقل العرفان في أزمنتنا ففي مقدمة كتاب علم الحشرات لنعمان محمد (خريج مدرسة الزراعة بالجيزة والكلية الملوكية العلمية بلندن ومجاور بمعهد الأبحاث الزراعية ببوسا بالهند ومدرس علمي الحشرات والحيوانات بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة) الطبعة الأولى **1919**م يتقدم بالشكر لصديقه مأمون أفندي عبد السلام أحد طلبة السنة النهائية في مدرسة الزراعة العليا على ما تفضل به من رسم صور كتابه "بتلك الدقة والعناية المعروفتين فيما يأتينا من أوروبا".. انظر لهذا المثال وما فيه من أخلاق عاليه وحفظ للمعروف واعتراف بالصداقة وحسن الصنيع وحالنا اليوم فقد تجمعك الصداقة والعشرة والمذاكرة بزميل طوال سنوات الدراسة فإذا تخرج وصار معيداً وتخلفت أنت لظرف ما انقلب عليك وتوحش وكأنك لم تكن زميله بالأمس القريب.

تحضرني في هذا المقام قصة صديق لي جمعته الدراسة والزمالة لسنوات طويلة مع أحد زملائه، ثم سافر الزميل واستقر في ألمانيا ومع تأزم أوضاع صديقي راودته فكرة السفر لألمانيا وبالطبع لن يجد أفضل من زميله بالأمس مرشداً ليستأنس برأيه ونصائحه فاتصل به فإذا به كالنمر الهائج بمجرد سماعه رغبة الصديق في الذهاب إلى ألمانيا وكأنما صارت حكراً عليه فراح يهاجم صديقي في ضراوة ويسفه أحلامه في قسوة شديدة..

المثال الرابع: المؤسسات في أوطاننا العربية على اختلاف توجهاتها تجتمع في أمر واحد وهو الاستعلاء على العاملين لديها وأن تضن عليهم بعبارات الشكر والاستحسان.. كنت أعمل في مكان ما وكان لديه طبيب قضى زهاء الأربعين عاماً وفي حفلة وداعه راح البعض يتحدث عن أفضال الرجل ومحاسنه وأشاد أحدهم بدوره كمؤسس فني

بالمكان الذي كان عمره من عمر عمل الرجل فإذا بصاحب المكان ينتفض ويرفض أن يشاركه أحد في فضل صناعة المكان ولو مجاملة وأعلنها بغطرسة وجفاء أن المكان من يصنع الشخص وليس العكس..

في الماضي كانت روح الشكر والعرفان مازالت تنبض ولو نبضاً خافتاً فمثلاً من مجلة رعمسيس وهي مجلة نادرة لمنشئيها رمزي تادرس وكيرلس تادرس عام **1912**م وفي جزئها العاشر في مايو **1916** م (في ختام السنة الخامسة) تضمنت شكراً لنخبة من علماء مصر وأئمة كتابها وشعرائها الذين أمدوا المجلة بآرائهم وأفكارهم ومنهم الطبيب العالم الدكتور محمد بيك عبد الحميد والكاتب الاجتماعي الكبير محمد أفندي مسعود والعالم المؤرخ ميخائيل بيك شاروبيم والقانوني العالم إبراهيم بيك جلال قاضي محكمة سوهاج الأهلية.

3-ضروب الرثاء والإهداءات الإنسانية المؤثرة:

المثال الأول: ما جاء في كتاب (حدائق الأمثال العامية جمع وشرح وترتيب فايقة حسين راغب حرم رفيق فتحي بيك **1939** م): "بسم الله الرحمن الرحيم.. الفاتحة.. دفنت بذاك القبر بعضي وليتني... لحقت ببعضي كي أصير إلى الكل. لست أبالغ إن قلت إن حياتي من سنين سبع إنما هي جحيم يستعر وإن النفس لم تنهل من مورد السعادة قطرة واحدة وإني إن أبسط ذات نفسي للقارئ وأطرح بين يديه بثي وحزني فإنما أرجو بذلك وهو رجاء ضائع أن أنفس عن نفسي وأرخي من هذه البلوى التي أخذت بمخنقي. دهمني المصاب بفقد ابني فطارت نفسي شعاعاً وأصبحت مقسمة

بين صحراء الإمام وشارع أبي السباع. ألح عليّ الهم وحدثتني النفس أن أنهي هذه الحياة التي استحالت إلى عذاب وشقوة ولكني أمسكت تقية وفراراً من غضب الله."

كما ضم الكتاب أبيات من نظم الأم المكلومة على فقيدها الابن حسين فتحي (**1906**- **1932**م):

"أبدأ أطالع في جبينك لوعتي.. وأرى بوجهك شقوتي وعنائي.
ياليت أني قد سبقتك للثرى.. ومشيت أنت مع الرجال ورائي.
ولدي فقدت به الحياة وطيبها.. ومن العجيب فناؤه وبقائي ..
أمك".

المثال الثاني: من أجمل ما قرأت من قصائد الرثاء ولا أدعي أني من الشعراء لأصدر حكماً، ولكنها ذائقتي التي تقودني للبحث عن كل ما هو جميل لنتشارك فيه معاً، تلك القصيدة التي خطها الإمام الأكبر شيخ الأزهر محمد الخضر حسين وهو تونسي الأصل في رثاء زوجته بعد عِشرة دامت زهاء ثلاثين عاماً، اختص بها مجلة الجيل الجديد العدد **94** في **12** أكتوبر **1953**م:

"أعاذل غض الطرف عن جفني الباكي ... فخطب رمى الأكباد مني بأشواك.

ولي جارة أودى بها سقم إلى ... نوى دون منآها المحيط بأفلاك.

أجارة هذا طائر الموت حائم ... ليذهب من زهر الحياة بمجناك.

حنانيك هل ساءتك مني خليقة ... فأنكرت دنيانا وآثرت أخراك؟!

وكنت أعزي النفس من قبل أنني ... أموت قرير المقلتين بمحياك.

ولم أدرِ ما طعم المنون فذقته ... مساء لفظتِ الروح والعينُ ترعاك.

فهيهات أن أنساك ما عشت والأسى ... يموج بقلبي ما جرت فيه ذكراك.
ويبعث أشجاني هدير حمامة... تنوح كأن الطير في الجو تنعاك.

أجول بفكري ابتغي لي قربة... أمت بها عند الدعاء برحماك.

تجرعت مر الصبر على أراه في... حسابي وعقباي السليمة عقباك.

فطوبى لك القربى لدى الله منة... ونزل كريم في منازل نساك."

ويقول شيخنا الجليل في رثاء والدته عام **1916**م رحمها الله ورحم والدتي في قصيدة لا تقل روعة عن سابقتها:

"قطّب الدهر فأبديت ابتساما ... وانتضى الخطب فما قلت سلاما.
لست أدري أن في كفيك يا ... دهر رزءاً يملأ العين ظلاما.

لست أدري أنك القاذف في ... مهجتي ناراً ومذكيها ضِراما.

فإذا العين ترى عن كثب ... كيف تلقى نفسي الأخرى حِماما.

يا سقاة الترب ماء هاكم ... عبراتي إن في الجفن جماما.

أفلا يبكي الفتى نازحة ... سهرت من أجله الليل وناما.

"بنت عزوز" لقد لقنتنا ... خشية الله وأن نرعى الذماما.

ودرينا منك ألّا نشتري ... بمعالينا من الدنيا حطاما.

ودرينا منك أن الله لا ... يخذل العبد إذا العبد استقاما.

ودرينا كيف لا نعنو لمن ... حارب الحق، وان سل الحساما.

كنت نوراً في حمانا مثلما ... نجتلي البدر إذا البدر تسامى.

كان لي منك إذا أشكو النوى ... كتب تحمل عطفاً وسلاما.

فادخلي في سلف قمتِ على ... هديه الحق وأحسنت القياما.

واسعدي نزلاً إلى الملقى إلى ... يوم لا نخشى على الأنس انصراما."

وبالمناسبة فالشيخ الخضر رحمه الله تزوج ثلاث مرات ولم ينجب خلالها أولاداً. الأولى بدمشق فترة إقامته بها والثانية بمصر. وقد جاءت قصيدته في رثائها والثالثة كانت من أقارب زوجته الراحلة وكانت صغيرة السن وهو ما جعل الصحافة تلمزه واشتد الغمز واللمز مع موقف الشيخ من قرار الثورة بإلغاء القضاء الشرعي ودمجه في القضاء المدني وهو ما جعله يستقيل من مشيخة الأزهر اعتراضاً على ذلك.. والحقيقة أن الرجل تزوج زيجته الأخيرة لظروفه الصحية ووحدته فلا عقب له مع كبر سنه واحتياجه للرعاية والتي قد لا تقوم بها من كانت في مثل سنه لكن ألسنة الصحافة أحياناً لا تراعي كبيراً ولا ترحم ضعيفاً.

4-الاقتباسات الأنيقة، والتي تكشف الحس الثقافي والمكنون الفكري لدى المقتبس ومنها:

المثال الأول: ما نطالعه في كتاب "الأدب الطبي وآداب الطبيب" وضعه الدكتور محمد عبد الحميد بيك مدير مستشفى الملك وكبير جراحيه مدير مستشفى عباس وكبير

جراحيه سابقاً طبيب أول بمستشفى قليوب وبنها سابقاً **1927**. وعلى الغلاف: قول ابن المقفع: "حق على العاقل أن يتخذ مرآتين؛ فينظر من إحداهما في مساوئ نفسه فيتصاغر بها ويصلح ما استطاع منها وينظر في الأخرى في محاسن الناس فيحليهم بها ويأخذ ما استطاع منها".

المثال الثاني من أمثلة الاقتباسات البليغة مع التعديل: مقدمة صاحب السعادة عبد العزيز باشا فهمي رئيس محكمة النقض والإبرام للكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية (**1883**-**1933**م) والتي تضمنت اقتباساً شعرياً مع التعديل فيه وأمانة ذكر صاحب البيت الأول فيقول: "وإني لكافي بأرواح آبائنا السابقين رياض وشريف وعلي مبارك وقدري وفخري تقدمها روح إسماعيل العظيم مطيفة بمعاهد قضائنا مباركة عليها وعلى رجالها من قضاة ومحامين متمثلة بقول الفرزدق معدلاً بمقتضى الحال: (أولئك أبنائي فجئني بمثلهم.. إذا جمعتنا للفخار المجامع)" وأصل البيت الأخير "أولَئِكَ آبائي فَجِئني بِمِثلِهِم. إِذا جَمَعَتنا يا جَريرُ المَجامِعُ".

5-الخطابة والبلاغة:

بلا منازع ففي الماضي كان للخطابة شأن وأي شأن ونعطي هنا مثالاً من الخطب الملكية والتي كانت تكتب بصورة مفعمة بالجزالة وعامرة بالمعاني في هيئة رسائل وبشكل مرتب وأنيق وتلقى في المناسبات العامة والخاصة بواسطة الملك نفسه أو نقلاً عنه بصورة لا تحتمل الارتجال وهذه الرسائل والخطب تصلح أن تكون درراً نفيسة ولوحات إبداعية في ميادين التربية الحسنة والتنشئة الصالحة وتعميق الحس الوطني والشعور بالانتماء لما تحتويه من نصائح مرصعة بجدائل الكلمات المنسابة في

رقة ترسم الطريق وتحدد الأهداف والرؤى بشكل عميق، كتبها كبار الأدباء في العهد الملكي حتى وإن صارت في النهاية تحمل اسم الملك ولا ندري على وجه الخصوص من كتبها؟!

أمثلة:

المثال الأول: في رسالة من الملك فاروق للممتازين من شباب المعاهد وكانوا في ضيافته في **16** أغسطس **1943**م ونشرت في مجلة الطالب في **6** سبتمبر **1943**م العدد السابع عشر يقول: "إني لأشعر بالغبطة تغمر نفسي إذ أراكم تحفون بعرشي وتحيطون تاجي بهالة من علمكم وشبابكم. وإن عرشاً وإن تاجاً يحف بهما العلم والشباب لعرش وتاج جديران بمصر: مصر التي كانت ومصر التي ستكون. أما مصر التي كانت فقد تولى التاريخ الكلام عنها والتغني بمآثرها وأما مصر التي ستكون فأنتم المسؤولون عنها وإنها لأمانة في أعناقكم فلا تجعلوا أنشودة التاريخ فيكم أقل روعة من أنشودته في أجدادكم. ارفعوا المشاعل فوق الطريق ولا تجعلوها ناراً تحرق، بل اجعلوها نوراً يضيء وعلى بركة الله سيروا في طريقكم وهذه يدي في أيديكم تساهم في العمل معكم يد قوية لا لأنها يد ملك ولا لأنها يد شاب، ولكن لأنها يد مصري يؤمن بمصريته".

المثال الثاني: من كلمات سعد باشا زغلول: "إننا إن لم نحافظ على الصدق والأمانة في جميع أعمالنا ضعنا وضاعت آمال الأمة فينا" ويقول: "يجب أن ننقاد للقانون وألا نعتبر الانقياد إليه مهانة ومذلة بل عزاً وشرفاً". ويقول: "نحن لسنا محتاجين إلى كثير من العلم، ولكنّنا محتاجون إلى كثير من الأخلاق الفاضلة" ويقول: "نحن لسنا بأوصياء على الأمة، بل وكلاء عنها، ولكن وكلاء أمناء، فيجب علينا أن نؤدي

لأمتنا الأمانة كما أخذناها منها" ويقول: "فساد الحكام من فساد المحكومين." ويقول أيضاً: "الرجل بصراحته في القول وإخلاصه في العمل."

المثال الثالث: من كلمات السلطان حسين كامل (صديق الفلاح): "لمصر ثلاث مزايا وهي: نيلها وشمسها وفلاحها ".

6-الأناشيد:

تعد الأناشيد من خير وسائل التهذيب وغرس روح الانتماء واستحثاث العزيمة واستشعار الجلد، ولعلّ هذه كانت دوافع الأستاذ الدكتور منصور فهمي لوضع نشيد لمدرسة المعلمين العليا يقول النشيد بحسب مجلة المصور في عددها **82** في **7** مايو **1926**م وقد غنته الفرقة تحت إرشاده:

"إيه يا نبت بلادي سوف تنمو بجهادي
سأرويك بعلم وبفضل واجتهاد وبمجد السالفين
نحن يا مصر نوالي جهدنا لنلين الغصن والغصن رطيب
نحن رواد المنى نحن الرسل نوقظ الأبناء لليوم الجلل
إيه يا نشْء هلموا للعمل هاكموا الوادي يحي العاملين
نحن نسدي النشْءَ أسرار الزمن ونربيه على حب الوطن
ونغذيه خلاصات الفطن ونناجيه بعز الأولين "

ومن الكتب التعليمية وغرس الولاء للملك وأسرته ونستقي مثالاً بكتاب "حديقة الأطفال -مطالعة وقصص وأناشيد، ومسرحيات تأليف حسان أبو رحاب-حورية عزمي-محمد يوسف المحجوب- محمد عبد الرازق حميدة " ونشيد: "عاشت مصر...

عاش الملك... حيوا حيوا ملك الوادي رمز العز والإسعاد... عاشت مصر... عاش الملك... يا فاروق دم للنيل واسمع منا لحن الجيل... عاشت مصر... عاش الملك." ونشيد: "فريال.. هذه فريال أميرتنا المحبوبة بنت جلالة الملك فاروق الأول وفي كل عام نحتفل بمولدها السعيد. عاشت لنا فريال... عاشت لنا فريال".

ومن التعليم إلى الجيش وتأليف لجنة للأناشيد العسكرية "يجتمع فيها السيف بالقلم" ممثل بها أعضاء من الجيش والأدباء والموسيقيين برئاسة معالي محمد صالح حرب باشا وزير الدفاع وتضمنت الضابط الموسيقي عبد الحميد عبد الرحمن، والعميد أحمد شوقي عبد الرحمن، وقائمقام عبد المنصف محمود بيك، والأساتذة: محمد عبد الوهاب - أنطون الجميل بيك - توفيق الحكيم - عباس العقاد - إبراهيم عبد القادر المازني - أحمد أمين -علي الجارم - محمد حسن الشجاعي - مصطفى رضا بك.. وذلك بحسب مجلة الاثنين والدنيا في عددها **292** في **10** يناير **1940** م.

وعن انطباعات بعض أعضاء اللجنة على الأناشيد المعروضة، رصدت المجلة "تكشيرة " مرتسمة على شفتيّ الأستاذ العقاد، فيما مازح المازني أحد أصحاب الأناشيد بوجوب تجنيده إجبارياً..

وفي النهاية وقع اختيار اللجنة على أربعة أناشيد من بين **754** نشيد، على مدار ثماني جلسات ومنح أصحابها الجوائز وهم: محمد الأسمر - محمد الحناوي - محمد عبد المنعم - عبد الفتاح شلبي...

7-صور الاعتذار:

لعلّ من أطرفها اعتذار الشيخ علي بن حسن ذكر الله بن علي الليثي (يقال ينتهي نسبه للإمام الليث بن سعد) للخديوي توفيق عن انضمامه لصفوف العرابيين وطلبه للصفح والسماح في شكل قصيدة شعرية نظمها لهذا الغرض إذ يقول:

"كُلٌّ حَال لِضِدِّ يَتَحَوّل.. فَالَزَمِ الصّبرَ إذ عَلَيه المُعَوّل
يَا فُؤادي استَرِح فَمَا الشّأَنُ إلاّ.. مَا بِه مَظهَرُ القَضَاءِ تَنَزّل

رُبّ سَاعٍ لحَتفه وهوَ ممّن.. ظَنّ بالسّعى للعُلاَ يَتَوَصّل
قَدَرٌ غَالِبٌ وَسرُ الخَفَايَا.. فَوقَ عَقل الأريب مَهمَا تَكَمّل

غَايةُ العَقلِ حَسرَةٌ وعقَالٌ.. واللّبِيبُ الذّكي مَن قَد تأَمّل
كَيفَ نَنسَى وَحَادثَاتُ اللّيَالي.. فاجَأَتنَا بكَارث لَيسَ يُحمَل

أَذهَبَت أنفُساً وَغَالَت نَفيساً.. وَذَوي مَربَع الحُظُوظ وَأمحل
وَإذَا المرءُ كان بالوَهم يَبني.. فَخيالُ الظّنُون مَا قَد تَمَثّل

وَيحَ قَومٍ سَعَوا لإدرَاك أَمرٍ.. دُون إدرَاكه الجبالُ تُزَلزَل
مَا أَصَرُوا عَلَيه إلاّ أَضَرُوا.. بأناس مننابهٍ أَو مُغَفّل

ذاك يَسعَى على التّقيّة خوفاً.. وسوَاهُ يَسعى لِكَيما يُجَمّل
لو أصابُوا الرّشَادَ عندَ ابتِدَاءٍ.. كانَت الغَايةُ الجَمِيلةُ أَمثَل"

كان الشيخ في بداياته يتيم الأب يقيم في مسجد الإمام الليثي مع أمه وقد تعلم بالأزهر الشريف بمصر وعلى يد محمد بن علي السنوسي والقوصي الكبير بطرابلس الغرب، وكان شغوفاً بالكتب والمخطوطات النادرة وقد تجمع لديه الكثير منها، وكان مصيرها بعد وفاته أن بيعت لتجار الكتب! (أرجو العودة لكتاب على مقهى الأربعين).. جعلته أم الوالي عباس حلمي الأول شيخاً على مجلس دلائل الخيرات ولما تولى الوالي محمد سعيد باشا أمر عبده باشا ضابط القاهرة بالقبض عليه ضمن حفنة من المشايخ الذين يأكلون أموال الناس بالباطل بخزعبلاتهم ونفيهم للسودان، ثم عفا عنه.. وفي عهد الخديوي إسماعيل ارتفع شأنه وأصبح من ندمائه المقربين، ثم من بعده ابنه الخديوي محمد توفيق إلى أن صار بينهما ما تقدم ذكره ويعد من مدرسة الندمان الشعرية، حيث كتب شعره منادماً في مجالس الخديوي إسماعيل ومن بعده توفيق، وكان يرافقهما أحياناً في ترحالهما كما اختص في رثائه الأمراء والأميرات والباشوات الكبار.

8- الإهداءات الطريفة:

من الكتب الطريفة التي تشي بارتفاع مستوى الثقافة داخل مختلف فئات الشعب المصري كتاب "الأنسان" (الأنسان: كما جاء على الغلاف وهو من أخطاء زمان الطريفة)، كتاب علمي أدبي فلسفي اجتماعي قصصي فكاهي تأليف حسين الديب ضابط بمدرسة البوليس والإدارة **1920**م مطبعة النصر بشارع الأمير فاروق بميدان الحسينية بمصر".. حمل غلاف الكتاب قوله تعالى في سورة التين: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (**4**) متبوعاً بنظم من وضع المؤلف يقول فيه: "قد

قسم الله في الدنيا خلائقه... القرد قرد كذا الإنسان إنسان" وجاء إهداؤه للقراء طريفاً، أولاً صورته ببذلته الرسمية وتحتها أبيات يقول فيها: "هذه صورتي لديك تراها... تتحلى بحكمة ووقار.

لو تغيبت عن حماك بشخصي... لنجلي بصورتي تذكاري.. حسين الديب".

وفي صدر الكتاب جاء الإهداء لآدم عليه السلام ونسله من البشر.. يقول المؤلف: "إلى أخي في الإنسانية.. إلى ذلك المخلوق الذي خلقه الله في أحسن تقويم وأخضع له كافة الكائنات فتسلط على كل كائن منها وذلّل كل صعب بقوة عقله وتفكيره. إلى آدم عليه السلام الذي خلقه الله بقدرته من صلصال ونفخ فيه من روحه.. إلى الإنسان الذي جاء من نسل آدم وكان في عقيدة بعض المتفيهقين بالنشوء والارتقاء قرداً وترقى بمرور الزمن الطويل.. إليك يا أبا البشر وإلى جميع إخواني في الإنسانية من نسلك أهدي هذه "الفذلكة" (من أخطاء زمان الطريفة والصواب الفزلكة) العلمية التي جادت بها قريحتي وخطها يراعي رداً على هذه المفتريات التي يجحدها العقل ولا يقبلها الفكر".

السؤال الذي ربما تسأله عزيزي القارئ: ما معنى المتفيهقين؟!

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُم أخلاقًا، وإنَّ مِن أبغضِكُم إليَّ وأبعدِكُم منِّي يومَ القيامةِ الثَّرثارونَ والمتشدِّقونَ والمتفَيهِقونَ، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، قد علِمنا الثَّرثارينَ والمتشدِّقينَ فما المتفَيهقونَ؟ قالَ: المتَكَبِّرونَ)..

9-لغو الحديث وتسفيه المقدسات

المثال الأول: حيث الهبوط بالسخرية من الواقع المرير من حيز النقد الموضوعي والبناء إلى دائرة لغو الحديث المذموم.. المثال الأبرز وما أكثر الأمثلة ما نشرته مجلة اللطائف المصورة في عددها **108** بتاريخ **5** مارس **1917** م تحت عنوان "دعاء آخر ساعة ":

"يا رب الأرباب، ومعلمني القراية في الكتّاب، ويا رحيم يا تواب، افتح لي الأبواب، يا فسيح الرحاب، يا رفيع الجناب. اللّٰهُمَّ بحق نومي على الكنبة، وضرب الغلبة، وسهري في حارة العنبة، وبحق الوابور المسورق، والإبريق والدورق، وبحق مخلفات الحاوي، وحرمة العبد اللاوي، والبيرة السماوي، والفول الحراتي، والسبعة سباتي، والنغمة البياتي، وخناقة حماتي، وبحق الضيق، والبغلة في الإبريق، ترزق ألمانيا بالحصر البحري والغربي والقبلي والشمالي والجنوبي. اللّٰهُمَّ بحق المستخدم، والموس تلّم، والصبي والمعلم، والبرغوت المبلّم، والبيت المضلّم، ويا سلام سلّم، وبحق تعالى كلّم، ورخصة المخدم، ترزقنا بقناطير حناطير عصافير تباشير تصاوير مناخير بشاكير اليمكخانة، وتجعل لي حساب في الدفتر خانة.. ولو خانة. اللّٰهُمَّ كما تبت على الميكرسكوب، من لبس الروب، وحرمت على تاجر البلوتيكة، واللعب بالمزيكة، ارزقني بأربع عربات سيكا.. من أمريكا.

اللّٰهُمَّ بحق الضفدعة شايلة مركب، ويا ريتني ما أعرف أكتب، وبالمنقد والمرتبة، والصحيفة الموضبة، وبالحروف البارزة، والدعوة الجايزة، وحلاوة على السقيط، وبرلس وأبو الغيط، ونطاط الحيط، والعشرة الطيبة، والكبدة والغريّبة، والكبابة الصيني والحلقوم، تشل أعصاب غليوم (ملك ألمانيا) وتنقص من عقله برج، وخليه

زي شُرّابة الخرج، وشغله رقاص ساعة، وروّق الدنيا منه ومن الفظاعة، إياك يروق الحال، على رأي من قال. اللّٰهُمَّ كما علمت التراموای الدهس، ووفقت مصلحة التنظيم للكنس، وأسبغت على بني الإنسان، نعمك يا ذا الجود والإحسان، وفقني للهداية، واجعل الخاتمة مثل البداية، اللّٰهُمَّ كما حكمت على الليل بالطول، وعلى الفقرا بأكل الفول، افسح لي طريقاً في شارع الغورية، وأوصلني إلى الغاية المقصودة، والحسبة المنشودة، إنك سميع الدعاء، مجيب النداء. اللّٰهُمَّ كما حكمت على أبو زعيزع قوم صلي، لركوبه بوابة المتولي، احرس طلعة الفول المقلي، ولا تحتّم عليّ بأكل الچيلاتي، ولا الدخول محل الحاتي، ولا وقوفي في باب الخلق، ولا تعاتيري في خرط السلق، ولا نظري فتاة تتهتك، ولا أكل الزنبلك المحرّك. اللّٰهُمَّ إن كانت البطاطة، شوي البلاطة، اجبرها كرامة لعمرو، فكلنا عبيدك طايعين الأمر، سواء كنا في كوم امبو أو في ميت غمر. اللّٰهُمَّ بحق نتيجة الرفاعي، ولفها في الحصر السباعي، وزحمة الشوراع، ونوازل الطوالع، وبخور من كان عقله خف، ومشي مع واحدة بملاية لف، أن ترزقه بحكيم أسنان، بقدر الإمكان، يسكن له نخاشيش بدنجانه، ويمنع عنه عض أسنانه، وأن تدحرج ركاب الدرجة الأولى في التراموای، نحو قولة يا باي، إلى حجرة الحريم إن كانت الوقاحة تمد الصراحة، فإن الدنيا قل منها الحياء، وأصبح الناس مثل الوباء، يركبون مع الحريم في حجرة الرجال، وكأنهم أفوات وكل قريبٍ آتٍ، وامنع عني قولة هات. اللّٰهُمَّ لا تحكم عليّ بوقوعي في ورطة، مع عمال البوسطة. اللّٰهُمَّ لا تحكم عليّ بقول عندي ميعاد، ولا تجعلني أجاور الحداد، إنك اللطيف الخبير، وسيد الغني والفقير، واللي يطلّع الدلو من البير. الإمضاء: محسوب رحمتك يا سدنا".

المثال الثاني: الحط من قيمة الرباط المقدس والميثاق الغليظ ألا وهو الزواج وتسفيه بنوده على نحو ما نرى في "عقد إيجار قلب" الذي نشرته مجلة الاثنين في عددها بتاريخ **27** أغسطس **1934**م على ورقة مطبوعة بين الأستاذ صريع الغواني بصفته مؤجر والسيدة ست الحسن والجمال بصفتها مستأجرة بحضور الشهود: مجنون ليلى وجريتا جاربو وكليوباترا ومنيرة المهدية ورودولف فالنتينو.

قلب للإيجار

"إنه في يوم الهنا أول شهر العسل في السنة الثالثة من شرخ الشباب

إنه بموجب الشروط الغرامية الممضاة من المتعاقدين أدناه، المتفق على اعتبارها كأنها محررة أمام محكمة الهوى المختصة، قد أجر صريع الغواني التابع للحكومة المصرية إلى الجوهرة المكنونة ست الحسن والجمال ما هو قلب ولهان يوجد في داخل الصدر على الشمال بقصد استعماله لسكنها الخاص بالشروط الآتية:

أولاً: مدة هذه الإيجارة في علم الله ابتدأ من أول شهر العسل إلى أن يتغلب العواذل ويهجر الحبيب وربنا يستر. وللمستأجرة الحق في العزال بدون عتاب، كما أن لصاحب القلب كل الحرية في استرداد قلبه في أي وقت وتأجيره لمن يشاء من نجوم السينما ومن عذارى ستانلي وفاتنات عماد الدين وغيرهن ممن يعشقن لأول نظرة.

ثانياً: الأجرة المعينة لتلك المدة هي -باعتبار اليوم الواحد كالآتي:

1- عناق لمدة ساعة على الريق كل يوم.

2- عناق لمدة طويلة جداً قبل النوم.

3-قبلات في الخدين يميناً وشمالاً مالهاش عدد بشرط أن تكون حارة وذات صوت حياني.

4-رشفات من الفم كلما لزم الحال.

ثالثاً: على المستأجرة أن تراعي حرمة القلب المذكور كأنه قلبها فلا تصدعه أو تحرقه بنار الجوى ولا تزعجه بالصدود من غير موجب ومع سبق الإصرار.

رابعاً: ممنوع قطعياً مغادرة القلب المذكور أثناء مدة الإيجار، ويستحسن الجلوس في السويداء التي هي حبة القلب وعلى القلب أن يرقص طرباً عملاً بقول الشاعر:

ما القلب إلا داره ضربت له فيها البشائر (قول بهاء الدين زهير الشاعر المصري)

خامساً: المستأجرة غير مأذونة بوضع مواد ملتهبة أو مفرقعة داخل القلب مثل الغيرة والدلال وممنوع استعمال كيوبيد اكتفاء بسهام الألحاظ.

سادساً: إذا حصل العزال وأخلت ست الحسن والجمال ذلك القلب -أو أخرجت منه بواسطة شدها من شعورها- فيجب ألّا تترك فيه أي أثر من ذكريات وخلافه، وفي حالة المخالفة لا يسع القلب إلا النسيان والصهينة والسلوى، والسلوى ميسورة الأسباب على البلاج وعلى ضفاف النيل وفي الصالات وعلى الشاشة البيضاء.

سابعاً: تعيش ست الحسن والجمال في القلب المذكور كما لو كانت تعيش في قمقم. فلا تنظر من النوافذ ولا تعاكس الشبان ولا تغازل عباد الله الصالحين.

ثامناً: يجوز للمالك استئجار قلب آخر ويجوز له السماح لمن يستلطفه أن يتفرج على قلبه متى أراد بلا ممانعة من الساكنة.

تحرر من هذا العقد نسختان. لكل متعاه

المستأجرة: ست الحسن والجمال

المالك: صريع الغواني

الشهود: مجنون ليلى -جريتا جاربو- كليوباطرة- منيرة المهدية- رودولف فالنتينو"

قارن بين ما قرأت آنفاً وبين هذا الرباط المقدس أنيق العبارة ونبيل المقاصد بين الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي وزوجته وابنة خاله وهو يقر حقاً من حقوق المرأة في رفض التعدد إن كان لا يلائمها ومتع ناظريك وقلبهما بين الالتزام وخفة الظل:

"التزم كاتب الأحرف رفاعة بدوي رافع لبنت خاله المصون الحاجة كريمة بنت العلامة الشيخ محمد الفرغلي الأنصاري أنه يبقى معها وحدها على الزوجية دون غيرها من زوجة أخرى أو جارية أياً ماكانت، وعلقت عصمتها على أخذ غيرها من نساء أو تمتع بجارية أخرى، فإذا تزوج بزوجة أياً ما كانت، كانت بنت خاله بمجرد العقد عليها خالصة بالثلاثة، كذلك إذا تمتع بجارية ملك يمين، ولكن وعدها وعداً صحيحاً لا ينتقض ولا ينحل أنها ما دامت معه على المحبة المعهودة مقيمة على الأمانة والحفظ لبيتها ولأولادها ولخدمها وجواريها، ساكنة معه في محل سكناه، لا يتزوج بغيرها أصلاً ولا يتمتع بجوارٍ أصلاً، ولا يخرجها من عصمته حتى يقضي الله لأحدهما بقضاء، هذا ما انجعلت عليه العهود وشهد الله سبحانه وتعالى بذلك وملايكته ورسله، وإن فعل المذكور خلافه، كان الله تعالى هو الوكيل العادل للزوجة المذكور يقتص لها منه في الدنيا والآخرة، هذا ما انجعل عليه الاتفاق، وكذلك إن تعبته فهي الجانية على نفسها"...

المثال الثالث: زجل الأستاذ الشيخ محمد يونس القاضي بعنوان "حلوان يا حلوان" والمنشور بالعدد **384** من اللطائف المصورة في **19** يونيو **1922**م:

" يا زمان أصبحت سيدي وكنت عبدي.. والمسالم لأجل خاطرك صار معادي.

بدي الفع خرج واطفش م البلد دي.. وإن صفا لي الجو أسكن في المعادي.

إيه جناية مصر مع حلوان قولولي.. لما تفصل مصر عن أجمل مدينة.
مصر غادة في جيدها حلوان عقد لولي.. تحرموها من دواعي كل زينة."
والبيت الأول لا يخلو من سخط على الدهر أو الزمن وهو المنهي عنه لوجوب التأدب مع الله. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استَقرضتُ عَبدي فلَم يُقرِضني، ويَشتمُني عَبدي، وَهوَ لا يدري، يَقولُ: وا دَهْراه، وا دَهْراه، وأَنا الدَّهرُ).

10-التنابذ بالألقاب:

ونعطي على ذلك مثالاً من باكورة ما يسمونه الصحافة الساخرة والفكاهية من الإصدار الأول -العدد الثالث **1934** م من البعكوكة "جريدة عصبية تصدر حسب التساهيل لسان حال الغلابة اللي زيي وزيك.. العدد في الليمون.. السنة اللي احنا فيها.. يوم الهنا الموافق يرفع صباعه" وتحت عنوان "قباحة ورد غطاها" حيث ورد زجل من أحد القراء على النحو التالي: "منظرك مثل النسناس وعيونك مش زي الناس وعمتك مليانة قلقاس ولحيتك احلقها بفاس وكفاية بأه يا محتاس والا أفرج عليك الناس.. بورسعيد. محمد يوسف عبد العال" فجاء رد البعكوكة من خلال شخصية " زعرور" فاحشاً وكثير القبح: "ماني زجال ولكن خوداك قباحة على نفس الوزن.. زعرور على ديلك ما داس بتشتم فيه يا هلاس أصلك عيهور ومنباس سلالة قرد وخناس ووجهك أصله مداس شحته من سي عباس".
ولمن لا يعرف البعكوكة؟! فهي مجلة شهيرة كانت تصدر بحي المنيرة بشارع قصر العيني في **24-32** صفحة وتباع بخمسة مليمات لصاحبها محمود أمين خطاب أو كما عرف بمحمود عزت المفتي، وهو صاحب فكرة الإشتراك في الصحف

بالتقسيط، وعند إنشاء الإذاعة الملكية المصرية عام **1934**م أصدر مجلة "الراديو" وبداخلها مجلة داخلية فكاهية هي "البعكوكة" وبفضل البعكوكة تضاعف توزيع مجلة "الراديو" فعدل الاسم إلى مجلة "الراديو والبعكوكة"، ثم عدل العنوان في النهاية إلى "البعكوكة" وقد كوّن ثروة هائلة من ورائها بمقاييس زمنه.

مؤسف حقاً أليس كذلك والمؤسف أكثر أن ننظر لمثل هذه التجارب الصحفية بإكبار وإجلال لمجرد أنها صدرت في القرن الماضي.. قال تعالى في سورة الحجرات: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (**11**)).

والمرء في كلماته بين خيارين إما كلمة طيبة يلقى بها رضوان الله وإما كلمة قبيحة تحط من عمله وينال بها سخط الله فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بها دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ.).

الفصل الثالث

عامان من تاريخ مصر1948-1949

تمهيد: لا أكون مبالغاً إن قلت: إنّ عامي **1948**و**1949** هما العامان الفارقان في تاريخ مصر وفي مصير أسرة محمد علي باشا على وجه الخصوص إذ اشتملا على أحداث جسام وظواهر اجتماعية شديدة التنوع ما بين خطير وهزيل وقراءات للمستقبل تشي بضرورة التغيير..

الفقر والثورة:

في مجلة الدنيا الجديدة العدد الثالث السنة الرابعة يناير **1948** م وتحت عنوان "المجاعة ثم الثورة" تحدثت المجلة عن غلاء الأسعار وارتفاع تكاليف المعيشة خلال الحرب العالمية (الثانية) حيث قلت المحصولات المصرية لحرمان الزراعة من الأسمدة الكيماوية التي كانت تستورد من ألمانيا ومن شيلي والواردات الأجنبية قد انعدمت لتحول المصانع الخارجية إلى الإنتاج الحربي واستحالة اشتغال السفن بالنقل والشحن كما كثر الإضراب بين طوائف الشعب المصري والموظفين والعمال للتذمر من المرتبات مع ارتفاع الأسعار وتكاليف المعيشة محذرة من المجاعة والمجاعة تؤدي إلى الثورة..

حالة الفقر والبطالة في مصر تكاد تكون صورة ثابتة لا تتغير يراها القاصي والداني فمثلاً الآنسة سوزان باركر الأمريكية التي زارت مصر بصحبة أسرتها كتبت رسالة نشرتها مجلة الاثنين والدنيا في عددها **562** في **19** مارس **1945**م

تحت عنوان "لو كنت مصرية" متحدثة عن عدم وجود طبقة وسطى في مصر إما ثراء طائل وإما فقر مدقع وأن الأطفال المشردين في كل شوارع مصر تلوح عليهم علامات الذكاء الفطري العجيب ويمكن توجيههم واستثمارهم لنفع مصر كما تستهجن كم المقاهي المتراكمة وروادها الذين يضيعون أوقاتهم عليها سدى فيما يجعل العالم من حولهم لكل ثانية قيمة ومن الأفضل إغلاقها.. كما ترى ضرورة تدريس الشؤون الاجتماعية في المدارس حتى يشب الفتى والفتاة كلاهما يعرف ماله وما عليه لتصبح مصر الحديثة جديرة بمصر القديمة ذات المجد الخالد.

تحدثنا في رواق القصص الرمضاني عن المسار الملكي في علاج الفقر عبر إقامة مشروع مطاعم الفقراء "الغذاء الواحد مع رغيف بقرش صاغ" وهو المشروع الذي دعا له في البداية محافظ العاصمة (محمود صدقي باشا) وبحسب حواره مع مجلة المصور في عددها **321** في **5** ديسمبر **1930** م فقد تضمنت الدعوة أن تكون البداية من حي بولاق لأنه حي العمال وأن تشرف عليه إحدى الهيئات النسائية لأن طبائع النساء يغلب عليها الصبر والتنظيم والحنو والشفقة، لكن يبدو أن صدقي باشا الذي تبنى المشروع لم يرق له الاقتراح الأخير وإلا لما عهد لأقسام الشرطة ببيع التذاكر كما أوردنا في كتابنا السابق..

وفي هذا المبحث نتحدث عن مشكلة الحفاء.. لا أخفي عليكم أن المشي حافياً من الرياضات المهمة والتي ينبغي ممارستها يومياً فهي تنشط الدورة الدموية أسفل القدمين وتقي وتعالج الدوالي وهي تقلل الإحساس بالتوتر والقلق عبر تنشيط إفراز هرمونات الكورتيزول وتساعد على نوم هادئ كما تقلل الالتهابات وتساعد في علاج تشوهات القدم والأقدام المسطحة وتقوس القدمين عند الأطفال وتحفز

الأطراف العصبية من أجل توازن أفضل خاصة لدى كبار السن كما أن ارتداء الأحذية طوال الوقت ليس صحياً فهو يؤدي لنقص التهوية وارتفاع الحرارة وزيادة العرق والعرق هو البيئة المثالية لنمو الفطريات فالفطر أقرب للنبات الذي يحتاج للماء (العرق) مع كونه ليس بنبات وارتداء الكعب العالي لدى السيدات يشوه شكل القدم والأصابع، ويؤدي إلى ظهور البثور وفي الهدي النبوي: رُئِي فضالةُ بنُ عبيدٍ وهو والي مصرَ أشعثَ حافيًا فقيل له أنت الأميرُ وتفعلُ هذا؟ فقال نهانا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن الإرفاهِ وأمرنا أن نحتفيَ أحيانًا... دعاية صحية ودينية للحفاء أليس كذلك؟! ولكن الحفاء الصحي يكون على أسطح ملساء ناعمة ولفترة معينة من اليوم، ولكن حينما يكون الحفاء طوال الوقت وللسواد الأعظم من الشعب بالقرى والنجوع فهذا بلا شك مصدر لشقاء هؤلاء البسطاء وإصابتهم بالأمراض المختلفة.. لك أن تتصور دولة بحجم مصر تتدعي أنها تخطو نحو المدنية الحديثة وتقلد أوروبا في نهضتها وتتذكر بعد **136** عاماً من نشأتها على يد محمد علي باشا أن هناك بؤساء يعيشون بين ظهرانيهم يعتبر الحذاء بالنسبة لهم أملاً وحلماً وهو الحد الأدنى لحقوق الإنسان في الوقاية والعلاج من الأمراض وزاد احتياجهم له مع تحذيرات "مصلحة الوقاية المدنية" من خطر الغازات السامة التي قد تطلقها الطائرات المغيرة في سماء مصر وقت اندلاع الحرب العالمية الثانية مما يستلزم توزيع نعال من المطاط على حفاة مصر وهم الغالبية العظمى.. مع اقتراب موعد عيد ميلاد الملك فاروق في فبراير **1941** م، جاءت البشرى في هيئة خطاب من ناظر الخاصة الملكية مراد محسن باشا إلى رئيس الوزراء، حسين سرى باشا يزف فيه تبني الملك أخيراً لمبادرة القضاء على الحفاء. يقول الخطاب: "لما كان كثير من أهل المدن والقرى

يمشون لرقة حالهم حفاة الأقدام، وفي ذلك ما فيه من مضار صحية وأدبية، رأى مولاي أعزه الله وأعز به البلاد أن يكون عيد ميلاده السعيد هذا العام ذا أثر كبير في القضاء على هذه الحالة، بالتيسير على أمثال هؤلاء ليحتذوا أحذية، كل وما يناسبه، وقد تفضل جلالته فأمرني أن أبعث إلى دولتكم بمبلغ **2000** جنيه لهذا الغرض، رجاء اتخاذ ما ترونه من تدابير لتحقيق هذه الرغبة السامية وتنفيذها بأسرع ما يستطاع، ولا ريب أن تسابق الموسرون من المصريين وغيرهم من مختلف الهيئات في البذل لتعضيد هذا المشروع كفيل بدوام تمتع هؤلاء بذلك المظهر الحسن" وتناثرت التبرعات فتبرعت صاحبة الجلالة الملكة فريدة بمبلغ مائتين وخمسين جنيها، والملكة نازلي وصاحبات السمو الملكي الأميرات فتبرعن بمبلغ خمسمائة جنيه وتبرع رئيس الوزراء، حسين سرى باشا بخمسين جنيها والذي كانت التبرعات تودع في بنك مصر، في حساب باسمه... طبعاً خطوات أقل ما توصف به بأنها أبطأ من سلحفاة "الفيل" التي جلبها التاجر "باتي برن" لحديقة الحيوان في **20** إبريل **1902**م مقابل ثلاثين جنيها ونقلها فاروق في نفس توقيت مشروع الحفاء إلى حديقة الخاصة الملكية بأنشاص وعرفت باسمه "سلحفاة الملك فاروق".

من الأعداد الطريفة العدد **1224** من مجلة المصور في **26** مارس **1948**م والذي جاء عنوانه" **132** جنيه مصري، تكاليف طفل **1948** لعام واحد" ولا أخفيكم أنني حينما عثرت على هذا العدد استخدمته في مداعبة والدي حفظه الله وهو من مواليد إبريل **1948** بهذه التكاليف وطبعاً شتان بين نشأة والدي في أحضان الريف لأسرة متواضعة وما بين قائمة هذا الطفل المرفه كما سنرى..

وأسرد هنا تفاصيل قائمة التكاليف لعاشقي أسعار زمان:

8 "جنيه كرسي للطفل -**10** جنيهات عربة صغيرة للطفل -**3** جنيهات بانيو للمولود -**10** جنيهات ملعب للطفل-**10** جنيهات بيجامات للنوم -**3** جنيهات كلسونات داخلية- **15** جنيها سرير للمولود -جنيهان صابون وبودرة- **15** جنيها بدل تريكو وكول وجونتي وجوارب صوف -**2** جنيه قمصان داخلية للمولود -**3** جنيهات **6** أغطية للسرير - **3**جنيهات بطانية صوف ومشمع للسرير -**6** جنيهات **6** ملايات للسرير-**5** جنيه لبن وأغذية خاصة للطفل والأم شهرياً".

كل ما سبق يقودنا إلى أن أحد أهم أسباب نجاح ثورة عام **1952** م هو اتساع رقعة الطبقية في المجتمع علاوة على الفقر المدقع والمتزايد خاصة في الريف ففي مجلة المصور العدد **1441** في **23** مايو **1952** م أي قبل شهر بالضبط من الثورة نجد مقالاً بعنوان: "صرخة متألم.. مصر أسوأ أمم الأرض حالة" للدكتور أحمد زكي تحدث فيه عن ما نشرته مجلة (تايم) الأمريكية نقلاً عن مؤسسة (روكفلر) بعد بحوث أجرتها على خمس من القرى المصرية لتخلص أن مصر أبأس من الصين والهند حالاً: "البلهارسيا تهد من القوى الإنتاجية ل**92**٪ من سكان هذه القرى -الديدان المعوية تصيب **64**٪ من السكان -الرمد يعمي **89**٪-علاوة على التيفود والزهري- الذباب أحصوا منه مائة ذبابة في كل متر مربع -**12**٪ من أسر هذه القرى تعيش على الخبز الفطير واللبن المقشوط والجبن -**56**٪ من الأسر لا تأكل الخضر إلا مرة أسبوعياً -

5٪ من أسر هذه القرى تكسب أقل من **2** دولارات شهرياً -**61**٪ تكسب ما بين **3** دولارات إلى **14**ونصف دولار -**30**٪ يصعد دخلها الشهري إلى **29** دولار والدولار وقتها يساوي **35** قرشاً". ويعترف الكاتب في مقاله أن أرض مصر لا تكفي أهلها طعاماً ولا تكفيهم لباساً والحل هو الصناعة. هذه مصر ما قبل **1952**م..

أما مشكلة مصر ما بعد **1952**م في وجهة نظري أنها بلد زراعية عبر التاريخ فكانت حظيرة القمح للإمبراطورية الرومانية ومعقل القطن للدول الأوروبية الاستعمارية.. ملامح الزراعة تلمحها في منطق رجال الأعمال المصريين تحديداً الذين دوماً ما يخشون المخاطرة ويبحثون عن الاستثمار الآمن في منطق أشبه بالمزارعين الذين يخشون في استزراع محاصيل جديدة لم يعتادوها خشية الخسارة وكأنهم رجال أعمال بقلوب مزارعين.. فجأة وعلى غير دراسة قررت مصر أن تخلع عباءة الزراعة سراعاً وأن تدير ظهرها لكل ما يذكرها بماضيها الزراعي المقترن بالفقر والمرض وتتجه بكل ثقلها للصناعة هرباً من وصفها ببلد الفلاحين أصحاب الجلاليب الزرقاء فهجرت الزراعة وأهملت محاصيلها وأسواقها الداخلية والخارجية وأغمضت عينيها عن تقلص الرقعة الزراعية وتركتها نهباً للتجريف، فلم تعد المحاصيل تفي بحاجة السكان أكثر من ذي قبل.. فيما شيدت المصانع الكبيرة والكثيرة وفجأة ضاقت ذرعاً بتكلفة الاستثمار في الصناعة وتخلفت عن التكنولوجيا والعلم والتطوير وراحت تعتمد على الاستيراد في الزراعة والصناعة معاً من الخارج.. فصارت بلادنا كغراب متمرد أراد أن يتمثل هيئة بعض الطير وهجر

مشيته المميزة فأضاع استقلاله فلا هو نجح كطائر ولا أفلح أن يحتفظ بمشيته الأولى..

أزمة الديموقراطية:

سؤال يتعلق بثورة **1952** م تنطلق إجابته أيضاً من عام **1948** م ألا وهو ما الذي جعل الشعب المصري وبالأخص الشباب لا يخرجون للدفاع عن الديموقراطية ممثلة في الأحزاب السياسية التي ألغيت والملك الدستوري فاروق؟ ولماذا لم نجد الدموع الشعبية تذرف حزناً وتعاطفاً مع تحديد إقامة رجالات حزب كالوفد مثلوا تاريخا طويلا من النضال والتفاوض مع المستعمر وعلى رأسهم مصطفى النحاس باشا؟! وما الذي جعل جيل العسكريين أمثال جمال عبد الناصر وغيره من الضباط الأحرار يكفرون بالحياة النيابية والدستورية وقد تربوا وعاشوا في كنفها؟!

لقد شغلني هذا السؤال وقتاً طويلاً إلى أن عثرت على العدد **1223** من مجلة المصور في **19** مارس **1948** م وفي هذا العدد نستطيع معاً أن نتحرى الإجابة ومن أوساط الشباب وقتئذ.. في استطلاع للرأي أجرته المجلة تحت عنوان "المصور يستفتي جامعتي فؤاد (القاهرة) وفاروق (الإسكندرية): الحياة النيابية في مصر لم تؤد رسالتها -الجيش وسيلتنا العملية لحل القضية"..

في الاستطلاع اتفقت الأغلبية في الجامعتين أن الحياة النيابية فشلت بالثلث (**90**٪جامعة فؤاد و**96**٪ جامعة فاروق) وأن الوسيلة الناجعة للحل هي الجيش (**92**٪ جامعة فؤاد و**95**٪جامعة فاروق) أما المفاوضات كوسيلة للحل فحصلت

على نسبة ضئيلة (وصفت في المجلة بالتافهة) وهي (4٪ جامعة فؤاد و1٪جامعة فاروق).

وجاءت تعليقات الطلبة على الاستطلاع مثلاً سيد يس (معهد الضرائب) يرى الجيش اللغة التي يفهمها المستعمرون، وكذلك ذهب رأي الآنسة صفية عثمان (كلية الحقوق). فيما رأى إسماعيل السيوفي (كلية الهندسة) والآنسة إيفا رزق (كلية الآداب) أن الحياة النيابية فشلت..

الشريحة العمرية للمتفاعلين مع الاستطلاع ونسبتهم كبيرة لا يستهان بها (85٪ من جامعة فاروق أجابوا وكذلك 75٪ من جامعة فؤاد الأول) لا تأتي على ذكرها المجلة لكنها ومع تنوع الآراء بين السنوات الدراسية المختلفة في الغالب بين 18-24 سنة أي أننا أمام شريحة الشباب المقبل على معترك الحياة والذي أيد حركة الجيش بشكل جارف عام 1952م والتف حولها وآمن بمبادئها بشكل سريع للغاية ولم يذرف دمعة واحدة على ما مضي إذ أصبح جلياً أمامه ومنذ سنوات أن الحل الوحيد للمسألة المصرية يكمن في الجيش ولا عزاء للحياة النيابية المتصارعة على كراسي البرلمان والوزارة ..

شمل الاستطلاع أمور طريفة فيما يتعلق بأبرز صفات الشعب المصري وجاءت أبرز النتائج: الكرم (30٪ جامعة فؤاد و21٪جامعة فاروق) ويليه المرح (30٪ جامعة فاروق و20٪ جامعة فؤاد) وتعليقاً على هذا السؤال جاءت تعليقات مثل إبراهيم زكي المستكاوي (كلية التجارة) يرى أن طيبة القلب أهم ما يميز المصريين أما الآنسة زينب الخرادلي (كلية الحقوق) فترى أن المرح وخفة الدم أهم ما يميزهم..

تضمن السؤال الخامس في الاستطلاع قضية هامة وهي: هل نجح التعليم المختلط بين الطالبات والطلبة؟! وجاءت النتيجة (نعم **42**٪ جامعة فؤاد و**66**٪جامعة فاروق) وجاءت بعض الآراء مثل عبد الرحمن محسن (دراسات عليا) يرى نجاح التعليم المختلط في جامعة فاروق وروح التآخي بين الطلبة والطالبات أما الآنسة فايزة عبد الشافي (كلية الآداب) فترى عدم نجاحه وأن الطلبة ينظرون للزميلات نظرة خاطئة..

الطريف في الاستطلاع أنه يكشف أن عقلية الشاب المصري في الماضي كانت باتجاه العمل الحر إذ تضمن الاستطلاع في السؤال الرابع: ما هي مشروعاتك بعد التخرج؟ وجاءت النتائج: العمل الحر (**50**٪ جامعة فؤاد و**60**٪جامعة فاروق) مقارنة بالوظيفة (**6**٪جامعة فؤاد و**2**٪جامعة فاروق).

في استطلاع مشابه أجرته مجلة آخر ساعة نشر في عددها **591** بتاريخ **15** فبراير **1946**م بين شباب الجامعة حول المفاوضات كانت نتائجه كالآتي: **2190** في جانب المفاوضات - **1640** عدم التعاون -**1084** في جانب القوة-**86** أصوات ملغاة.

المميز في هذا الاستطلاع أنه كشف أن نسبة المستقلين بين طلبة الجامعة الذين لا ينتمون للأحزاب لسخطهم الشديد تجاهها؛ لأنها تقتل المبادئ، بلغ **98.5**٪ بين أوساط الفتيات و**71**٪بين الشباب، وجاءت نسبة الوفديين **13.6** ٪ ولجميع الأحزاب **15.4**٪.. كما كشف الاستطلاع عن أحزاب جديدة بين أوساط الطلاب مثل الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي.. أكثر الكليات حماسة الحقوق والآداب

وأكثرها اتزاناً وهدوءاً العلوم والهندسة والطب وقد لوحظ تهرب بعض الشباب والشابات من ذكر السن!

على صعيد آخر ننظر لضباط الجيش والذين كانوا على مستوى عالٍ من الثقافة ومنخرط بعضهم في الأحزاب السياسية، ويمكننا أن نطلع على عقيدتهم في ضرورة وحدة وادي النيل ففي مجلة الجيش (مجلة عسكرية تصدر كل ثلاثة أشهر مرة عن وزارة الدفاع الوطني وشعارها الله والملك والوطن) العدد الحادي والأربعون (إبريل -يونيه **1948**)، نجد جائزة فاروق الأول للموضوعات العسكرية تمنح للبكباشي (أ.ح) أحمد عبد العزيز قائد آلاي الخيالة بسلاح الفرسان الملكي عن موضوع "مصر والسودان إقليم واحد لا يتجزأ يربطه النيل برباط وثيق من المصالح الحيوية دفاعية واقتصادية وثقافية".

تصدع في الأسرة المالكة:

شهد عام **1948** م أيضاً واقعة فريدة تخص البيت العلوي وهي تقديم أحد أفراد الأسرة المالكة لمحكمة الجنايات وهو وحيد يسري باشا زوج الأميرة سميحة ابنة السلطان حسين كامل ووالدته الأميرة شويكار (شيوه كار) وهو من الأثرياء ويملك مليونين من الجنيهات، وتعد هذه المرة الثانية التي يتكرر فيها ذلك بعد واقعة الأمير أحمد سيف الدين الذي أطلق الرصاص على الملك فؤاد...

كانت القضية بحسب مجلة آخر ساعة في عددها **731** بتاريخ **27** أكتوبر **1948** م تعرف بقنابل **6** مايو وكان الباشا متهما فيها مع سعد زغلول فؤاد وكورت الألماني وكان المخطط هو وضع عدة قنابل في عدة أماكن في السفارة البريطانية وقصر الأميرة شيوه كار يوم عيد ميلاد جلالة الملك وفي قشلاقات قصر النيل يوم الاحتفال

بالجلاء وفي مكتب وزارة الاستعلامات وفي دار الأغذية بشارع ضريح سعد، ولكنّ المتهمين لم يستطيعوا تنفيذ كل هذه الجرائم ووضعوا فقط قنبلة عند مكتب الاستعلامات وفي دار الأغذية البريطانية وقد قادت المصادفة الدكتور كمال عبد الرازق للمرور في شارع القصر العيني أثناء إلقاء المتهمين القنبلة واستطاع التقاط رقم سيارتهم وهي **1540** ومن ثم إبلاغ البوليس الذي قبض على الجناة..

قضية المياه:

تضمن عام **1948** م اتفاقية الكنيسة بين مصر وإثيوبيا والتي حققت رغبة رجال الدين في إثيوبيا في الفصل بين الكنيسة الإثيوبية والمصرية وتعيين بطريق مستقل بعد وفاة البطريق الحالي وهذا بحسب مجلة آخر ساعة في عددها **975** في **1** يوليو **1953** م لتفقد مصر أحد أهم أوراق نفوذها في إثيوبيا والحقيقة أن هذا التقرير اشتمل شهادة خطيرة للأستاذ حسن مظهر سفير مصر السابق في أديس بابا عن مشروع خزان تانا وهي شهادة تختلف عن كل ماكتب عن هذا الخزان في مسألة جوهرية، وهي أن المشروع كان مرحباً به من جانب مصر على الرغم من معارضة بريطانيا له في البداية، وبحسب شهادته المنفردة فإن هذا الحماس المصري كان متواجداً طوال الوقت لأنه يعود بالنفع على مشروعات التوسع الزراعي في مصر والسودان والعلاقات الاقتصادية والسياسية بين مصر وإثيوبيا باعتبارهما أعرق دول القارة الإفريقية وأنّ إنجلترا عرقلته لفائدته على مصر!! وأن الحكومة المصرية عاودها الحنين للمشروع عام **1935** م ودفعت **40** ألف دولار لإحدى الشركات الأمريكية لعمل مسح لمنطقة البحيرة وتنفيذه! وهي شهادة تتعارض مع الكتابات

التي تناولت هذه المسألة من منظور كون مصر والسودان ومن خلفهما بريطانيا قد جمعتهم وجهة نظر مشتركة في أضرار هذا المشروع على قطاع الري في البلدين وضرورة إيقافه..

حرب فلسطين:

كانت طبول الحرب تدق وجيش مصر يشارك للمرة الأولى بعد خطوات أولى من الاستقلال في حرب خارج بلاده وبحسب بيانات صحيفة البلاغ (لسان حال الوفد المصري):

30 مايو **1948**م: "القوات المصرية على بعد **20** ميلاً من تل أبيب والجيش الأردني على **12** ميلاً منها والجيش العراقي على **17** ميلاً".

"البلاغ وسط أفراح سقوط القدس.. اليهود يلقون ضنكاً لم يعرفه بشر من قبل.. لقد جاعوا حتى أكلوا لحوم القطط وظمئوا"...

31 مايو **1948** م: "الجيش العراقي يطارد فلول الصهيونيين على **8** كيلومترات من تل أبيب ويحتل مستعمرة كولم على الساحل ويتم فصل تل أبيب عن حيفا".

2 يونيو **1948**: "التأهب للضربة القاصمة لتل أبيب".

3 يونيو **1948**: "الجيش المصري على بعد **4** كيلو مترات من تل أبيب ومدافعه تضربها بالقنابل بعد التفافه حول رحابوت وريشون ويهاجم تل أبيب من الجنوب الشرقي"..

بيانات تبدو للقارئ وقتها وكأنها قيامة دولة إسرائيل وعودة الأمجاد العربية، ولكن حقيقة الوضع لم تكن ببعيدة عن رصد المواطن العادي خاصة أن غارات

الطائرات الصهيونية قد وصلت العمق المصري، ففي العدد **1241** من مجلة المصور في **23** يوليو **1948** م كانت صور آثار الغارة الثالثة على القاهرة، حيث ألقت طائرات الصهاينة المغيرة لغماً متفجراً أصاب محل "آركو" وحطمت آلاف الزجاجات العطرية، كما تهشمت إحدى وجهات محال شيكوريل فيما وقفت ساعة محال "بول فافر" عن العمل في الدقيقة التي حدث فيها الانفجار والواضح أن الغارة كانت محدودة الأثر نظراً لخلو الشوارع من المارة، كما أن سينما متروبول لا تعمل في الصيف مما قلل من الضحايا والخسائر.. كانت الغارة قد وقعت بطائرة صهيونية ألقت لغماً سقط على شارع فؤاد الأول فدمر جانباً من محلي شيكوريل وأوركو وسينما متروبول وبلغت الخسائر مائة وخمسين ألف جنيه وقتل أربعة أحدهم تفحمت جثته فيما أصيب **26** شخصاً، وقد ذهب الملك إلى المكان وواسى المصابين بحسب مجلة آخر ساعة العدد **717** في **21** يوليو **1948** م.. الأكثر إثارة في هذا الشأن تكشفه مجلة آخر ساعة في عددها **718** في **28** يوليو **1948** م نقلاً عن جريدة الديلي ميل من أن القلاع الطائرة ضربت القاهرة من خارج إسرائيل، ونقلت عن أحد الطيارين الأمريكيين أن الطائرات كانت تحلق على مسافة منخفضة لإصابة قصر الملك فاروق بالقنابل بشكل محكم ومباشر!

بحسب مجلة آخر ساعة في **16** ديسمبر **1953**م (العدد**999**) فإن ثلاثة طيارين مصريين أغاروا في **16** مايو **1948**م على ميناء تل أبيب ومعسكرات للصهاينة ومحطة كهرباء جنوب تل أبيب وعند محاولتهم الإغارة على مطار حيفا في **22** مايو

تصدت لهم **20** طائرة مقاتلة بريطانية (مما يعني أن بريطانيا كانت طرف مشارك لإسرائيل وليست طرف مراقب كما توهم فاروق) مما أدى إلى استشهادهم جميعاً وهم محمد نصر الدين زغلول ومحمد عبد الكريم محرم وتحتمس كامل غبريال.

لكن المجلة استعرضت سيناريو للحادثة تبرئ فيه الطرف البريطاني (غير المحايد) من دم الطيارين فبحسب المجلة فقد استهدفت الطائرات المصرية مطاراً إنجليزياً بالخطأ كان مجاوراً لمطار يهودي في قاعدة (رامات دافيد) المقصود بالتدمير.. عبثاً حاولت القيادة الإنجليزية تنبيه نظيرتها المصرية، لكن سبق السيف العذل ففي الوقت الذي كانت القيادة المصرية تتدارك الخطأ وترسل إشاراتها اللاسلكية لتنبيه طياريها كانت بقايا حطام طائراتهم يتهاوى تحت قصف الإنجليز في ظروف غامضة مازالت لغزاً حتى يومنا هذا.. لكن المثير هو ما نشره حلمي سلام في مجلة المصور في عددها **1360** في **3** نوفمبر **1950** م من اتهام مباشر حملته رسالة من شقيق الطيار الشهيد سعد الصادق الوديني ويدعى "يحي" حول مسؤولية أحد الضباط العظام (دون ذكر اسمه) عن هذه الكارثة وأنه تقاعس عن إبلاغ رسالة القيادة الإنجليزية التي تحذر من استهداف مطارها في هذه المنطقة لأنه إنجليزي وليس يهودياً معتبراً أنّ أخاه "ضحية" وليس "شهيداً".. ضحية لثقة وضعت في غير محلها مطالباً "بمحاكمة هؤلاء الناس بالطريقة نفسها التي حوكم بها مجرمو الحرب العالمية الأخيرة، وليس هذا هو رأيي وحدي بل هو رأي أسرة كل شهيد!!".. أعتقد أنه من هذه المناقشات العلنية على صفحات المجلات فالادعاء بقيام فاروق بفرض رقابة صارمة على ما ينشر بالصحف بعد حرب فلسطين هي مسألة بحاجة لمراجعة منصفة...

في هذه الأوقات العصيبة والعاصفة كان زعيم حزب الوفد وقرينته السيدة زينب هانم الوكيل منشغلَين بأمر جلل لا يقل خطورة عن الحرب التي تخوضها البلاد.

حقيبة الهانم في رمضان:

في **19** يوليو عام **1948** م ومع نهاية رمضان سافرت السيدة زينب هانم الوكيل برفقة زوجها زعيم الأمة مصطفى النحاس باشا إلى الإسكندرية في القطار (تواضع أليس كذلك؟!) فيما كانت حقائب الهانم في طريقها أيضاً إلى الإسكندرية، ولكن بسيارة خصوصي يقودها السائق عبد المعطي إبراهيم، وعند نقطة التفتيش اكتشف السائق أن شنطة السيارة مفتوحة..

ذهب السائق إلى نقطة شرطة الهرم وأبلغ فؤاد سراج الدين بالأمر فاتصل بالهانم وأبلغها فأسرعت الهانم بالعودة، إذ كانت بالحقيبة أوراق مهمة ومجوهرات بقيمة **30** ألف جنيه، وهو المهم وقد قدرت قيمة هذه المجوهرات قبل الحرب بحسب مجلة آخر ساعة ب **13** ألف جنيه وتقيمها "الحالي" ما بين **30**-**60** ألفاً من الجنيهات، بينما قللت نشرة اللواء سليم زكي باشا حكمدار بوليس العاصمة وجريدة الوفد من قيمة ما تحتويه الحقيبة من مجوهرات وأنه لا يزيد عن ألفي جنيه لكن باستعراض بسيط لما نشرته نشرة الحكمدارية، فلا يمكن قبول هذه القيمة المتدنية ومن أمثلة المحتويات بحسب النشرة والصحيفة معاً: "أسورة الماس تعبان من الذهب-خاتم فيروز فص واحد كبير من الذهب - طقم زراير جعران بالذهب-دفتر شيكات بنك مصر **1300** جنيه -ثلاثة أقلام ذهب إحداها مكتوب عليه اسم رفعة النحاس باشا- قلم روج عيار **21**- ولاعة سجائر ذهب -عقدان من اللؤلؤ النادر -خاتم

16 قيراط - ساعتان من الألماس وكليبس وبروش وأسورتان وبروش آخر كبير من الألماس". وقد عرف عن الهانم غرامها بالمجوهرات ففي إحدى حفلات الأوبرا ظهرت بعقد من الياقوت والماس الباجيت وللعقد قرط وخاتم وبه فصوص كل فص 24 قيراطاً من الياقوت وبروش من الماس البديع!! انتقل التحقيق إلى منزل الباشا في جاردن سيتي وكانت الشكوك تحوم حول السائق.. الطريف أن الهانم فتحت المندل لمعرفة السارق ومكان المجوهرات فدلها المندل أنهما الخفيرين (الحارسين) للباشا. طبعاً في النهاية رفضت الشرطة أقوال الهانم المرسلة دون سند سوى المندل!

وفي النهاية تم العثور على الشنطة على جانب الطريق..

بالتأكيد حادثة حقيبة الهانم أعادت للأذهان قضية الكتاب الأسود وما شهدته وزارة النحاس من عجائب وغرائب مالية واستخدام نفوذ كلها صاحبت زيجته الأخيرة وجعلته في موضع السخرية من خصومه فمثلاً في "تقرير لجنة التحقيق الوزارية في الوقائع والتصرفات الماسة بنزاهة الحكم في عهد الوزارة النحاسية الأخيرة 1945": ورد اتهام طريف للنحاس أيدته الصحف من أن وزير الدفاع السابق بناء على طلب النحاس باشا أمر بطائرة حربية من القاهرة لبورسعيد لنقل الممرضة "ربيكا" إلى القاهرة ومنها للإسكندرية في نفس اليوم نظراً لتوعك السيدة المحترمة حماته واحتياجها لممرضة في نفس اليوم.

تشكيل لجنة التحقيق الوزارية كان من قبل رئيس الوزراء أحمد باشا ماهر (لاحظ أن النحاس بصفته الحاكم العسكري اعتقل أخاه أثناء وزارته) في 28 أكتوبر 1944م وضمت معالي وزير المالية رئيساً ووزير التموين والنائب العمومي لدى

المحاكم الأهلية والأستاذ طه السيد نصر المستشار الملكي المساعد بأقسام قضايا الحكومة كأعضاء والأستاذ محمود حسنين مخلوف المحامي بأقسام قضايا الحكومة سكرتير للجنة.

طبعاً حادث الحقيبة الأخير لم يمر مرور الكرام إذ لاقى سخرية من مجلة آخر ساعة ومصطفى بيك أمين وكان وقتها مناوئاً للوفد في نوبة من نوبات تقلباته السياسية وقد سئل ذات مرة: "أين مكانك في الآخرة: الجنة أم النار؟!" فقال: "أن أي مكان لا يوجد فيه النحاس باشا يعتبر جنة وجنتي في الآخرة هي أي مكان لا يوجد فيه صاحب المقام الرفيع!! وأنا أعتقد أنني ذاهب إلى الجنة اللّٰهُمَّ إلا إذا كان حراس الجنة من الوفديين".. طبعاً قول مؤسف فيه استخفاف بالآخرة وهي أهم وأبقى من الخلافات الحزبية ولكنها مصر زمان نعرضها كما هي بلا رتوش.

ما نخلصه من كل ما مضى هو حجم الثراء الفاحش لبعض زوجات الساسة في بلد حجم العجز في الميزان التجاري كان في تصاعد فبحسب صحيفة المقطم في **10** فبراير **1948** م، وتحت عنوان "تجارة مصر الخارجية عام **1947**م" وبحسب الخبر فوزارة المالية أذاعت بياناً بتجارة مصر الخارجية حتى نهاية **1947** م بلغت فيه قيمة جملة الواردات **103,901,929** ج مقابل **83,247,832** ج في العام السابق وبلغت الصادرات **86.980,013** جنيه مقابل **63,680,534** جنيه، وبلغ الصادر من الواردات **3,858,230** مقابل **5,312,324** ".

وحتى تكتمل الصورة بشكل أوسع وأعمق فجدير بنا أن نعلم عدد سكان الدولة المصرية في ذلك الوقت وأوجه إنفاقها للأموال وبالعودة إلى كتاب "الإحصاء السنوي

للجيب **1949**و**1950** م" الصادر عن مصلحة الإحصاء والتعداد- وزارة الاقتصاد الوطني -المملكة المصرية -المطبعة الأميرية بالقاهرة **1951**م: فقد كان تعداد سكان المملكة المصرية في آخر تعداد (**1947**م): **19092389** بزيادة عددية **3159695** بزيادة مئوية في **10** سنوات **19.8** عن التعداد السابق عليه (**1937**م) ولو قارناه بأول تعداد عام **1882** م وكان عدد السكان وقتها **6804021** فلك أن تتخيل عزيزي القارئ الطفرة السكانية التي حدثت والتي كانت تستلزم في المقابل عناية صحية واجتماعية وتعليمية في المقابل لكنها كانت تسير ببطء..

ومن الكتاب نفسه نلقي نظرة سريعة على أمثلة من مصروفات الحكومة بالجنيهات المصرية:

أولاً: جلالة الملك:

1948- 1949: 984619

1949- 1950: 1096924

لاحظ أن مخصصات الملك قد انخفضت للثلث إلى مائة ألف جنيه طبقاً للخطاب الذي أرسله الملك فاروق لدولة ماهر باشا وتلاه في اجتماع البرلمان بعد شهر واحد من توليه العرش في مايو **1936**م، وذلك بحسب ما جاء بمجلة المصور في العدد **841** في **22** نوفمبر **1940** م.

ثانياً: الدين العام:

1948- 1949 : 5216571

1949- 1950 : 6067792

ثالثاً: مخصصات البرلمان:

1948- 1949 : 403905

1949- 1950 : 416599

رابعاً: الصحة العمومية:

1948- 1949 : 7516551

1949- 1950 : 8570337

خامساً: الزراعة:

1948- 1949 : 3213841

1949-1950:3115314

سادساً: الحربية والبحرية:

1948- 1949: 33622163

1949- 1950 : 35356881

بلا شك نحن أمام شفافية تخطف الأنظار لكن ماذا لو تساءلنا عن قطار الملك فاروق أول قطار ديزل بسرعة **120** كيلو متر بمصر من تصنيع شركة فيات الإيطالية بداية من عام **1949** م ومكيف ومضاء بالفلورسنت ومزود بأكثر من عشرة أجهزة تليفون داخلية وجهاز لاسلكي للإرسال والاستقبال وبه حجرة نوم ومطبخ كهربائي بتكلفة **154** ألف جنيه... ترى مثل هذا القطار الفارة في دولة فقيرة ومدينة يندرج تحت أي بند من بنود هذه الموازنة المعلنة؟.

تصور معي أيضاً عزيزي القارئ أن وزراء وفديين مثل فؤاد سراج الدين كانوا يشكون أن مناصبهم الوزارية التي سعوا لها بمحض إرادتهم كانت معرقلة لهم في تنمية ثرواتهم ولقاء الأهل والأصدقاء!! فمثلاً فؤاد سراج الدين في تصريح له لمجلة الاثنين والدنيا في **24** يناير **1944**م: "لا أقول إنني زاهد في منصبي، ولكنني أصبحت أؤمن حقاً بأن لمنصب الوزير غرماً لا غنماً ففي العامين السابقين لتولي منصب الوزارة استطعت أن أشتري **2000** فدان، وأن أدخل إصلاحات فنية نافعة على أراضي وأراضي الدائرة ومنذ دخلت الوزارة لم أشترِ سهماً واحداً، بل إنني لم أذهب إلى بلدي سوى مرتين لأقيم في كل مرة يوماً أو يومين فهذا المنصب حرمني من الشيء الذي يتمناه كل إنسان وهو زيادة النعمة، بل ومن رؤيته الأهل والأصدقاء". فهل يا ترى كان جلب قرطاس وقلم وكتابة استقالة أو أمر إعفاء بالأمر المستعصي على الوزير لتلك الدرجة؟!

تخيل أن هذه طريقة تفكير مسؤول مصري يمثل حزب من أحزاب الأغلبية يمن بتفرغه على أبناء جلدته في نفس الوقت تجد التفكير الغربي مبهر في إظهار

واستحثاث المثالية في النفوس ولو اختلاقاً لدى أبناء جلدتهم فمثلاً: (سانتون جريفيس) السفير الأمريكي بمصر عام **1948**م يعلن أنه يتقاضى مقابل عمله الدبلوماسي دولاراً واحداً (نقلاً عن موقع فيتو الذي نقل عن مجلة المصور **1948**م) وأنه كان يود التنازل عن راتبه كاملاً إلا أن قانون الولايات المتحدة لا يسمح بالعمل في الحكومة دون أجر.

الصلح مع إسرائيل

على النقيض من ثراء زعيم حزب الأغلبية وزوجته والذي أظهرته المصادفة وساقته الأقدار للعلن كان بعض الوزراء من حكومات الأقليات يدللون على تواضع مركزهم المالي واعتمادهم التام على راتبهم الحكومي الذي لا يكفي لنهاية الشهر فمثلاً وزير الخارجية أحمد خشبة باشا يغرد بمقولة الشاعر حافظ إبراهيم أن "كل أيام الشهر جميلة ما عدا التسعة والعشرين يوماً الأخيرة"!! فرصيده في البنك **15** جنيهاً فقط ويلقي على مسامع سكرتيره أنه من حسن الحظ أن ذلك في أول الشهر وأنه لو كان في آخره فلا كان بالحساب لا خمسة عشر ولا خمسة!! وذلك بحسب مجلة آخر ساعة العدد **715** في **7** يوليو **1948**م. وأحمد خشبة باشا لمن لا يعرفه بدأ حياته وفدياً، ثم أصبح من معارضيهم والتحق بحزب الأحرار الدستوريين وهو أحد السبعة بمجلس الشيوخ المعارضين لمعاهدة **1936**م التي وقعها النحاس مع الجانب البريطاني وهو من أوائل الساسة المصريين الداعين للصلح بين مصر وإسرائيل بعد حرب فلسطين ففي **10** أغسطس **1951**م نشرت صحيفة المصري عنه ما اقترحه كشروط للصلح

بين مصر وإسرائيل ومنها عودة اللاجئين لديارهم ورد ما اغتصب منهم من أموالهم وديارهم وتعيين حدود ثابتة بين مصر وإسرائيل تقيها شر الاعتداء عليها مستقبلاً وهي اقتراحات تقوم على تحقيق العدل بين العرب وإسرائيل.. فهل كانت اقتراحات خشبة باشا وقد كان وقتها وزيراً أسبقَ للخارجية، اجتهادات من تلقاء ذاته أم كانت جس نبض من الدولة المصرية تجاه النوايا الإسرائيلية بعد الحرب؟! سؤالاً يبقى بلا إجابة مع ضياع الكثير من وثائق الدولة المصرية في العهد الملكي وإحجام كثير من ساسة هذا النظام عن كتابة مذكراتهم والبوح بما لديهم من أسرار وضياع بعضها للأبد!!

المرأة والحرب المقدسة

تضمنت مجلة الاثنين والدنيا في عددها **721** بتاريخ **5** إبريل **1948** م مقالاً للآنسة (ابتهاج قدورة) رئيسة الاتحاد النسائي اللبناني حول دور المرأة في إنقاذ فلسطين، وهي ترى أن الدور ليس فقط التطوع في جمعية الهلال الأحمر كتمريض لمواساة الجرحى، بل على المرأة دور أكبر عبر محيطها العائلي والاجتماعي في أن تحث زوجها وأخاها وولدها للتطوع في جيش إنقاذ فلسطين وإقامة الحفلات الخيرية المتعددة لتجميع الأموال لصندوق الإنقاذ، وعلى المرأة أن تسأل زوجها الثري أو الوزير أو السياسي أو الخطيب ماذا فعل لإنقاذ فلسطين؟ فإن لم يرضِها الجواب فإن لها من وسائلها ما يجعلها تملي عليه ما يجب أن يفعله! كما تنبه في مقالها إلى ضرورة المقاطعة للمتاجر والسلع الصهيونية معولة على طاقة المرأة في حث زوجها المالي أو شقيقها الاقتصادي على إنشاء المصانع والمعامل التي تغني البلاد عن تلك البضائع.

لكن الواضح أن السيدة كانت تستحث فكراً اقتصادياً واعياً ومنظماً لا وجود له في بيئتنا العربية لمساندة فلسطين، وكانت أغلب المبادرات لا تعدو كونها فردية فمثلاً نجد نداء حنفي فرج تاجر وعضو الغرفة التجارية بجعل الشهر شهر فلسطين ومساهمة كل تاجر مسلم وقبطي ويهودي بجزء من ربحه اليومي وإرساله إلى الجامعة العربية والتي يطالبها بعمل سجل خاص ينشر فيه أسماء كل من يساهم في نصرة فلسطين ومدى مساهمته.

شهدت حرب فلسطين عام **1948** م مشاركة ميدانية فاعلة من العنصر النسائي ففي العدد **715** من مجلة آخر ساعة في **7** يوليو **1948** م، وتحت عنوان "المصريات المجندات" نجد مشاركة السيدة ناهد هانم رشاد وصيفة جلالة الإمبراطورة فوزية ورتبتها صاغ، وكريمة المغفور له الدكتور أحمد ماهر باشا ورتبتها يوزباشي، وكريمة معالي بهي الدين بركات باشا ملازم أول، والسيدة وفية كريمة المليجي بيك ملازم أول، فيما اعتذرت عن التطوع بسبب المرض: لطيفة هانم العبد وعليه هانم الفار وزينات هانم الجداوي. في عدد المصور **1250** في **24** سبتمبر **1948** م حمل العدد ملفاً خاصاً عن "المصرية في ميدان القتال!" تحدث عن مشاركة **75** مجندة مصرية في ميدان القتال لأول مرة في تاريخ مصر، وقد تزينت المجلة بصور بعضهن مثل "اليوزباشي حرم إبراهيم بيك زكي -الملازم الثاني السيدة عنايات رمزي-الملازم الثاني الآنسة ابتسامات عبد الله - الملازم الأول السيدة عزيزة زكي - الملازم الثاني الآنسة ليلى أحمد إسماعيل -الملازم الأول السيدة روحية رمزي - الملازم الثاني الآنسة سالمة عبد الله - الملازم الأول الآنسة دولت ثابت " وقد سافرن إلى ميدان

القتال بفلسطين حيث عملن بمساعدة أطباء الميدان في عمليات نقل الدم للجرحى وفي تضميد جراحهم كما التحق البعض منهن في المستشفى العسكري العام وفي مستشفى العجوزة..

في عدد مجلة الاثنين في يونيو **1948** م ظهرت مشاركة سيدات الهلال الأحمر ومنهن ناهد هانم سري (زوجة حسين سري باشا رئيس وزراء مصر السابق، حصلت على لقب الأم المثلى عام **1954** وهي أم لثلاث سيدات متزوجات وأمهات كبراهن السيدة إحسان حرم الدكتور محمد هاشم بحسب المصور العدد **1526** في **8** يناير **1954**م، وكانت من هواة القبعات وتملك تشكيلة فاخرة من الثياب الأنيقة صنع أغلبها في باريس، وهي تميل للألوان القاتمة ومنها الأسود ومن عاداتها قراءة سورة يس كل يوم وبعض آيات الذكر الحكيم بحسب مجلة المصور في عددها **1450** بتاريخ **25** يوليو **1952**م.) والسيدة لطيفة هانم العبد (كريمة الأميرة شيوه كار) ولها صورة طريفة وهي تشعل سيجارة لجندي حجازي قبيل الرحيل.

حملت المجلة أيضاً رسائل حماسية من طالبات مدرسة معلمات شبرا وعدداً من الأكياس تحوي الحلوى والسجائر وغيرها لإرسالها إلى الجنود البواسل في ميدان القتال للترفيه عنهم، من أمثلة هذه الرسائل: "عد سريعاً منتصراً لنحتفل بك.. معلمات شبرا" -"ندعو لك دائماً في صلواتنا فإلى الأمام يا شباب الجيل "-" خفقات قلبي تدعو بالنصر الشامل لك أيها الجندي المصري الباسل ".

وعن الهدايا والتبرعات للجنود المحاربين تحدثنا مجلة المصور في عددها رقم **1234** في **4** يونيو **1948** م حيث نجد سيدات الهلال الأحمر وقد وزعن جماعات لكل جماعة

عمل ومنهن حرم الدكتور الكرداني بيك وحرم حسن بيك محرم يقمن برسم شارة الهلال الأحمر على محافظ صغيرة ستقدم هدايا للجنود في الميدان، كما ترصد المجلة إقدام سيدتين من بنات البلد على الذهاب إلى وزارة الدفاع، وقدمت إحداهما خمسة جنيهات والثانية أربعة تبرعاً منهما للترفية عن الجنود في فلسطين كما خلعت إحدى السيدات قرطيها تبرعاً للجيش، وقد سعت لمقابلة وزير الدفاع باكية صارخة: "عايزة أقابل الوزير علشان أدي له حاجة للعساكر".

الصحف المصرية أيضاً شاركت في الحملة لجمع التبرعات لفلسطين ففي العدد 22806 من صحيفة الأهرام في 13 فبراير 1949م نجد تبرعات قراء الأهرام مقسمة إلى تبرعات للترفية عن الجنود المصريين المحاربين بفلسطين ومجموعها الكلي 29813 جنيه و386 مليم (5 ج من طالبات مدرسة الأمير عمر طوسون الابتدائية للبنات بالرمل -2 ج من طالب بكلية الحقوق - جنيه من فاعل خير بمصر الجديدة وهكذا) وتبرعات لأسر الشهداء من جنود الجيش ومجموعها الكلي 4947 جنيه و365 مليم (10ج من الشيخ دردير إبراهيم القطان وهكذا) وتبرعات لنصرة فلسطين ومجموعها الكلي 5174 جنيه و971 مليم (جنيه من ع.ر. عربى بالمنصورة -500م من أحمد عمارة أفندي وهكذا) وتبرعات للعرب الفلسطينين اللاجئين إلى مصر ومجموعها الكلي 2135 جنيه و655 مليم (5 ج من حرم القائمقام محمد حسني -20 ج من الأستاذ هـأ.رجب عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية وهكذا)

وتبرعات للأسر المنكوبة بفلسطين ومجموعها الكلي **148** جنيه و**802** مليم (جنيه من الآنسة سعدية منتصر وهكذا)..

حال ضيوف مصر

في تقرير نشرته المقطم في **5** مايو **1948**م عن حالة اللاجئين الفلسطينين في ثكنة العباسية كشف أن هؤلاء اللاجئين يمنعون من مغادرة المعسكرات ويمنع أهلهم من زيارتهم إلا بترخيص وتمنع عنهم الصحف والمجلات ويحال بينهم وبين الاتصال بالعالم الخارج عن نطاق المعسكر وأن بعض اللاجئين من الموسرين الذين يستطيعون أن ينزلوا في فنادق أو في منازل خاصة وبعضهم لهم أهل أو أقارب أو أصدقاء في مصر يستطيعون النزول لديهم ومع ذلك لا يباح لهم ذلك ويطلب منهم عدم مغادرة المعسكر.

وطالب بعض الفلسطينيين من المسؤولين المصريين إطلاق اسم "ضيوف" لا "لاجئين " على الأشقاء الفلسطينيين وهو الطلب الذي لم يُلبَّ حتى يومنا هذا، والسماح لمن يحمل جواز سفر منهم أن يغادر المعسكر إذا رغب في ذلك حتى يشعروا أنهم في بلادهم حقاً وليسوا في "معسكرات لعزلهم عن الدنيا".

نوايا خبيثة:

في **10** مارس **1949**.. احتلت إسرائيل قرية (أم الرشراش) بتواطؤ بريطاني أمريكي؛ لتحصل على منفذ على البحر الأحمر لتيسير اتصالها بالقارة الأفريقية والشرق الأقصى، وهنا بدأت مصر تتوجس من النوايا الإسرائيلية في التوسع بهذه المنطقة. بحسب مجلة المصور في عددها **1346** في **10** مارس **1950** م أن سؤالاً

لنائب في مجلس نواب تل أبيب حول إمكانية احتلال جزيرتين مهجورتين لا يقيم فيهما أحد ولا تهتم بهما حكومة هما "جزيرتا تيران وصنافير" عند مدخل خليج العقبة جنوباً بين الساحلين المصري والسعودي.. هذه الثرثرة من جانب النائب علاوة على رفض حكومة إسرائيل للمناقشة العلنية لهذه المسألة جعلت مصر تسارع لاحتلال الجزيرتين خشية أن يكرر التاريخ نفسه وأن تأتي حملة صهيونية إلى الجزيرتين على غرار الحملة الصليبية للص أرناط (رينو دي شاتيون) أمير الكرك من العقبة لغزو الحجاز والاستيلاء على المدينة ونبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كانت الجزيرتان من ضمن ما استولى عليه ووضع فيهما حامية عسكرية هنا أمر صلاح الدين الأيوبي ـوكان وقتها في (حران) في أقصى بلاد الشامـ نائبه في مصر الأميرَ العادلَ أبا بكر الأيوبي بالإسراع بوقف هذه الاعتداءات والحيلولة دون وصول الصليبين للمدينة فعهد العادل للحاجب حسام الدين لؤلؤ الأرمني وهو قائد الأسطول المصري بالتحرك للقضاء على الأسطول الصليبي، وكانت استعادة الجزيرتين بلا شك من ضمن أهداف هذه الحملة وانهزم الصليبين، حيث استطاع حسام الدين استمالة البدو الأعراب لصفه بأكياس الفضة وأقسم صلاح الدين أن يقتل أرناط بيده بعد أن أراق دم قافلة حجاج في طريقها لبيت الله الحرام وهو يقول: "أين محمدكم؟ لو جاءني هنا لقتلته بسيفي " وحينما ظفر به صلاح الدين قال له وهو يقتله: "أنت قلت للمسلمين: هاتوا محمداً يخلصكم، أنا أنوب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اليوم فأخلص المسلمين من شرك".

حقاً لقد استفادت مصر من دروس التاريخ في هذه الخطوة الاستباقية أليس كذلك؟!

أين الضبع؟

"ضبع الفالوجة ليس معتقلاً في الطور" إجابة حملها غلاف آخر ساعة في عددها **773** في **17** أغسطس **1949**م لسؤال حير العامة والخاصة: هل السيد بيك طه الضبع الأسود الذي صاحبته دعاية صاخبة عند عودته من حصار الفالوجة معتقلٌ بالطور؟! ولماذا ؟! تجيب المجلة عن هذا السؤال بشكل مقتضب أنّ الرجل يؤدي واجبه العسكري بشكل طبيعي، وأنه ليس من الطبيعي أن يسلط الضوء طوال الوقت على شخص واحد وللأبد، وأنه حالياً في منقباد قرب أسيوط مقر اللواء الأول من ألوية الجيش المصري أي في طليعة الجيش.

المتابع لحوارات السيد طه عند عودته وحكاياته عن الحصار يجد لغته التلقائية وطريقته في السرد البسيط والحكي العفوي محببة وقريبة من نفوس العامة؛ مما يتولد عنه شعبية جارفة ربما خشي منها فاروق أو مقربوه من تكرار السيناريو السوري في مصر؛ عبر الدفع بأحد مجاهدي فلسطين البارزين إلى واجهة الأحداث لاحتمال أن ينقلب عليه بعد ذلك، تماماً كما فعل حسني الزعيم صاحب البطولات في حرب فلسطين مع الرئيس شكري القوتلي، وكان الأخير قد صعده لمنصب قائد الجيش بدلاً من عبد الله عطفة على خلفية الهزيمة في الحرب، لكن سرعان ما انقلب الزعيم على رئيسه القوتلي في **30** مارس **1949** م، ورغم قصر عمر هذا الانقلاب الذي استمر أربعة أشهر ونصف فقط، إلا أنه كان باكورة الانقلابات الناجحة في المنطقة العربية بالمقارنة بإخفاق انقلابي رشيد عالي الكيلاني في العراق في **1941**م وانقلاب عبد الله بن الوزير في اليمن **1948** وكانا ما زالا في المهد، كما أنّ انقلاب

الفريق بكر صدقي (29 أكتوبر 1936)، هو أول انقلاب عسكري وكان له دويّ مؤثر في المنطقة العربية بحكم كونه أول انقلاب عسكري بها ودرساً لا ينبغي تكراره.. وبالطبع كل هذه الدروس لابد وأن تشغل حيزاً من تفكير صناع القرار بمصر..

ولنا أن نلمس طريقة الضبع في القصص السهل المحبب في تصريحات له نشرتها مجلة المصور في عددها 1274 بتاريخ 11 مارس 1949 م، فبحسب روايته أنه هو وقواته كانوا تحت حصار نفسي وحربي شديد، وكانت الطائرات اليهودية تلقي عليهم المنشورات للاستسلام وإلا فمصيرهم السحق والفناء، وحدث أن دعاه القائد العام اليهودي لزيارته وقد بدأ حديثه معه بعرض الطعام قائلاً: "إنت جعان خد لك كام ساندوتش وكام قطعة جاتوه"، فرفض الضبع الأسود في إباء قائلاً بحسب تعبيره: "أنا شبعان ومبسوط 24 قيراط"، فما كان من القائد اليهودي إلا وأن هدده بهجوم شديد جداً "لم ترَ بطاح فلسطين له مثيلاً من قبل"، وبالفعل نفّذ تهديده بهجوم على الفالوجة لأكثر من 36 ساعة متواصلة غارات وأطنان من القنابل تلقى، وحاول الضبع الأسود الترويح عن قواته بزراعة تقاوي من الفجل حملها له سراً أحد الأعراب، لكن غارة يهودية أبادت مزرعة الفجل، كما تحدث عن مباراة بالكرة الشراب انتهت بهزيمة الضبع من أحد جنوده، وتحدث أيضاً عن وليمة بجمل كان يحمل المؤن والمهمات فحمله الجنود إلى الشواء.. طبعاً قصص محببة كهذه حتماً ستداعب أفئدة المصريين..

لكن ثمّة رواية أخرى ظهرت بعد ثورة **1952** م حول أسباب إبعاده نقلتها مجلة التحرير عن السيد طه ـالذي عاش حياته مضرباً عن الزواجـ من أنه حينما عاد من الفالوجة أقامت السفارة الإنجليزية حفلة ساهرة لإحدى المناسبات فدعته لشهودها، وهناك وافق على أن يراقص بعض السيدات الأجنبيات؛ فلما علم الفريق محمد حيدر وزير الحربية وكان صارماً غضب بشدة وأراد محاسبته، فاحتد عليه السيد طه قائلاً: "لقد عشت في النار شهوراً عدة وأنت هنا تنعم بكل أطايب الحياة وما أفعله عياناً يفعله غيري سراً لأنهم جبناء". فقرر حيدر بعدها إبعاده.

إعادة بناء الجيش

لم تكن المطامع الصهيونية في احتلال سيناء خافية على صانع القرار المصري في هذه الأثناء فبحسب مجلة المصور في عددها **1281** بتاريخ **29** إبريل **1949**م، نقلت المجلة عن الأستاذ سمير سوقي مراسل اليونيتد بريس وهو الصحفي المصري الوحيد الذي تنقل بين خطوط القتال في حرب فلسطين أنّ القائد العام للقوات الصهيونية الكولونيل بيجال يادين كان قد أمر رجاله بالقضاء على جميع القوات المصرية في فلسطين وسيناء بشكل كامل، وأنّ تراجع القوات المصرية إلى الإسماعيلية مع استيلاء الصهاينة على العريش يجعل سيناء كلها في قبضة يد الصهاينة غنيمة باردة، وأنّ قيادة الجيوش البريطانية في فايد كانت على علم بهذه النوايا، وأنّ الطائرات البريطانية كانت ترصد تقدم اليهود محاولة الحيلولة بينهم وبين الاقتراب من سيناء أو قناة السويس وقد خسرت بريطانيا في هذه العمليات الاستطلاعية خمس طائرات في يوم واحد، فيما استبسل المصريون أمام هذه الأطماع.

بعد كل هذا لم يكن هناك من سبيل سوى إعادة بناء الجيش المصري بقدرات قتالية وهجومية أكبر.

بدأت تظهر بوادر هذا الإصلاح في قدرات في الجيش المصري في العرض العسكري العظيم الذي بدأت به حفلات ذكرى محمد علي الكبير، وبحسب مجلة المصور في عددها 1302 في 23 سبتمبر 1949 م جاء وصف المجلة له بأعظم عرض عسكري في تاريخ مصر الحديث حضره فاروق وفي المقصورة الملكية شقيقتا الملك فوزية وفائزة بالملابس العسكرية وابنتاه فريال وفوزية بملابس الأطفال.. شارك في العرض سرب من دبابات شيرمان الأمريكية الأحدث والأقوى عالمياً وقتها، وعشرة آلاف من الجنود و102 من المدافع المضادة للطائرات والدبابات ومائة سيارة مصفحة منها 24 كانت ذاهبة لإسرائيل في سفينة وتمت مصادرتها عند بورسعيد بعد تفتيشها، واشتركت في العرض أيضاً 800 سيارة و6 مجموعات دبابات وعزفت موسيقى الجيش بملابس جنود محمد علي ذات اللونين الأحمر والأزرق.. وقد جاء وصف سفير الباكستان لهذا العرض بحسب المجلة" أصبحت مصر بهذا الجيش العظيم درع الشرق الواقي" ..

مجلة آخر ساعة في عددها 788 في 30 نوفمبر 1949 م رصدت ردود الأفعال الشعبية على الاستعراض العسكري: "أبناء البلد يشترون للجنود قبل العرض أكواباً من عصير القصب - هتاف في الميدان حيدر الوحش وأحد المتفرجين عند مرور الطائرات يصيح بحياة أبو زيد والصور تظهر مئذنة جامع الكيخيا وفوقها سرب من قاذفات القنابل وطائرات لانكستر من القاذفات الثقيلة تخترق سماء القاهرة -

إغماء أحد أصحاب المقاهي من كثرة الهتاف- الزغرودة الأولى لسيدة منذ وفاة ابنها وزوجها في حادث قبل عشر سنوات وزغرودة أخرى من سيدة أجنبية في فندق شبرد عندما مرت أول دبابة شيرمان وسيدة عجوز تقذف الدبابات من كيس ملح معها خشية العين والحسد -ميدان محمد علي خلية نحل ونصف مليون يصفقون للجيش في شوارع القاهرة- تصفيق الجماهير للكتيبة السادسة من اللواء الأول وقد حملت شارة الفالوجا وللواء المواوي عند تقاطع شارع الملكة نازلي وشارع الملك".

في اعتقادي أن هذه المشاهد وهذا الحشد الشعبي من خلفها دق ناقوس الخطر في إسرائيل ومن وقتها وبدأ العد التنازلي لحكم فاروق الذي أصبح واضحاً أنه رافض لفكرة عقد صلح مع إسرائيل بشكل قطعي ومصمم على المضي قدماً في خوض معركة قادمة معهم..

الواضح أن فاروق لم يعد حساباته بدقة قبل الحرب وبعدها والجلي أنه في هذه الفترة كان يفتقد للمستشارين المحنكين فالدولة المصرية كانت لتوها قد خرجت من عباءة الاحتلال البريطاني وجيشها غير معد أو مجهز للدخول لحرب خارج حدوده كان الطرف الآخر فيها مدرب ومجهز بشكل كبير، ويقال: إن عناصر استخباراتية تابعة للمخابرات الحربية الملكية أشارت إلى امتلاك تل أبيب مصنعاً لدروع الدبابات.. كما لم يلتفت فاروق لمسألة شديدة الأهمية في إدارة مثل هذه الصراعات وهي أن الدولة الإسرائيلية التي وصلت بطائرتها لقصره كما ذكرنا آنفاً هي جسم غريب مزروع ومصنوع بإرادة غربية بالكامل، وقد وفرت لها الدول المحورية الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وروسيا وفرنسا كل سبل البقاء في المنطقة

العربية، وأنها لن تسمح له بتحقيق نصر كامل عليها مهما كانت الظروف وقد أفضى ملك الألبان ورئيس وزرائها السابق "أحمد زوغو" وكان مقيماً في مصر هو وأسرته في رحلة المنفى بالنصح لفاروق قائلاً: "لا أتصور يا جلالة الملك أن بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة تقرر إقامة دولة لليهود، ثم تسمح لك بإزالتها".

خفض الجنيه

طرحت مجلة الاثنين والدنيا في عددها **812** في **2** يناير **1950** م سؤالاً على عدد من السياسيين والمفكرين حول الاسم المناسب للعام المنصرم: "ماذا تسمي عام **1949**؟"..

تضمنت الإجابات تسمية طريفة من الأستاذ عبد الرحمن البيلي بيك بعام "الدولار"؛ وجاء تعليله لهذا الاختيار بأن العام المنصرم شهد تنازل "حضرة صاحب الفخامة الهمايونية "الاسترليني" عن عرشه وسلطانه وجاهه وصولجانه ليتربع في مكان ما على رصيف الاقتصاد وهو يرمق في أسى وحسرة حاكماً جديداً يخلفه!!" هو بالتأكيد الدولار.

بالتأكيد لم تكن مصر بمفازاة عن الوضع المالي العالمي، إذ فجأة ودون سابق إنذار حملت صحيفة الأهرام في عددها **22991** في **19** سبتمبر **1949**م خبر خفض قيمة الجنيه المصري كإجراء اضطراري مصاحب لخفض الحكومة البريطانية لقيمة الجنيه الاسترليني بنسبة **30**٪ ومسايراً لحركة النقد الدولية.

فأصبح سعر الجنيه بالنسبة للدولار **2,871** دولاراً بدلاً من **4,133** دولاراً ووزنه الذهبي 2,55187 **2** جرام من الذهب الخالص بدلاً من **3,67288**جرام إضافة إلى منع خروج الذهب من مصر أياً كان نوعه..

غرقانة في شبر مية:

جاء ختام عام **1949** م أيضاً مثيراً إذ جاء شاهداً على عجز الحكومة المصرية عن معالجة مشكلة الصرف في شوارع الإسكندرية، تلك المشكلة الأزلية التي مازالت تعاني منها المدينة الساحلية حتى يومنا هذا... بحسب وصف مجلة المصور في **28** ديسمبر **1949** م، فقد شهدت منطقة الساحل أمطاراً غزيرة لم تشهد لها مثيلاً من قبل أو على الأقل من سنوات طويلة وتحولت الشوارع القديمة إلى ترع وأنهار والميادين الكبيرة كميدان الرمل إلى برك كبيرة، وأضحت شوارع الإسكندرية القريبة من البحر كما لو كانت قطعة منه وصفوف السيارات تعوم في الماء والأبيض والأسود يخوضان في السيل كما نقلت عدسات المجلة صوراً لا تختلف عما يحدث حالياً معلقة "مطلوب جندول للتنقل في الإسكندرية."

****

الفصل الرابع

الصحافة زمان.. سيرة أخرى

تمهيد:

الإعلام الرقمي بلا شك واقع حتمي مع غزو وسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا الحديثة لكل بقاع الدنيا ولكافة المجتمعات بجميع قطاعاتها..

والإعلام الرقمي يعكس ثقافة هذه الشرائح المجتمعية بكافة أطيافها الراقي منها والمعتدل والمتدني، ولكل مجتمع اهتماماته والتي تعكسها نسبة المتابعات وعلى أساسها تنبثق الترندات وتذيع بين الناس..

توجيه هذا الإعلام الرقمي والتحكم فيه مسألة شبه مستحيلة مهما بلغت قوة الدولة وقد أضحى العالم قرية واحدة وكل ممنوع مرغوب بطبيعة الحال، والحل يكمن في منافسته وطرح محتوى رقمي جيد ومتميز ومبهر يجذب الناس ويعالج قضاياهم بعقلانية واستنارة وبواقعية ووضوح.. هذا هو التوجه الذي يستقيم مع روح العصر وأدواته ويخاطب الشباب بوسائلهم.. فماذا لو تحولت الأحزاب السياسية ورجالاتها والنواب مثلاً من الخطابة في المناسبات وفي الجلسات البرلمانية وفي السرادقات والمناسبات الاجتماعية إلى مخاطبة الشباب عبر الإعلام الرقمي والتوجه نحو تبني صناعة يوتوبرز من شباب الأحزاب ومن رجال الفكر والأدباء والجمعيات الأهلية للاقتراب من الشباب والتفاعل مع مشاكلهم وأحلامهم وقضاياهم حتماً ستظهر ترندات لقضايا مجتمعية تستحق العناية وستفرز مواهب حقيقية وعقليات جيدة وأفكار خلاقة ومخترعات مفيدة تستحق تسليط الضوء والبناء عليها وستسهم

في نهضة المجتمعات وتعظيم دور شبابها بدلاً من ترندات حافلة بالسخف والتفاهة تتصدر الإعلام الرقمي الآن..

ليس هناك ما هو أدل على تأثير الإعلام الرقمي من قدرته على جمع ملايين الجنيهات في فترة وجيزة لإنقاذ مرضى ضمور العضلات من الأطفال المحتاجين لعلاج باهظ التكلفة في وقت قياسي ومن خلال الإعلام الرقمي وتسليط الضوء على الحالات وبيان مصداقيتها أمكن تدبير هذه المبالغ لعشرات الحالات ومازال العمل على قدم وساق إنها قدرة الإعلام الرقمي على خدمة المجتمع وأبنائه لو أخذ اتجاهه السليم والضروري والنافع.

كذلك الحال في الماضي سواء بسواء مع اختلاف واحد وهو أنّ الصحافة المصرية كانت الركيزة الرئيسة للمشهد الإعلامي والمتصدرة له بحكم كونها الأقرب لكل فئات المجتمع، فكانت حافلة بالأخبار المتنوعة والمترجمات والسجالات بين نجوم الصحافة والأدب والفن والعلم.. ومن هنا تتجلى لنا أوجه متباينة عنها تحمل في طياتها مشاهد متدرجة ومختلطة من منافع ومضار وهذا موضوع مبحثنا ونبدأ بالمضار وهي:

1-البحث عن الأخبار السريعة والمقالات تحت الطلب والأقلام المأجورة ويعد الشيخ الشربتلي أنموذجاً لهذا المبحث..

لاشك أنّ الكتابة من المهن المنتشرة وغير المربحة في عالمنا العربي حالياً، وذلك لأسباب كثيرة منها كثرة عدد الكتاب بشكل كبير والقليل منهم من يتسلح بأدوات الكتابة ومهاراتها ويأتي هذا العدد كنتيجة طبيعية للطفرة الحالية في حجم المعلومات على الشبكة العنكبوتية في كل المجالات مما جعل من لم يكتب في حياته

يشرع في الكتابة دون إبطاء ودون وعي بأن ليس كل ما على الساحة المعلوماتية صائباً، والنادر من يتحرى ذلك فضلاً عن انتشار ثقافة القص واللصق في المقالات والنقل عن الآخرين بشكل حرفي دون الإشارة لهم.

عرفت صديقاً كان يود أن ينافسني في الكتابة ولا يهم إن كان لديه مقومات الكتابة أو الثقافة اللازمة لذلك.. المهم هو المنافسة والظهور وحسب، فإذا بي أجده بين يوم وليلة ينشر عدة مقالات تتصدرها صورته ويطالبني ويلح في الطلب بعمل "لايكات" و"شير".. لا أكذبكم القول لقد تملكني الفضول في معرفة سر هذه الموهبة الطارئة فوضعت جزءاً مما كتب بنصه على جوجل لتحديد نسبة الاقتباس، فوجدت تقارير قد نقلها قصاً ولصقاً بشكل كامل وكل إبداعه أن حذف اسم محررها الأصلي ووضع اسمه وبقلمه! طبعاً صمت وكتمت الأمر خشية إحراجه ولم أستجب لدعواته المتكررة لإبداء الإعجاب والتقدير المصطنع.

بحسب مجلة الدنيا المصورة في الثلاثينيات وفي بدايات القرن العشرين كان اختلاق الأحداث وابتداع الأخبار شيئاً يسيراً في ظل كثرة الأميين وانعدام وسائل التواصل أحياناً للتأكد من صحة الأخبار وعدم وجود منافسة حقيقية بين الصحف في جني الأخبار واللا مبالاة من جانب بعض أصحاب الصحف في تحري صحتها والتأكد من مصداقية كتابها ومندوبيها ما داموا يحققون لهذه الصحف نسبة كبيرة من المبيعات والحراك مثل ثقافة "الفانز" حالياً على الصفحة الزرقاء "الفيس بوك" ممّن يكتبون اللا مضمون ولكنهم يحققون نسب مشاهدات قياسية ومتابعات بالملايين حول العالم، وهذه الأرقام جعلت الطلب عليهم في وسائل الإعلام والنشر كبيرة بصرف

النظر عن قيمة ما يقدمونه؛ فالأرقام تحكم وتسود والإنسان في هذا الزمان ما هو إلا أرقام مبيعات.

كان الشيخ محمد الشربتلي المثال الحيّ لهذا النوع من المحررين في مصر في مطلع القرن العشرين فبذكائه أدرك مقومات زمنه وامتطى جواد عصره، فكان يحرر لأكثر من عشر صحف متنوعة يومية وأُسبوعية. وكانت مقالاته بحسب الطلب وعلى قدر ما يدفع من مال نظيرها فالنوع العادي الذي يلائم سواد الناس نظير خمسة قروش لصحف المؤيد واللواء والنوع المتوسط الذي يلائم المعممين ثمنه عشرة قروش، ويأخذ شكل كتابات الشيخ محمد عبده والسيد توفيق البكري أما النوع الفاخر وهو الموغل في القدم ككتابات ابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان الهمذاني فلا يقبل فيه أقل من خمسة عشر قرشاً..

لم يكن الشيخ الشربتلي مؤهلاً للكتابة، ولكنه كان يدرك بفطنته وبحدسه من أين تجتمع له مصادر الكتابة؟! والطبيعي أنها تتأتى من مخالطة المتعلمين، فكان يجلس على قهوة العلم بميدان باب الخلق وتحت إبطه محبرته النحاسية وأوراقه ومن هذه الجلسات استطاع أن يكتب مائة مقال عن مجاهل أفريقيا وعادات شعوبها والهنود الحمر وغرائب طباعهم..

لا تندهش يا عزيزي القارئ فمن المقهى وفي هذه الأزمنة المبكرة كان يمكنك من السماع وحده لبعض الأصدقاء الخروج بأروع موضوع بل بأقوى مسرحية أيضاً وفي نصف ساعة فقط!! ومثلنا في ذلك إبراهيم رمزي والذي ألّف مسرحيته "دخول الحمام مش زي خروجه" في جلسة واحدة مع بعض الأصدقاء تبادلوا فيها النكات في مقهى "الفن" فجمع النكات في قالب مسرحي من فصل واحد ووضع شخصيات

المسرحية وهي عمدة يذهب إلى حمام ويغازل امرأة فتوهمه المرأة بالغرام بالاتفاق مع زوجها ويسرقان أمواله وملابسه!! والطريف أن المسرحية نجحت ومثلها عزيز عيد وفاطمة اليوسف بحسب مجلة المسرح في 25 يوليو 1927 م..

نعود لقصتنا..

بزوغ نجم الشربتلي كان مع صحيفة الظاهر لمحررها محمد أبو شادي حيث تولى الشربتلي فبركة التلغرافات التي تغطي الأخبار الخارجية ليوفر على الصحيفة وصاحبها دفع أموال لشركة التلغرافات واستخدم الشربتلي لغة تدغدغ عواطف المتدينين على نحو: "الأستانة – لمراسلنا الخاص: أرسل قيصر روسيا إلى مولانا الخليفة المعظم تلغرافاً يطلب الصفح والغفران، وأن يضع تحت أمره بلاد القرم والقوقاز، فرد صاحب الشوكة بأنه سوف يأخذ هذه البلاد بحد السيف والنار، حتى يكون للإسلام هيبته ومكانته في تلك البلاد". لهذا وجدت مثل هذه الفبركات صدى كبيراً لدى العامة، فزاد توزيع الجريدة للدرجة أن صاحب جريدة اللواء مصطفى باشا كامل سأل واستقصى عن معناها ومصدرها. وكان الشيخ الشربتلي يساير الموضة ويصطف مع الأقلام الموجهة، فحدث أن أفتى الشيخ محمد عبده بأكل لحوم المنخنقة فأصبح الشيخ محمد عبده في مرمى هجوم بعض الصحف التي طالبت بعزله ومنها الظاهر، وكاتبها الشربتلي، وذلك بحسب كتاب (تطور الصحافة العربية في مصر) لأنور الجندي، والغالب أن الفتوى المقصودة هي الفتوى الترنسفالية التي أجاز فيها الشيخ محمد عبده لبس البرنيطة وجواز أكل المسلمين من ذبائح أهل الترنسفال..

وكان الشربتلي يميل أحياناً إلى القول وعكسه في سوق الأخبار خاصة البعيدة عن القاهرة فإن صحت خير وبركة وإن لم تصح فالخير والبركة أيضاً! ومما يروى أنه سمع عن وقوع حريق ضخم في مكان ما بمفازاة عن القاهرة، فأسهب في وصف خسائره وأهواله، وأثنى على جهود رجال البوليس والمطافي في الحيلولة دون استشراء النيران، ومن ثم إخمادها وكله كلام عام على نحو ما يكتب في المواضيع الإنشائية، ثم أرسل المقال للمطبعة، وعند جمعه اكتشف العمال أنه ينقصه سطران، فعادوا للشيخ ليكمل الناقص، فما كان منه إلا أن كتب: "وبعد كتابة ما تقدم أبلغنا أن لا صحة له البتة، فحمدنا الله أنه لطيف بعباده"!!.

2-مشاحنات بين العنصرين المصري والشامي في البحث عن صدارة المشهد لا استناداً للمضمون الفكري والمنافسة الشريفة ولكن اختباءً خلف النعرات العنصرية.

مثلاً: من مجلة "النجمة الزهراء" في **16** إبريل **1931**م (صاحب الامتياز زكي نوار الجبلاوي ويشارك في التحرير سلامة موسى) وتحت عنوان " إلى القارئ المصري" نبهت المجلة إلى محاولة الصحفيين السوريين في مصر لقتل الصحافة المصرية لاحتكار السوق المصرية ودعت القراء إلى اقتناء المجلات التي يمتلكها مصريون مثل "الجديد -شهرزاد-أبو الهول- الصباح- الكشكول- النجمة- المجلة الجديدة- الصرخة-مسامرات عزمي -نور الإسلام"، "فسألوا عن هذه المجلات وألحّوا في طلبها حتى لا تموت وتنهض على جثمانها مجلات مكاريوس وزيدان وتقلا وصروف".

3-إثارة الغرائز واستعراض لمفاتن المرأة وهذا عبر كميات لا تحصى من الصور العارية لفتيات بالمايوهات كانت تحتل أغلفة المجلات المصرية وعبر المسابقات والإعلانات والاستطلاعات ورسوم الكاريكاتير.

المثال الأول: مجلة الدنيا المصورة في **13** نوفمبر **1929**م وسؤال مع استعراض صور لظهور مجموعة من الفنانات وأيهن أجمل ظهراً؟! "بديعة مصابني تزهو بظهرها وجماله رغم الأنف -زينب صدقي والظهر الشكسبيري!!-فاطمة رشدي مولية ظهرها تفكر فيما هي مقدمة عليه -الآنسة فردوس حسن تستشف جمال ظهرها في أعين الناظرين- السيدة علوية جميل طهارة العذارى في عينيها وخفة الشباب في ملامحها".

المثال الثاني: العدد **765** من مجلة الاثنين والدنيا في **7** فبراير **1949**م حيث نشرت المجلة تحت عنوان "أين تنظر عندما تقابل المرأة" مقارنة بين الأمريكان والمصريين في نظرتهم الأولى تجاه غادة حسناء! وقد جاءت النتائج على النحو التالي: احتلت العينين (**29**٪)-الساقين (**24**٪)-الصدر (**22**٪)-ثوب المرأة (**15**٪) صدارة اهتمامات الرجل المصري فيما شهد الاهتمام بالشعر (**4**٪) -زينة المرأة من الحلي على العنق والصدر (**6**٪) وهواة الحلي في عرف المجلة إما الجواهرجية أو الراغبون في معرفة ثراء المرأة مقدمين المال على الحب أو النشالون وهم الأغلب.

في المقابل جاء اهتمام الأمريكي بالشعر (**30**٪)-الساقين (**20**٪)-العينين (**19**٪) وجاء الاهتمام بثوب المرأة في المرتبة الأقل (**9**٪).

المثال الثالث: مجلة الجيل في عددها **221** في **19** مارس **1956**م نشرت تحقيقاً حول "عيون الرجل على جسم المرأة" واستطلعت آراء مجموعة من الفنانين حول أين يصوب الرجل نظراته حينما يلمح المرأة؟! وكانت الإجابات: "سامية جمال إلى السيقان -زهرة العلي إلى السيقان، ثم الوسط -كمال الشناوي ومنيرة المهدية إلى العيون - برلنتي عبد الحميد إلى الهانش والأرداف -ماري منيب العيون ثم الصدر -حسن فايق إلى الصدر فهو أشهى من صدر "الأوزة المحمرة" بحسب وصفه-زينب صدقي إلى الوجه وتقول: لو كانت رجلاً فإنها تنظر أولاً إلى الساقين، ثم إلى الخصر!"

المثال الرابع: مجلة آخر ساعة في عددها **773** في **17** أغسطس **1949**م وتجربة لقبلة طويلة بين شاب وفتاة في وضح النهار في شارع فؤاد الأول (أعتقد أنها افتراضية) ورصد لردود الأفعال: (رجل كبير السن يبصق في الأرض تأففاً- سيدة متوسطة العمر تضرب بيدها على صدرها استنكاراً ودهشة - طالب شاب تسمر في مكانه وفغر فاه دهشة- فتاة تتظاهر أنها تدير رأسها إعراضاً وهي تختلس النظر فضولاً -جندي البوليس فتل شاربه لتطبيق المادة **278** من قانون العقوبات: كل من فعل علانية فعلاً فاضحاً مخلاً بالحياء يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن سنة أو غرامة لا تتجاوز **50** جنيها).

لم تكن هذه التجربة وليدة لحظات من الطرافة اتجهت لها المجلة لزيادة مبيعاتها بل كانت تمثل اتجاهاً له رصيد من الواقع الثقافي المصري عبر عنه الاشتراكي الشرقاوي (سلامة موسى) صاحب النزعة الفرعونية حينما دعا في مقال له في أخبار اليوم حمل عنوان "أزمة زواج أم أزمة حب" إلى حرية التقبيل في الشوارع! وبحسب

الكاتب فنحن أمة متأخرة نعيش على مدنية ألف سنة خلت فالشبان لا يراقصون الفتيات ليربوا غرائزهم الجنسية! وهي الدعوات التي وصفها الأستاذ محمد علي أبو طالب عضو مجلس إدارة نقابة الصحفيين في مقال له نشر بمجلة الفن العدد 88 في 12 مايو 1952م "بدعوة سافرة للإثم باسم حرية الخطابة وحرية الصحافة وحرية الاجتماع ".

المثال الخامس: من عالم الإعلانات وإعلان زيت الأناضول للشعر عام 1949 م ورجلان يقفان أمام شرفة إحدى النساء وقد كشفت عن أحد ثدييها فيقول أحدهما للآخر: شايف القلعة دي اللي هناك؟! فيرد صاحبه: قلعة إيه.. دي متحصنة بشعرها الجميل لازم بتستعمل زيت الأناضول المشهور للشعر!

4-اصطناع وتضخيم الأخبار الهزلية والساذجة والدعاية السياسية المبالغ فيها والدعاية السياسة المضادة والانتصار لفكرة النقابات الفئوية والترويج لدعايتها..

المثال الأول: عن اصطناع وتضخيم الأخبار الهزلية والساذجة ولكن من عالم الحيوان ففي العدد 775 من مجلة آخر ساعة في 31 أغسطس 1949م قصة غرام جمعت القردين "حسن وحسنية" في قسم الشمبانزي بحديقة الحيوان وكان الشاويش عرابي شاهداً عليها ناعتاً إياها بالمختلفة عن باقي قصص غرام القرود!! إذ رأى لف حسن ذراعيه حول حسنية وغاب الاثنان في قبلة طويلة (غريب أمر آخر ساعة مع القبلات الطويلة والابتسامات الكبيرة..) وإذا أصيب حسن بالمغص بكت حسنية بجواره!

طبعاً لو علمنا أن التقبيل أمر شائع بين البشر تعبيراً عن الحب والرومانسية فهو في الوقت ذاته شديد الندرة في عالم الحيوانات ولا يتعدى وسيلة لمضغ الطعام ونقله عبر الفم من الأم إلى وليدها هنا نستطيع إدراك مبالغات المجلة الشديدة!!

المثال الثاني: عن الدعاية السياسية من مجلة آخر ساعة أيضاً في عددها **826** في **23** أغسطس **1950**م والمبالغة الشديدة في نقل اهتمام الصحف والمراسلين بزيارة الملك فاروق لدوفيل وإقامته بفندق "دي جولف" وكلهم شغف لمعرفة: "ماذا يأكل الملك؟ -هل يأكل كثيراً؟-كم ساعة ينام؟ -ماذا يشرب؟ - ماذا قال للخادم وهو يحمل لجلالته طعام الإفطار؟-دوش الملك؟- هل يستخدم النظارة في قراءة الأوراق التي تعرض عليه والصحف كذلك؟ (الإجابة عن هذا السؤال شديدة الطرافة فالملك الراحل يقرأ الأوراق بالنظارة والصحف بدون!! هل استفدت من معلومة كذلك سيدي القارئ؟! أشك) -هل يقرأ جريدة الديلي إكسبريس تحديداً؟" تصور يا عزيزي القارئ أن هذه أسئلة يدفع فيها مراسل الديلي إكسبريس لخادم خمسة آلاف فرنك دسها في جيبه لمعرفة إجابتها بحسب المجلة سأترك لك قراءة الأسئلة مرة أخرى للحكم عليها بالعقل والمنطق هل تستحق هذا المبلغ أو حتى تستحق كل هذا الاهتمام!

تتسع معالجة الحدث من المجلة ويجنح بها الخيال والمبالغة شيئاً فشيئاً لتصل لذروتها حينما تزعم أن الملك فاروق ابتسم ابتسامة كبيرة (مهم للغاية نوع الابتسامة) للفتاة الفرنسية "فرانسينا جرانت" (عمرها **4** سنوات) وقد أتته معتذرة عن "نطها الحبل" والملك جالس في الصالون ولما ابتسم لها ابتسامته الكبيرة!! راحت تصيح في الفندق: " لقد ابتسم لي ملك.. لقد ابتسم لي ملك" طبعاً حظي هذا بحسب

المجلة باهتمام واسع من الصحف الأوروبية والتي حاولت إجراء حوار مع الطفلة ذات الأربع سنوات.. طبعاً الشهرة التي حظيت بها الطفلة في لحظات كالصاروخ أثارت غيرة الطفلة البلجيكية "ساندرا فان دادوك" فسعت لأن تدخل التاريخ من أوسع ابتسامات الملك هي الأخرى لكن رجال الفندق ومربيتها منعوها!

المثال الثالث: الدعاية السياسية المضادة.. بعد ثورة **1952**م كان متاحاً لأي أحد أن يسيء للعهد الملكي بأي دعاية تنطوي على افتراء يظهرهم في موضع السفه واللهو والعبث والبحث عن الملذات واغتصاب حقوق الناس وتهديد أمنهم، وهي مسائل قد تحتمل الصحة في بعض جوانبها فالبشر ليسوا منزهين أو ملائكة لكن لا يمكن تصور حدوثها طوال الوقت وكانت الروايات أحياناً تكتب بلا سند تاريخي أو شهود والمثال على ذلك ما أوردته مجلة الكواكب في عددها **261** بتاريخ **31** يوليو **1956** م عن سبب تسمية محلات عمر أفندي بهذا الاسم، وهو أنه كان لشريف باشا أبو الدستور جارية في قصره لا تذكر المجلة اسمها الحقيقي وقد ذاع صيت صوتها فطلب الخديوي إسماعيل أن يسمعها فأعجب بصوتها وأطلق عليها عمر أفندي بلا مقدمات (كده وخلاص) فاعتبر شريف باشا الاسم واللقب بمثابة إنعام سامي على الجارية جعله يخشاها ويرفع من قدرها وعلى طريقة حواديت ألف ليلة وليلة فقد تسللت الغيرة لصدر سنية هانم أفندي ابنة الخديوي إسماعيل من مكانة عمر أفندي فاستغلت تحجج الجارية بالمرض لعدم الحضور لفرحها للغناء في الإيقاع بينها وبين الخديوي لكن بدلاً من ذلك يقع شريف باشا في ورطة تخلف الجارية عن الغناء في حفل ابنة الخديوي ووشاية الكائدين بأنه من منعها مما أغضب

الخديوي إسماعيل فعاتبه قائلاً: "- هل سمعت عني يا شريف باشا أنني أخطف الجواري؟

رد الباشا: - معاذ الله.. من قال هذا؟ فقال الخديوي: - إذاً لماذا منعت عمر أفندي من حضور حفل زفاف ابنتي؟ ولما كان شريف باشا ذكياً فقد تحوط للأمر فقال: - والله يا مولاي لقد كانت مريضة، وكان يعالجها الدكتور يسري." وتأكد الخديوي من صدق رواية شريف عبر سؤال الدكتور يسري وكان أحد أطباء القصر وكان شريف باشا قد احترس بالفعل واستدعاه للكشف على الجارية وحتى يتخلص شريف باشا من الفتاة فقد زوجها من أول طارق لبابه يطلب الزواج منها وكان هو الدكتور يسري الذي أولع بها من أول نظرة ووقع في غرامها وأهداها شريف باشا **150** فدان في الصعيد، ثم بنى لها قصراً مواجهاً لقصره حتى تكون قريبة منه وهذا القصر هو المكان الذي أقيم عليه أول فرع للمحل الشهير.. قصة مؤثرة أليس كذلك؟! لكن لا تحزن يا عزيزي إن نقرت بأصابعك على محرك البحث جوجل ولم تجد من بين بنات إسماعيل من تدعى سنية.

ومنها أيضاً واقعة طريفة في عدد المصور بتاريخ **17** يوليو **1953**م لا تخلو من صبغة دعائية فجة ولكن هذه المرة في اتجاه تيار الثورة وقضية الرجل الذي قال لمحمد نجيب: "يا ظالم"، فقابل إساءته بالإحسان.. وبحسب المجلة فبطل الواقعة هو محمود أحمد منصور وكان والده طاهياً عند حسن باشا حارس، وكان والده يحمل لهم من الأطعمة ما لذ وطاب من بيت الباشا وكثيراً ما كان يسمع من أبيه عن لعب أولاد الباشا بالذهب لعباً! (بهارات صحفية للعب على أوتار الحقد الطبقي كمحفز على الجريمة) فتاقت نفسه للعب بالذهب هو الآخر لكنه في البداية كان قانعاً

بالقرش المعدن الذي يحصل عليه من أبيه كل صباح لكن مع طرد الأب من العمل ضاقت أمامه سبل العيش و" القرش المعدني الذي رضيت به بدلاً من الذهب دون أن يرضى هو بي" فتحول إلى سرقة المتاجر والبقالات والخردوات والفاكهة والجزارة وانهالت عليه الجنيهات الذهبية وأسس عصابة لكن تنبه أحد جنود الدورية له وهو يسرق متجراً للسجاير في شارع إبراهيم باشا أوقعه في المصيدة وتم حبسه وبدلاً من أن يكون السجن تأديباً وتهذيباً وإصلاحاً، وجده بحسب تعبيره "مجرد إعلان عن بضاعة كاسدة". عندما سأله الرئيس نجيب: لماذا تدعونني بالظالم؟! قال له: لأنني ارتكبت **32** جريمة وحكم عليّ بالسجن **28** سنة، ثم أردت أن أتوب لكن أبواب التوبة سدت أمامي، ولذلك جئت ألتمس لديك طريق الهداية والكرامة ولجأت إلى هذه الوسيلة حتى ألفت نظرك إليّ.

المثال الرابع عن الترويج لإنشاء نقابات فئوية جديدة: ما نشرته آخر ساعة في عددها **1112** في **15** فبراير **1956** عن سعي القرادتية ليكون لهم نقابة..

المثال الخامس عن الدعاية النقابية: ما نشرته مجلة الدنيا الجديدة العدد الثالث السنة الرابعة في يناير **1948** م لصورة تذكارية للهيئة الجديدة لنقابة باعة الصحف بمصر والإسكندرية وبينهم الأستاذ المنفلوطي المستشار الاجتماعي لنقابة الإسكندرية.

والحقيقة أن فكرة النقابات عامة هي فكرة بائسة تقتطع فئات مجتمعية من النسيج الشعبي تحت شعارات توفير الحماية الصحية والمعاشات والدفاع عن قضايا هذه الفئات والمحصلة صفرية ذلك أنّ لا شيء من هذا يحدث، وقد اخترنا المثالين السابقين للتدبر في مقدار ضعف الموارد لمثل هذه الكيانات لضعف قدرة أصحابها

على الإسهام المنتظم وهو ما يجعل استمرارها متقطعاً وغائباً لفترات طويلة، ودور الصحف هو التوعية للبدائل المناسبة لتوفير مظلة حكومية اجتماعية وصحية وقانونية مستمرة ترعى الجميع بشكلٍ متساوٍ بدلاً من هذه الجزر المنعزلة المسماة نقابات والنقابات القوية منها تتطاحن داخل محيطها على المناصب والنفوذ وتدخل في صراعات مع النقابات الأخرى لتحصيل أكبر قدر من المنفعة لصالح أعضائها، وكأن لا قانون ينظم المهن والحقوق لذا فالدعوة إلى إلغائها هو صورة مباشرة لسيادة القانون وعدالته في توزيع المزايا والمهام والواجبات لجميع الفئات دون تفرقة!

5-البحث عن الترندات ما صلح منها وما طلح.

المثال الأول: مجلة الاثنين والدنيا في عددها **721** في **5** إبريل **1948** م وفي خضم الإعداد لحرب فلسطين تُبدي المجلة ملحوظة خطيرة ومدهشة عن ظهور ما نسميه اليوم "خلخال أو سلسال القدم" كآخر تقليعة في مصر!! فالنساء بحسب المجلة يلبسن الأساور الذهبية في معاصمهن لكن المودة (الموضة) اقتضت على "غير الشائع المألوف" أن تلبس إحدى السيدات في حفلات سباق الخيل الإسورة الذهبية في قدمها.

المثال الثاني: من العدد **100** من مجلة المصور في **10** سبتمبر **1926** م وإعلان عن كتاب مذكرات فتوة للمعلم يوسف أبو الحجاج (تحدثنا عنه في كتاب صفحات من التاريخ الأخلاقي بمصر).. في الطبعة الثانية من الكتاب عام **1927** م تضمن خمس صفحات دعائية لكتاب "مذكرات نشال" عن المعلم عبد العزيز النص وإذا أردت أن تعلم ما تم لعبد العزيز النص من حوادث شيقة ومواقف مضحكة فما عليك إلا أن

ترسل عدد ستة طوابع بوستة من فئة الخمس مليمات داخل خطاب معنون إلى لسان الشعب بمصر، فيرسل لك نسخة كاملة من مذكرات نشال خالصة أجرة البريد".

كانت مذكرات فتوة ومذكرات نشال وما تبعهما من مذكرات متشرد (مفقودة حتى الآن) من تحرير حسني يوسف صاحب ومحرر جريدة لسان الشعب بمصر والذي وصفه المؤرخ خير الدين الزركلي برائد مدرسة جديدة في الأدب المستند للواقع..

طبعاً مثل هذه الإثناءات لا تصلح أن تكون حجة لصالح الرجل الذي أضاف للأدب إن أسميناه تجاوزاً أدباً كل ما هو غث وهابط.. ولن نكون متحاملين على الرجل فزمنه كانت ترينداته على هذا المنوال في إبراز الفتوات واللصوص والراقصات والبغايا ونسج القصص الحقيقة والوهمية عنهم وعن معاركهم وإطلاق مسميات "العطرة" و"الجدع" و"ابن البلد" على الفتوات والنشالين ومسميات فنية للراقصات والساقطات منهن كثر ولو قارنا وضعنا الحالي في كثرة مسلسلات وأفلام العنف والبلطجة والكيف والدعارة بهذه الفترة فلا يوجد أي اختلاف سوى في الآلة الناقلة، ففي عصرنا الحالي التليفزيون والسينما أدوات تصل لكل بيت بينما في هذه الأزمنة القديمة كانت الروايات خاصة المصورة منها تستحوذ على اهتمام الناس وتدفعهم للتكالب على شرائها..

دائماً ما يقف خلف هذا النوع من الأعمال الهابطة السعي نحو الربح التجاري ولو تأملنا تاريخ الإعلان عن كتاب "مذكرات نشال" ضمن صفحات مذكرات فتوة وهو عام **1927**م بينما صدور الطبعة الأولى من مذكرات نشال كان عام **1930**م أي

فارق زمني ثلاث سنوات من السعي الدؤوب لجني الأرباح المسبقة عبر الطباعة حسب الطلب، وما أكثر الطلب على كل ما هو شاذ وساقط..

بحسب مقدمة مذكرات نشال التي كتبها الناشر حسني يوسف نجد أن بداية معرفته بالمعلم عبد العزيز النص كانت حينما حضر الأخير إليه في اليوم التاسع من شهر مايو **1927** م في مكتبه بإدارة الروايات المصورة (لاحظ نشاط الناشر الفعلي) وهو بحسب وصفه "رجل في الحلقة الخامسة من عمره طويل القامة ممتلئ الجسم حسن الطلعة وحط الشيب شعره الأسود الفاحم".. كانت هيئة المعلم تشبه الوجهاء أو الأعيان..

بادر المعلم بالقول: مش حضرتك اللي طبعت مذكرات فتوة للمعلم يوسف أبو حجاج؟!

-أيوه يا سعادة البيه.

-بقى أنا محسوبك واسمي عبد العزيز النص وبدي أنا راخر أعمل لي مذكرات زيه.

-بكل ممنونية أنا في الخدمة.. سعادتك مهندس ولا طبيب؟! (بالمنطق هل سيأتي شخص متعلم ومثقف كطبيب أو مهندس لمحرر سوابقه في عالم الكتابة مذكرات فتوة!!).

-لا دي ولا دي.

-تاجر؟

-ياريت (لاحظ هنا التناقض أيضاً لأننا سنكتشف بداخل المذكرات أن المعلم كان يمارس التجارة بالإضافة لصنعته في النشل).

-أومال إيه؟!

-محسوبك نشال.

طبعاً يرحب الناشر بالكنز الذي أتاه ويبدأ في كتابة المذكرات التي لا تحمل أي قيمة أو نفع وتتلخص أن المعلم بدد أمواله عن أبيه (مثل المعلم أبو الحجاج) "فرتكت القرشين اللي تركهم لي أبويا مشيت في الكار.. وعملت قهوة المنتزه عند سيدنا الحسين مركز.. بصيت لقيت في إيدي قرشين طيبين "ففتح بماله الحرام" دكان أبهة في أول شارع محمد علي.. حلويات ولعب وحاجات ومحتاجات بقيت فشر محل ألف صنف".. لا ينسى المعلم النص أن يعرفنا بمعلمه الأول في عالم النشل "محمود دقدق"، ثم يبرز لنا تفوقه على أستاذه بقوله: "علمني كاره ودرجني لحد ما بقيت أقوى منه"، ويطمئننا الناشر كما فعل مع المعلم أبي الحجاج من أن المعلم النص أكمل نص دينه وبنى بيتاً!!.

الملاحظ هنا أن حسني يوسف كان ينتقي نوعيات من الفتوات والنشالين المجهولين، ثم يطلق عليهم مسميات كأشهر فتوة أو أشهر نشال وهو ما لا يتفق مع مكانتهم الحقيقية في أوساطهم ولو كانوا بمثل هذه المكانة فأين هم على صفحات الصحف والمجلات في ذلك الزمان.. كان بوسع الناشر أن يختار من هذه الأوساط أشهرها وقد كانت تفسح لهم الصفحات الطوال على الصحف والمجلات اللاهثة لجني المال، وكانت أسماؤهم تتصدر هذه الصفحات والسعي لهم لن يكبده أي مشقة، لكن في ظني أن الناشر اختار الطريق الأسهل ونسج من خياله الخصب هذه الشخصيات وحملها ما سمع وما قرأ من قصص كلها مشهورة وليس بها أي خبايا أو أسرار.. كل ما هنالك أنها تحتاج لرابط واختلاق شخصية محورية وعدة شخصيات مساندة تحت ستار مذكرات.. بالتأكيد طريقة ملفتة وبارعة وجديدة في جذب القراء للشراء ومما يعزز

من وجهة نظري أن لغة مذكرات فتوة ومذكرات نشال تكاد تكون واحدة، كذلك التشابه في الأحداث في أطوارها الأولى والمفترض أن المحرر كان مجرد مفرغ للأحاديث الشفوية بلغتها العامية على الورق كما هي وليس محققاً للأحاديث وبالتالي فلغته منطقياً لن تتسلل إلى المحتوى بهذه الدرجة من التشابه.

عدد الطبعات من الكتابين وتواريخها غير محدد بدقة وأعتقد أن عملية الطباعة والإضافات والحذف بين الطبعات كان عشوائياً جداً، فمثلاً مذكرات فتوة الطبعة الأولى **1926** والثانية **1927** ثم طبعة مجمعة **1929** وأظن الأكمل كان عام **1931** دون تحديد لرقم الطبعة.

الملاحظة الأخيرة: هي المسؤولية القانونية عما أتى بهذه المذكرات من أسماء ووقائع مفترض أنها حقيقية.. فهل لم يكن للمعلمين إن صحت أسماؤهما وكانا بهذه الشهرة المزعومة أعداء يشككون أو يعقبون أو يعترضون على بعض الوقائع أو الزج بأسمائهم بها فتفسح لهم صفحات الجرائد للرد أو يذهبون للمحاكم طلباً للتعويض.. المنطق يفترض ذلك.. لكن الواقع في ظني أن المعلمين لا وجود لهما من الأساس لذلك مرت المذكرات بسلام تام..

هذا لا يمنع من وجود ترينديات طريفة ونافعة ومازال أثرها حتى يومنا هذا.

المثال الأول: ما أقدمت عليه (نيفين مظلوم) كريمة المهندس حسين سري وحرم الأستاذ إسماعيل مظلوم، فقد نشرت مجلة المصور في عددها **1613** بتاريخ **9** سبتمبر **1955**م صورة لها بجانب عربة الدندرمة التي اشترتها وحولتها إلى عربة أنيقة متنقلة للمرطبات ووضعتها على سطح الفيلا الجميلة التي تسكنها في الزمالك وهي بجانب ذلك هاوية للموسيقى.. لذا لا تندهش من ظاهرة الفتيات اللاتي يقفن

على عربات أنيقة لصنع البطاطا أو تقديم المشروبات بشكل أنيق ومحبب فهو ليس بالأمر الجديد إنما إعادة بعث لترندات الماضي النافعة في ضرورة تقديم الخدمة للعملاء بشكل لائق وصحي وجذاب ومنظم..

المثال الثاني: من أمثلة الدعاية للكسب الحلال ومجلة المصور العدد **1096** بتاريخ **12** أكتوبر **1945**م وتحت عنوان "تفانينه عجب" تحدثت المجلة عن أسلوب دعائي طريف لجأ له "السيد عبده القط" أحد أشهر باعة الفول المدمس والطعمية والساندويتش في دمياط على عربة أنيقة نظيفة مغطاة بالزجاج والسلك ولأنه فنان بفطرته لذلك أبى إلا وأن يجذب الأنظار لبضاعته عبر يافطة عجيبة كتب فيها اسمه "السيد عبده" وفوقه الشعار الملكي، ثم رسم بجواره لقبه على شكل "قط عظيم الشوارب" "ولله في خلقه شؤون" بحسب المجلة.

المثال الثالث: حيث آداب الطعام والجلوس على المائدة والآنسة إيفون ماضي ملكة جمال مصر عام **1946** والتي تشرح لمتابعيها إتيكيت الشوكة والسكين وأن من الخطأ مثلاً أن تغرس السكين وسط اللحم مع رفع المرفق بحسب ما جاء في مجلة الاثنين والدنيا العدد **683** في **14** يوليو **1947**م.

المثال الرابع: كانت الصحافة تشير بالبنان لنماذج أخرى مبهرة مثل ما جاء في اللطائف المصورة في **6** أغسطس **1923**م عن "بلانش استاورو" نابغة الموسيقى كريمة الخواجا "حليم استاورو" عمرها **8** سنوات ورغم سنها الصغير فهي تعطي دروساً للسيدات على النوت والعربي والإفرنجي وقد أجادت في عزف البيانو في حفلة مدرسة كوكب الشرق بميدان السكاكيني بمصر في **8** يوليو الماضي.

ومن مآثر الزمن الماضي أيضاً اهتمام الصحف بطلبة العلم والمتفوقين منهم ففي العدد **249** من مجلة المصور في **19** يوليو **1929**م والإتيان على ذكر ثلاثة من المتعلمين بصفحة واحدة: أول الناجحين في امتحان دبلوم مدرسة المعلمين العليا بقسم العلوم محمد أفندي فؤاد جلال ومحمد أفندي حافظ توفيق أول الناجحين في الامتحان الخاص بدبلوم هندسة البناء والتنظيم بمدرسة الفنون والصنائع، ثم ذكر فقيد العلم المرحوم أحمد أفندي ليل الذي كان يتلقى العلوم بجامعة فينا، ثم أصابه داء الصدر أثناء رحلته في طلب العلم فعاد إلى مصر للعلاج إلى أن وافته المنية "فراح مبكياً على شبابه الغض".

ومن مجلة المصور في عددها **185** بتاريخ **27** أبريل **1928**م وصورة الأستاذ سيد أحمد صبري المهندس المعماري النابغ الذي نال الجائزة الأولى وقدرها **200** جنيه في المسابقة التي أقيمت لبناء دار وسينما ومكتبة ومخازن لبلدية دمنهور.

نجد أيضاً بمجلة اللطائف المصورة العدد **409** بتاريخ **11** ديسمبر **1922** م صورة علي بيك فهيم أحد المصريين الأذكياء المتعلمين الهندسة الميكانيكية في إنجلترا ووكيل ورشة مصر الصناعية ومخترع آلة استخراج زيت السيرج من السمسم بطريقة "نظيفة هيجينية توافق رقي البلاد وتنفع صحة الناس" بدلاً من الطريقة القديمة بالأرجل!

وفي العدد **288** من مجلة المصور في **18** إبريل **1930** م وصورة الآنسة ماري صباغ كريمة الخواجة جورج صباغ صاحب مخزن الأدوية بدمنهور وقد وضعت أول مارش من نوعه للوفد المصري وهي تلميذة بمدرسة الراهبات الفرنسيسكان.

وفي آخر ساعة العدد **1091** في **21** سبتمبر **1955**م نجد نجاح الدكتور المصري "جرجس سدراك" في زراعة الأرض المغطاة بتراب المصانع وبرماد الفحم في إنجلترا بطريقة مبتكرة وأعطت محصولين في العام الواحد مما جعله محور احتفاء الصحافة البريطانية في ذلك الوقت..

كما كانت الصحف تنشر أخبار منح الألقاب والتي لم تكن تمنح اعتباطاً أو مجاملة طوال الوقت كما أشيع بعد الثورة فمثلاً في مجلة المصور في عددها **395** في مايو **1932**م أنعم صاحب الجلالة الملك برتبة البكوية من الدرجة الثانية على صاحب العزة محمد حسن العبد المقاول الشهير جزاء له على قيامه بكثير من المشروعات الجديدة..

المثال الخامس: التدريب على التصرف وفنون الحياة، ونختار مجلة نادرة هي مجلة (أنا وأنت) في مارس **1942**م ومقال رائع عن (المرأة الأنموذجية) وهي في تعريف صاحبة المقال (زوزو أحمد السعدني) هي المرأة التي تفهم أن الرجل الذي اختارته إنسان وكل إنسان معرض للخطأ والزلل في بعض الأحيان، فإذا رأت من زوجها انحرافاً عن الطريق السوي أو رأته قد قاده الطيش إلى مغازلة امرأة أخرى كانت هي "لبقة حكيمة" تستعمل في رده واجتذابه "أساليب السياسة والكياسة" متجنبة إحراجه والقسوة عليه، وأن عليها أن تتحرر من "نير الأنانية" وأن تنظر لزوجها كأنه قطعة منها تماماً وتجدد حبها لزوجها كل يوم.

الحقيقة وأنا أنتخب هذه المقالة كنت شديد الفخر أن أجد امرأة مصرية بهذا التفكير الراقي المتحضر ولا أخفي أني تألمت كثيراً وأنا أسوق المقال إلى قرائي في هذا

المقام دون نبذة عن هذه السيدة المثقفة البارعة حيث لم تفلح محاولاتي الجاهدة للحصول على معلومات عنها لكن أعد بالبحث والكتابة عنها وعن آراء أخرى لها في أجزاء لاحقة إن كان بالعمر بقية..

ومنها ما جاء في عدد المصور **1133** في **28** يونيو **1946** م وتحت عنوان "كوني مودرن ولكن" كتبت الأستاذة زينب لبيب موضوعاً مصوراً تفرق فيه بين أمارات المدنية الحقة وقشورها الزائفة التي تشيع المفاسد في المجتمع، فتقول: "من أبرز عيوب المرأة "المصرية" أنها لم تأخذ من المدنية الغربية إلا القشور فهي ترى أن من شروط الحركة الحداثية أو "المودرنزم" أن تدخن بحرية تامة على مشهد من الناس حتى أهلها وفي المجمعات ودور السينما وهذا عيب" وأن من السيدات من ذهبن إلى أبعد من التدخين بمعاقرة الخمر سواء في بيتها أو في المطاعم أو البارات أو الحفلات كما تحدثت عن المشاهد "المؤذية" في لعب الورق وخصوصاً سهرات" الكونكان والبوكر" حتى الصباح في الصالونات والبلاجات وأن هذه المناظر أبعد ما تكون عن المدنية الحديثة.

المثال السادس: تشجيع أدب الرحلة ومنها مثلاً اللطائف المصورة في **19** يونيو **1922** م ومصطفى أفندي أحمد الليثي ضابط الكشافة الذي غادر مصر في رحلة سيراً على الأقدام إلى السودان وطلبت منه المجلة أن يصور لها المناظر ويختصها بوصف رحلته.

المثال السابع: تقديم الإرشادات المجتمعية ونشر الثقافة الصحية بطبيعة الحال بشكل لطيف ومبتكر فمثلاً وتحت عنوان "هستيريا الكوليرا" نشرت مجلة الاثنين

والدنيا في عددها **703** في **1** ديسمبر **1947**م تقريراً طريفاً مدعماً بالصور مع الفنانة الكوميدية (ماري منيب) من داخل بيتها بمنية السيرج بالقاهرة، وسلطت عدسات المجلة صورها على الفنانة ذات الحس الفكاهي والحركات العفوية وهي تتقيد بالإجراءات الاحترازية وتوصيات وزارة الصحة: فلا تكاد تدخل منزلها حتى تخلع فردتيّ حذائها وتحملهما على "عصوين" إمعاناً في الاحتياط، ثم "تغطسهما " في صحن الليزول (سائل مطهر يتكون من الكريزول والصابون السائل) لتطهيرهما من الميكروبات - عدم مصافحة الناس- لا تلمس أوراق البنكنوت حتى تغمسه في المطهر -تغلي الفاكهة وتحملها إلى "الحلة" بمغرفة خشبية كي لا "يلتصق" الميكروب بيديها.. الطريف في اللقاء مشاعر الرعب التي انتابت الفنانة حينما مرت ذبابة على أنفها "وضربت معها لخمة" وانتظرت ظهور الأعراض ولكن الله "قدر ولطف".. يمكن الرجوع لكتابي تأملات بين العلم والدين والحضارة للمزيد حول مرض الكوليرا.

6-نشر الخرافات وقلب الحقائق وإظهارها بمفهوم يناقضها تبعاً للأهواء والخلط في القضايا

أولاً: الخرافات

المثال الأول: مثل النشر عن الوسيطة الروحية "بديعة سليمان" التي اختارها أمير الشعراء "أحمد شوقي" - بعد وفاته بـ **33** عاماً - لتنقل مسرحية كتبها من قبره حيث كتبت مسرحية باسمه هي "عروس فرعون".

المثال الثاني: مثل إعلان الدكتور سالمون بمجلة الدنيا المصورة "الذي تنبأ بعودة البرلمان المصري بواسطة وسيطه المسيو أميل وبقوة سحر عينيه -يخترق قلوب الناس ويقرأ أفكارهم ويعلم ما يجول بخاطرهم -يقرأ الخطابات المقفلة التي بجيوبهم يخبرهم عن أحوال الغائبين والتائهين وعن أحوال التجارة والزواج والمحبة والسفر إلخ. كل ذلك ببراهين علمية ثابتة -شهد كتابياً بكفاءته وقوته المغفور له الزعيم سعد زغلول باشا وكبار موظفي سراي الملكية والوزراء والعظماء والأطباء إلخ.. يقابل زائريه بلوكاندة (جلوريا) بشارع عماد الدين تليفون **2141**مدينة"

هذا لا يمنع من جهود بعض المجلات في القضاء على الخرافات مثل مجلة الدنيا المصورة في عددها **29** في **4** ديسمبر **1929** م فتحت عنوان "خرافات يؤمن بها الكثيرين (لاحظ خطأ المجلة النحوي والصواب الكثيرون) "حذرت من انتشار بعض الخرافات كعبارة "يحيا سعد" التي أقسم البعض أنهم رأوها بأعينهم بحروف ظاهرة وواضحة وسهلة القراءة على أوراق البرسيم الأخضر.

وادعاءات مثل أن الورداني لا يزال حياً وسيدي أبو النور بين مصر واليمن وطاقية الإخفاء وبغلة العشر وغيرها.

ثانياً: قلب الحقائق

المثال الأول: تصور أنّ شخصاً مصرياً عادياً تعلّل بعلّة ما اتفقنا أو اختلفنا حول وجاهتها من أجل عدم الالتحاق بالخدمة العسكرية في وطنه.. ترى ماذا سيكون حكمك عليه عزيزي القارئ؟! وإذا تكرر الأمر مع أفرادٍ آخرين حتماً ستتحرك الصحافة من أجل التوعية بهذا الواجب الوطني!

لكن حينما يتعلق الأمر بزعيم معضد من سلطة الخديوي والباب العالي؛ فأخرج ممحاتك الأنيقة لتمحو بها كل ما كتبناه معاً من سطور سابقة!

بادئ ذي بدء، لا شك أن الزعيم الذي نتحدث عنه وهو مصطفى كامل باشا قد تجمعت لديه كل مقومات الزعامة من حيث القدرة على التأثير بلغة فصيحة وقوية وبليغة، وعلى الحشد الجماهيري خلف قضية وطنية كبرى، هي الاحتلال البريطاني لمصر علاوة على الدعم من الخديوي عباس حلمي الثاني، والسلطان العثماني عبد الحميد الثاني، ومدام جولييت آدم الفرنسية، وهي أمور قلّما تجتمع لشخص. مما يجعل من زعامة مصطفى كامل زعامة فريدة..

لكن الواضح أنّ الزعيم صاحب العبارة الشهيرة "لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصرياً" لم يكن على استعداد للجهاد كمواطن مصري داخل بلاده وهو يمضي جُلّ وقته بين فرنسا وعواصم أوروبا، ونستطيع أن نكتشف هذه الحقيقة عبر قصتنا اليوم..

في اليوم السابع من شهر سبتمبر **1896**م كان دور قسم الخليفة التابع له الزعيم في اقتراع الجندية...

أرسل رئيس مجلس القرعة إلى مأمور القسم لإبلاغ اقتراع مصطفى كامل وكان وقتها في أوروبا فسلم المأمور إعلان الاقتراع إلى شيخ الحارة، والذي ذهب لمنزل الزعيم فوجده مسافراً وأنه سيأتي قريباً، فدس الإعلان في جيبه إلى أن يعود فيسلمه إياه يداً بيد، وكان هذا خطأ من شيخ الحارة..

مرت ثلاثة شهور على الإبلاغ ولم يتم تقديم أي اعتراض على الاقتراع، وأصبح للمجلس الحق في تجنيد الزعيم.

حضر الزعيم مصطفى كامل باشا في ديسمبر من العام نفسه، فقصده شيخ الحارة لتسليمه الإعلان وجاءه بلاغ من القسم للتوجه لمجلس القرعة.

إحقاقاً للحق إنّ المعطيات تشي بأنّ هناك أخطاءً كانت بحسن نية وغير مقصودة.. طبعاً الزعيم اعتبر واجب تأدية الخدمة العسكرية في بلاده حيلة من الإنجليز لإرهابه وإبعاده عن الحركة الوطنية! وبدأ يستغل ثغرات في تنفيذ قانون القرعة العسكرية بحقه، ذلك أنه لم يتسلم إعلان اقتراعه عبر الأهل أو الخدم، وكذلك لم تعلق أسماء المقترعين بفناء القسم وفي الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) وحصل على إقرار من شيخ الحارة بذلك، وعليها شهادة اثنين من الحاضرين وبعد التحقيق في الأمر بأمر المحافظ انتهى بتجنيد الزعيم وفقاً للقانون.

وهل يذعن الزعيم للقانون ويؤدي الخدمة العسكرية في بلاده؟! لا طبعاً، واحتال على الأمر عبر شهاداته الدراسية.. الغريب أن الصحافة المصرية استخدمت هذه القصة كدليل دامغ على المؤامرة البريطانية على مصطفى كامل، وقد وردت أحداث القصة في العدد **213** من مجلة كل شيء والعالم بتاريخ **8** ديسمبر **1929** م!

حينما تكون هذه نظرة قمة الهرم الاجتماعي في مصر فماذا عن أسفله؟!

ونأتي بمثال من الفتوات وزمن الجدعان، والذي لا يختلف في مقوماته عن زمن البلطجة الحالي! المثال الثاني: حوار مع المعلم فهمي الفيشاوي فتوة حي سيدنا الحسين عام **1929**م من مجلة الدنيا المصورة، وكيف أنَّ الصراع بينه وبين الفتوة القديم لحي الحسين الحاج مهدي سليمان العجمي وتغلبه عليه دفع الأخير للتأثر من فهمي عبر إبلاغ وزارة الحربية بتهربه من الجندية وأنه يراوغ القسم ويختفي عن الأنظار، وفي النهاية نجح اثنان من المخبرين في القبض على الفتوة فهمي مختفياً

في الجبل بعد أن أشهرا في وجهه "المسدسات"... بعد تجنيده حاول فهمي الفرار من قيود الجندية عبر دفع البدل، لكنه لم يكن يمتلك هذا البدل، فلجأ للحيلة حيث تسلل إليه واحد من أتباعه المشاريد، ونام مكانه فيما فرَّ المعلم فهمي في جنح الليل لجمع المال من أتباعه، وفي الفجر عاد، ثم دفع بالمال إلى القومندان فاستغرب الأخير قائلاً: كيف حصلت على هذا المال ولم يزرك أحد من أهلك؟ فقال فهمي: المبلغ كان في جيبي يا أفندي.. وهكذا كانت صحافة زمان في نقل ما لا ينبغي أن يكون حاضراً في مجتمع يسعى للاستقلال ولتكوين جيش قوي بسواعد أبنائه على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية.

على النقيض من ذلك قد تكشف لك الصحافة حقائق ربما تكون خافية عنك عند الكتابة التاريخية عن شخصيةٍ ما، فمثلاً في كتابي على هامش التاريخ والأدب تحدثت عن السيناريو الأشهر لنشأة المطربة (ألمظ) لكن العدد **829** من مجلة آخر ساعة في **13** سبتمبر **1950** م يكشف عن سيناريو آخر وهو أن (ألمز) أو (سكينة) تنحدر من أصل سوري، وكان أبوها صاحب مصبغة في باب الخلق، ويقطن في درب سعادة، وأن السبب في تسميتها بألمز يرجع إلى أنها كانت تكره الذهب وتتحلى بالألماس، وحول طريقة دخولها قصر الخديوي إسماعيل فكان عن طريق زوج شقيقتها "حسن بيك أبو آذان" الذي كان أحد رجال الخديوي..

ثالثاً: الخلط في القضايا

بين ثنايا صفحات الصحف القديمة التي يعلوها الاصفرار حقائق مدهشة منها ما جاء في العدد **867** من مجلة آخر ساعة بتاريخ **6** يونيو **1951** م على لسان الأستاذ محمود عطيفة قاضي محكمة المخدرات من أن المخدرات انتشرت في جميع أنحاء

المملكة المصرية بعد حرب فلسطين بشكل مقلق ويتجاوز قدرات رجال مكتب مكافحة المخدرات، وأن الحشيش أصبح مزاجاً مفضلاً للطبقات الراقية في هذه الفترة بعد أن كان قاصراً على الطبقات الفقيرة، وجاء هذا التصريح الهام في معرض تقرير مطول أجرته المجلة لتخلص منه لوجوب تعديل التشريع في حالات تعاطي المخدرات، ليكون بالحبس أو بالغرامة بدلاً من الجمع بينهما وجوباً، وكذلك تضمين القانون الحكم بوقف التنفيذ في الحالات التي تستدعي ذلك، كما طالبت بتفعيل المادة **36** من قانون المخدرات التي تجيز للمحكمة إرسال المدمن إلى إصلاحية للعلاج مدة لا تقل عن ستة شهور ولا تزيد عن سنة وهي معطلة لعدم وجود إصلاحيات أو مستشفيات لهذا الغرض.

طرح لا شك أنه رائع وتطوير القوانين وضرورة مرونتها في التعامل مع الحالات والتفرقة بينها أمر واجب وغرض نبيل، لكن القصص التي طرحتها المجلة كمسوغات للتعديل ومفترض فيها أنها تدعو للشفقة فيحمل بعضها من الخلط الكثير، وتعالوا بنا نقرأ الحالات بشكل أكثر قرباً وفحصاً:

الحالة الأولى: حكمت فيها محكمة مخدرات القاهرة على متهم بإحراز قطعة حشيش كان يدخنها لأنها ترحمه من داء السرطان كما جاء في دفاعه.

طبعاً هذا القول له من العلم ما يؤيده، فالعنصر الرئيس في الحشيش وهو "تتراهيدروكانابينول" أو **THC** يخفف الغثيان ويقلل الألم وهو ما لا يلاقي خلافاً بين قديم وحديث، فيما تذهب بعض الدراسات الحديثة إلى دوره أيضاً في مكافحة نمو الخلايا السرطانية.

وتبقى هذه الدراسات بين شد وجذب بين العلماء، لكن لزاماً أن يكون للعلم دور في الوقوف على الحقيقية بين يدي القاضي.

الحالة الثانية: مهندس أديب وربّ أسرة له مكانته، وأراد أن يكتب قصة عن الحشاشين فذهب إلى غرزه للحشيش، وجلس معهم ليعيش هذه الأجواء عن كثب، لكن حظه العاثر أوقعه في أن يضبط وبحوزته قطعة حشيش لا يزيد وزنها عن جزء من عشرة من الجرام، وحكم عليه حكماً نهائياً بالحبس لمدة ستة شهور وضاع مستقبله.

لا أتهمُ أحداً والناس في طيبتهم وحسن نواياهم درجات ومن هذه الدرجات ما يفضي للهلاك.. فهل عزَّ على رجلٍ متعلمٍ ومثقفٍ، وهو مهندس أديب أن يذهب إلى أقرب جامعة من بيته ويسأل أحد أساتذة الفارماكولوجي أو الأقرابازين بكلية الطب عن العلامات التي تظهر على متعاطي الحشيش؟! بالتأكيد هذا متاح لقد درس لي أحد الأساتذة هذا الجزء بالكلية، فكنت أشعر وأنني أعايش مدمني الحشيش من فرط معلومات الأستاذ وتصويره للحالات بشكل جليّ، وهل صعب أيضاً على هذا الرجل المتعلم أن يذهب إلى إحدى دور السينما ليشاهد فيلماً عن الحشيش وما أكثرها، أو يستمع إلى أحد المتعاطين وما أكثرهم حتى تستكمل عنده الصورة ويبدأ في كتابة روايته مرتاح البال والضمير؟!

الحالة الثالثة: هي لسيدة ألمانية تدعى "برسولا" زوجة المرحوم الدكتور عبد المنعم بيومي قبض عليها بتهمة التزوير في شهادات طبية لصرف حقن المورفين والتي كانت بالنسبة لها كالماء والهواء وتبدي المجلة تعاطفاً واضحاً مع الحالة، فهي لا تستطيع أن تفكر أو تقرأ أو تكتب أو تتكلم بدونه وأن وكيل النيابة اضطر للسماح لها بتعاطيه

لتتمكن من الإدلاء بأقوالها.. فهل كلفت المجلة نفسها ببحث هذه الحالة والوقوف على حالة مرضها التي تستدعي هذا الاستخدام المفرط للمورفين (سمي بذلك نسبة لإله الأحلام الإغريقي مورفيوس) وهو المسكن القوي الذي يعمل بشكل مباشر على الجهاز العصبي المركزي، أم أنها حالة بدأت مرضية وانتهت إلى الإدمان أم أنه الإدمان؟... حتى يتسنى للرأي العام والمشرع فهم الحالات بشكل تفصيلي والتدرج في الأحكام على ضوئها..

وحتى أكون منصفاً فأكثر ما أحترمه في صحافة زمان أربعة أمور، الأمر الأول ثقافة استطلاعات الرأي بشفافية تامة حول مختلف القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والأمر الثاني الطرافة والجرأة في الحوار مع المسؤولين وذويهم وعدم وضع سقف محدد أو الانتصار لوجهة دون الأخرى، وهذا هو دور الصحافة الجادة في نقل الرأي والرأي الآخر دون تحيز، والأمر الثالث التسامح الديني، والأمر الرابع النقد البنّاء.

أولاً: استطلاعات الرأي

المثال الأول: من مجلة الاثنين والدنيا العدد **502** في **24** يناير **1944** م واستفتاء جامعي اشترك فيه **450** طالب وطالبة حول (فتاة أحلامي) و(فتى أحلامي) ويتبين من الاستفتاء أن المحرك الأول في انتقاء الزوجة المناسبة لدى طلبة كلية الطب هو الجمال (**56**٪)، وكذلك بالنسبة لكلية الهندسة (**30**٪)، بينما طلبة كلية الآداب فشرطهم الأبرز هو الغنى (**27**٪)، وكذلك كلية التجارة (**40**٪)، بينما طلبة كلية

العلوم يقدمون الذكاء (30٪)، أما طلبة كلية الحقوق فيفضلون نفوذ الأسرة (25٪)، وكذلك كلية الزراعة (36٪).

على الجانب الآخر كانت الصفات التي تريدها الفتيات من مختلف المعاهد التعليمية للتوافر في الشاب الذي يصلح للاقتران بهن: "غنى (27٪)- خفة الدم (25٪)- نفوذ الأسرة (22٪)- جمال (17٪)- ذكاء(6٪)، فيما جاء الحياء في ذيل القائمة! (واضح ثقة الفتيات في تواضع حياء الشباب منذ القدم!).

المثال الثاني: من مجلة الاثنين والدنيا العدد 800 في 10 أكتوبر 1949 م، والحلقة الثانية من "الدروس التي لا تُنسى التي وافانا بها القراء"، ومع كثرة الدروس إلا أنه أعجبني منها إحقاقاً الدرس الذي كتبه "عبد الوهاب جرها تاجر بكفر الزيات" ويندرج تحت ما نسميه القيادة الفاعلة وصفات القائد الناجح، حيث يحكي أنه كان كاتباً بالجيش الإنجليزي، ومع اشتعال وتيرة المعارك مع الألمان في العلمين صدرت الأوامر بترحيل جميع محتويات المخازن إلى السودان في ظرف أربع وعشرين ساعة، ولعدم كفاية الحمالين أمر الضابط الإنجليزي الكتبة بمعاونة الحمالين "فأخذتنا العزة"، وحدثت مناقشة حادة لم يقطعها سوى وصول كبار الضباط الإنجليز ومنهم جنرال لما عرف السبب في حدة النقاش ابتسم وخلع "جاكتته" وأخذ يعاون الحمالين في حمل الصناديق "فخجلنا من أنفسنا وقمنا بالمهمة عن طيب خاطر".. طبعاً الدرس الذي وعاه التاجر في الفرق بين المدير الذي يصدر الأوامر وقد مثله الضابط الأول والقائد الذي يشارك موظفيه المهام، ويكون ملهماً لهم على الطريق وقد جسّده الجنرال.. بالتأكيد الرفض الأول للكتبة له وجاهته، فهم يتشبثون

بمهامهم الوظيفية المنصوص عليها بينما الظرف استثنائي في ظل حرب يستوجب التعاون من أجل السرعة في إنجاز مهام الإخلاء، ولابد من تضافر جهود الجميع عبر قائد ناجح يشارك معهم دون استعلاء، ومن هذا الدرس أصبح الرجل تاجراً ناجحاً..

المثال الثالث: استطلاع محرج "مصور" وجهه مندوب الاثنين إلى طائفة من الكواكب والنجوم "ماذا تفعلين إذا صادفت زوجك فجأة متلبساً بخيانتك؟ وحصلت المجلة على إجابات الفنانات وصور لانطبعاتهن وعلامات وجوههن من أثر الصدمة، وقد بدت متفاوتة:

تحية كاريوكا: "كنت أخبط على صدري وأفقع كام صوت حياني وأجمع الناس علشان يتفرجوا على حضرة الخائن"

فاتن حمامة: "ماكنتش أعمل له أي حاجة بس كنت أروح مدورة العياط"

فاطمة رشدي: "دهيته مطينة كنت أقوله يا مجرم يا وغد"

ماري كويني: "كان يغمى عليا ساعتها".

رجاء عبده: "أصاب بالاضطراب والدهشة مع شيء من خيبة الأمل".

المثال الرابع: من مجلة الاثنين والدنيا العدد **519** بتاريخ **22** مايو **1944**م واستطلاع طريف عنوانه "الفلاحة المصرية كما رأيتها"، طرح على عدد من سيدات المجتمع الراقي المبعوثات من الهلال الأحمر لتوزيع الأطعمة والملابس والأدوية على المديريات الأشد احتياجاً: وجاءت الآراء على النحو التالي:

بهيجة هانم حرم مصطفى بيك فتحي ترى أبرز صفة هي: الصبر وقوة التحمل من خلال الجمع بين العمل في البيت والعناية بالأطفال وإعداد الطعام للزوج وحمله له.

أما جميلة هانم كريمة الدكتور عبد الحليم محفوظ بيك، وحرم الدكتور منير عبد اللطيف ترى ما يميز المرأة الريفية: الجمال وخفة الروح رغم الفقر والإيمان بإرادة الله وامتحانه، وأن بعد الضيق فرج و"اللي يصبر ينول."

أما زبيدة هانم حرم محمد سعيد الجريدلي بيك؛ فوجدت النظافة من شيم الفلاحة فهي تعتني بنظافة بيتها وأولادها وما لديها من ملابس على الرغم من صعوبة حصولها على مواد النظافة كالصابون..

أما الآنسة روسانو فترى نساء الصعيد يحققن مفهوم المرأة الكاملة التي تؤدي دورها كربة بيت بنظام لا تشوبه فوضى وتوازن بين الإيراد التافه والمصروفات.

فيما تحكي الآنسة جابي كريمة الأستاذ زكي بك عربي عن زوجة شابة رفضت الطلاق من زوجها مع تعسر حاله وضيق الحياة به مفضلة الإقامة معه عن الانتقال إلى دار أبيها.. فيما تحكي عواطف هانم كريمة شاكر باشا وحرم الدكتور حسين سرور عن فقدان كيس نقودها وقيام إحدى الفلاحات بإرجاعه لها مغلقاً كما هو مع كونها في أشد الحاجة إلى مليم واحد!

بالمناسبة هناك فصل طريف من العلاقة بين الهوانم والفلاحات غير مسألة الأعمال الخيرية عنوانه "الرضاعة الطبيعية"، إذ كانت تستعين القصور الملكية في مصر بالفلاحات لإرضاع الأمراء والأميرات حديثي الولادة، فقد ورد في كتاب "تقويم النيل" لأمين باشا سامي مثال على ذلك من أن "ساكن الجنان محمد على باشا" عهد بإرضاع ابنيه الأميرين: محمد سعيد، وحليم إلى السيدة خيرية بنت عبده، من أهالي دمنهور. وتقديراً لخدمتها أنعم عليها بساقية ومقدار من الأراضي المجاورة لها تكفي الساقية لريها..

وكانت المرضعات ونسلهن يتمتعن بقدر لا يستهان به من المكانة بين أميرات وأمراء البيت العلوي، وحسبنا أن نورد قصة طريفة من كتاب "الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي" لعبد الرحمن الرافعي، من أنّ أحمد عرابي في بدايات مغامراته الكثيرة مع الشراكسة بالجيش دخل في خلاف مع اللواء خسرو باشا الشركسي، فحاكمه الأخير في مجلس عسكري انتهى بحبس عرابي واحداً وعشرين يوماً، ولما استأنف عرابي الحكم أمام المجلس العسكري الأعلى قضى بإلغاء الحكم، لكن وزير الحربية إسماعيل سليم باشا كان يود معاقبة عرابي فسعى لدى الخديوي إسماعيل لفصله من الجيش. هنا لجأ عرابي للزواج من كريمة مرضعة الأمير إلهامي باشا وهي أخت حرم الخديوي توفيق من الرضاعة، لتسعى في عفو الخديوي إسماعيل عنه وعودته للجيش برتبته نفسها.. وهكذا لعبت الرضاعة الطبيعية دوراً في إنقاذ مستقبل عرابي.

ربما كان الملك فاروق من الحالات الشاذة في سجل هذه العلاقة، حيث أوكلت رضاعته إلى امرأة تركية تدعى (عائشة محمد جلشان) تقيم بقرية "جوركلة" في ولاية "بورصة" في تركيا، وحسب حديث أجرته معها مجلة آخر ساعة في عدد التتويج رقم **160** بتاريخ **29** يوليو **1937** م، فإن فاروق كان يمنحها راتباً شهرياً كما كشفت عائشة والتي رفضت أن يلتقط لها صورة لتوضع مع الحديث لأن "التصوير عيب وحرام" وأن فاروق منح ابنتها "فاطمة سليم" وأخته في الرضاعة منحة كبيرة من المال عند زواجها من شاب تركي أرسلت لها عبر قنصل مصر في إسطنبول.

بالمناسبة وعلى هامش هذه الحلقة: لو أخذك الفضول يا عزيزي للاطلاع بنفسك على عدد التتويج الذي أشرنا له آنفاً، وهو منتشر بنسخته القديمة وبصور منه لدى

باعة الكتب القديمة ومتاح على أرشيف الجامعة الأمريكية، ستجد أن هناك ورقة ممزقة بين صفحتي **38** و **40**! أمر غريب أليس كذلك؟!

ربما سقطت الصفحة سهواً أو ربما تلفت مع مرور الزمان، ولكن الحقيقية أنها مزقت بفعل فاعل! كيف؟! ولماذا؟!

حينما شرعت المجلة في الإعداد لعدد التتويج أرسلت إمضاء صاحب الجلالة الملك فاروق إلى إحدى العرافات بأمريكا لتقرأ طالعه فتفوهت بنبوءات ثلاث لم تصادف الصحة منها سوى واحدة، وهي أنه سيتزوج من فتاة جميلة من الشعب أول حرف من اسمها (**S**) وأنها معه في الرحلة الملكية الشهيرة في أوروبا التي اصطحب فيها فاروق والدته وشقيقاته..

استطاع أحد محرري المجلة أن يستنبط المقصودة بالنبوءة وهي الآنسة صافيناز ذو الفقار، وتم إعداد العدد على هذا النحو من أن الآنسة صافيناز في مقدمة المرشحات للزواج السعيد بالملك الجديد.. كان محمد التابعي صاحب الجريدة من ضمن الرحلة الملكية ولما عاد وقرأ العدد قبل صدوره بيومين أمر بتمزيق الصفحة وإخراج العدد بدونها، إذ كان الأمر وقتها مجرد تكهنات وأحاديث داخل الأروقة عن إعجاب متبادل لا يصلح أن يخرج للعلن، فخشي من مغبة ذلك على الرغم من أن المجلة كانت قائمة على القيل والقال وتجاوز الخطوط الحمراء، لكن تجاوز الملك أمرٌ خطيرٌ، وأمام إصرار التابعي ظل عمال المطبعة طوال **24** ساعة يمزقون الصفحة من جميع الأعداد المطبوعة.. بعد عقد قران فاروق بالآنسة صافيناز أو الملكة فريدة، كما عرفت بعد ذلك، وذلك في **20** يناير **1938**م خرجت المجلة بعدها بثلاثة أيام

في عددها **186** لتصارح قراءَها بحقيقة الصفحة المنزوعة التي أثارت حيرتهم طوال هذه الفترة!

المثال الخامس: العدد **601** من مجلة آخر ساعة في **1** مايو **1946** م وذكرى عيد العمال (يوافق مولد ابنتي نور حفظها الله) واستطلاع لآراء العمال في ظل ضعف الأجور وتواضع بيئة العمل فتقول برلنتي محمد (تعمل في مصنع جوارب) أن التحكم الأجنبي هو السبب في الفقر والعوز والألم والفوضى التي يعيشها العامل المصري أما الطيب فرج الله (عامل كهربائي)، فاعتبره مأتم العمال فالعيد لا يتحقق إلا بعد توفير العناية الكاملة بصحتهم وصحة أولادهم وتحقيق مطالبهم العادلة، فيما رأت عطيات حسن (تعمل بمصنع للفانلات) أن العامل هو المسؤول عما وصل إليه، وأن النهوض بالعامل نابع من ذاته حينما يكف عن تناول المكيفات ولا يعالج البطالة بتعدد الزوجات ولا ينفق على القهوة ثلاثة أرباع أجره راضياً لأسرته حياة الهوان.. فيما جاء رأي عبد الحميد عوض الله (سائق سيارة) أن العامل المصري مقارنة بالأجنبي يفتقد لأبسط سبل الحياة الكريمة، فهو يسكن "مندرة" في منزل ليس فيه نور ولا ماء وأولاده مشردون في الطرقات واليوم الذي يذهب فيه للنزهة مع أسرته يعقبه إما الذهاب إلى القسم أو إلى المأذون (خفة دم المصريين لا تفارقهم في أوقات المحن أليس كذلك؟!).

ثانياً: الحوارات

المثال الأول: عن قضية عمل المرأة بين رغبة الزوجة ورفض الزوج، وقضية تحديد النسل وهي قضية شائكة بين اتجاه الدولة في التقنين ورغبة المجتمع في التناسل، وحوار مع قرينة وزير المالية في شكل امتحان طريف لزوجها الدكتور زكي عبد

المتعال بيك نشر في العدد 935 من مجلة الاثنين والدنيا في 12 مايو 1952م، وننتقي منه سؤالين طرحتهم الزوجة على زوجها الوزير.

السؤال الخامس: هل تحب أن تشتغل زوجتك بالحياة العامة؟

-لا أحب مطلقاً أن تعمل زوجتي في مهنة عامة، فإن أعباء المنزل كافية وقيام الزوجة بهذه الأعباء هو واجبها الأول (انظر عقل واتزان زمان).

السؤال السادس: هناك أزواج يفضلون ألا ينجبوا أطفالاً في بدء حياتهم الزوجية، فما رأيك في ذلك؟

- هذا خطأ كبير بدون شك إذ الواجب على الزوجين أن يتركا مسألة النسل طبيعية وألا يحددا أو يتحكما فيه مدفوعين بالأنانية وحدها وثقي أن وجود الطفل بين الزوجين يلطف كثيراً من حياتهما ويدعو إلى الاستقرار (وهذا هو الرأي السديد والغريب أن تجد وزارة الأوقاف في فترة من الفترات تدعو لتحديد النسل دون أن تنتبه إلى أن بعض مناهجها التي تدرس في مراكز الثقافة الإسلامية تدعو للعكس تماماً!).

المثال الثاني: عن أهداف الخريجات: في مجلة الاثنين والدنيا العدد 575 في 18 يونيو 1945م ولقاء مع خريجات الجامعة الأمريكية وكلية البنات الأمريكية حول أهدافهن: (الآنسة إحسان الكيلاني: الاستمرار في العمل كرئيسٍ لقسم الموسيقى بالمعهد العالي لمعلمات الفنون- الآنسة مارى باسيلي: ميولها الخاصة العمل بالخدمة الاجتماعية لمحاربة الجهل والفقر والمرض- الآنسة إلن شخاشيري: العمل كطيارة أو محامية لأنها مهنة مريحة- الآنسة أوجيني إسحاق: العمل كطبيبة لأنه مجال فسيح للأبحاث والاكتشافات والمخترعات (طبعاً الكلام زمان)- الآنسة دورلي

مرشاق: العمل بالسياسة وخوض المعارك الانتخابية والصحفية وإذا "حال الزواج دون ذلك فالويل لحماتي).

طبعاً نحن في زمن الوعي على أشده بفقه الأولويات والذي بلغ درجة عظيمة في هذه الآونة وأولها التعليم. انظر مقال صاحب السعادة الأستاذ إسماعيل بيك مهنى مدير المنيا تحت عنوان "رعاية الفاروق وقيادة الفاروق" في مجلة الرأي الحر (المدير العام وصاحب الامتياز ومدير التحرير محمود أحمد البطاح) من أن عظمة الخطوات التي تقدمتها الأمة بين عامي **1936** و**1951** م وأولها تعدد الجامعات وتنوع معاهدها وتوزيعها في المدن الكبرى فهي "الوسيلة لسد مطالب الأمة وتركيز استقرارها والباعث الأول لنهوض الأمم من كبواتها والحافز الأعظم على أن تظل أعين الأمة ساهرة على مطالبها وآمالها".. حقاً ما قاله صاحب السعادة اللواء أحمد بيك عبد الهادي مدير عام البوليس في مقاله بالمجلة نفسها تحت عنوان "الوعي القومي في عهد فاروق" من أن ميزة خاصة لهذا العهد وهي أشد الميزات وضوحاً ألا وهي "انتشار الوعي القومي بين جميع الطبقات وتسابق الكل في رفع مستوى معيشتهم".

المثال الثالث: من الأفكار الطريفة التي لا أخفي إعجابي الشديد بها هي إرسال مجلة المصور للنجمة السينمائية (راقية إبراهيم) كمندوبة عنها لإجراء حوار مع معلمها الدكتور طه حسين بيك عن رأيه في المعركة التي تخوضها المرأة للحصول على حق الانتخاب، وراقية إبراهيم كان لها حضور واسع في الصحافة المصرية، فمع إرهاصات الإصدار الثاني لمجلة الكواكب الفنية أجرت الفنانة راقية إبراهيم ثلاثة حوارات صحفية مع ثلاثة شخصيات مختلفة هم: السفير الأمريكي في مصر ستانتون جريفيس، والشاعر عزيز أباظة، ووزير الشؤون الاجتماعية عبد الحميد عبد

الحق... نعود للحوار الذي نحن بصدده مرة أخرى.. كانت إجابات طه حسين منتصرة لحقوق المرأة وأن لها الحرية كالرجل في أن تخطب الرجل الذي يعجبها وله الحق أن يوافق أو يرفض ويؤكد أن اضطلاع المرأة بالمسؤوليات العامة لن يشغلها عن مهام بيتها وأبنائها وتركها للخادم وأن حرية المرأة لا تعني مساواتها بالرجل في الزواج بأربع، ونشر الحوار في العدد **1281** من المصور في **29** إبريل **1949**م.

الطريف أنّ طه حسين تنكر لحرية المرأة في نيل حقوقها السياسية بعد ذلك فبعد ثورة **1952**م وتحديداً في عام **1954**م، قادت الدكتورة درية شفيق اعتصاماً بنقابة الصحفيين مهددين بالصيام (ما عدا شرب القهوة والسجائر!) اعتراضاً على إهمال تمثيل المرأة في الجمعية التأسيسية لوضع الدستور برئاسة علي باشا ماهر، والتي ضمت ممثلي الأحزاب الوفد والأحرار الدستوريين وممثلين عن الإخوان ورجال القضاء والقانون، وضمت شخصيات عامة مثل طه حسين وعبد الرازق السنهوري. وبدأت عملها في **16** يناير **1953**م حتى **15** أغسطس **1954**م. آزر درية شفيق زوجها الدكتور نور الدين رجائي محذراً من خطورة الصيام عليها لكونها مريضة بالكبد والمرارة وزار علي باشا ماهر المعتصمات وقال لهن: "تريدون الصراحة هذه ليست طريقة عملية أبداً ويستحسن أن تعدن إلى بيوتكن" كما اتصل بهم الرئيس محمد نجيب وطلب لقائهن، وذلك بحسب ما جاء في العدد **1012** من مجلة آخر ساعة في **17** مارس **1954**م. دخل طه حسين على الخط ووصف المضربات بالعابثات في مقال له بصحيفة الجمهورية في **16** مارس معتبراً أن الإضراب غير مسؤول ويسعى للشهرة على حساب القضايا الوطنية الهامة ووقته غير مناسب في

ظل وجود الاحتلال في قناة السويس، وتطلع الناس لدستور يحسم العلاقة بين الحاكم والمحكوم لترد درية على طه حسين بمقال أثار غضبه تحت عنوان "طه حسين وعجائز الفرح"، وتذكره بأنه في الماضي كان يدافع عن الحرية والآن في مقعد المتفرجين، وأنه حينما كان بعيداً عن مقعد الحكم والسلطان تكلم عن المعذبين في الأرض وأسهب ولما جلس في المقعد اندفع يمدح الطاغية والطغيان ويرفعه في أواخر أيامه إلى مصاف الآلهة والقديسين."

الطريف أنّ الهجوم ضد درية كان مبكراً، ولكن المثير هو موقف منيرة ثابت من درية شفيق والذي عبرت عنه في مجلة الأمل التي كانت تملكها وترأس تحريرها في العدد **16** السنة الثانية في أكتوبر **1953**م تحت عنوان "خواطر ثائرة.. يجب ألا ننسى يا زكريا.. خذ الكتاب!" وقد استعارت العنوان من مقولة الصاغ صلاح سالم "يجب ألا ننسى" أمام مؤتمر الثورة السياسي بميدان الجمهورية في **15** سبتمبر، وزكريا المقصود هو زكريا محي الدين وتضمن الموضوع صورة تجمع درية شفيق بمدام "تهيلا ماتمون" رئيسة وفد إسرائيل في نابولي معلقة عليها بالزعيمتين الصديقتين!! وبدون اتهام مباشر طالبت بعقاب المتصلين بإسرائيل ممن أسمتهم "الخونة المارقين والنفعيين الموتورين من الرجال والنساء على السواء" بتهمة الخيانة العظمى!!

درية شفيق في وجهة نظري هي أصدق من دافع عن قضايا المرأة ووهب نفسه لها بكل نبل وشرف، لكن مشكلة درية شفيق مع ثورة يوليو وعبد الناصر بعد ذلك، والذي وصفته بالديكتاتور واعتصمت بالسفارة الهندية مطالبة بإسقاطه!! إنها من جيل التحول من عصر الملكية لعصر الجمهورية، فعاشت في كنف الملكية تستطيع

أن تعبر بحرية وتشكل جمعيات وتقود مسيرات وأقصى ما يمكن أن ينالها من ذلك هو أن يسيء الملك بها الظن، كما أشار في مذكراته أو لا يبالي بمطالبها مهما فعلت، ومع بدايات الثورة أظهرت التفاؤل. ففي مجلة (بنت النيل) في أغسطس **1953**م كتبت "والآن ونحن في مطلع العام الثاني من حياة الثورة فإننا نرجو مخلصين أن ترعى الثورة في عامها الثاني شؤون المرأة.. فنحن أحد عشر مليون ونصف مليون من تعداد الأمة أي نحن كثرة بين المواطنين ومن التحرير أن تحرر الأغلبية من علامات الرق حتى يقال بحق أن مصر قد تحررت جميعاً ذكورها وإناثها على السواء "أما عهد عبد الناصر، فالأمر اختلف فمساحة الديموقراطية تقلصت وضاقت حتى استحكمت حلقاتها ولا أمل في عودتها سيرتها الأولى.. خطأ درية شفيق ليس أنها عارضت، ولكن في كونها اختارت الزمن الخطأ وليس هذا حالها فقط، بل حال إحسان عبد القدوس الذي أثار موضوع الأسلحة الفاسدة في العهد الملكي وحقق في القضية قبل وبعد الثورة وثبت في المرتين براءة النظام الملكي، وحينما جرب مثل هذه القضايا الساخنة بعد ثورة يوليو **1952** وقد حمل مقال له في **15** مارس **1954** م عناوين حماسية حادة: "إننا نسير في الطريق الطبيعي المحتم على الثورة.. ليس من طبيعة الثورة فرض الديكتاتورية العسكرية.. إنها ثورة تنفيذية وليست ثورة تشريعية.. كيف عاد نجيب رئيساً للوزراء دون رأي الشعب؟". اعتقل بالسجن الحربي ومنح "الكوز" الذي كان يشرب منه كتذكرة والذكرى تنفع المعارضين بلا شك وبعدها أقلع عن الكتابة السياسية واتجه لكتابة القصص والروايات الساخنة أيضاً! فكري أباظة أيضاً الرجل الذي قضى حياته في عالم الصحافة تظلل مقالاته كافة الصحف المصرية بسخريته اللاذعة وآرائه الجريئة، لا أظنني شخصياً قد

فتحت مجلة أو صحيفة قديمة وأنا من هواة ذلك، ولم أجد عموداً له فيها ولربما عبد الناصر نفسه ولا زال تلميذاً يخطو خطواته الأولى يقتطع من مصروفه ليشتري صحيفة تحمل مقالاً للرجل.. لكن الحكم والسلطة شيء آخر. حملت تلميذ الأمس لمقعد الزعامة المنفردة فيما توارى الصحفي الكبير لمقعد بالخلف وقد تقدم به العمر، ولم يعد بحوزته سوى قلمٍ مقصوفٍ حيث أحيل على المعاش بقرار من عبد الناصر والسبب مقاله الشهير: "الحالة ج"، والذي نشرته مجلة المصور في عددها **1923** بتاريخ **18** أغسطس **1961**م، والذي استعرض فيه الأحوال السيئة للعالم وسبل معالجتها ومنها البند **7** من مقترحاته والذي فتح عليه نيران الهجوم: "تقرر الدول بالاتفاق حياد منطقة الشرق الأدنى وجميع الدول المنضمة إلى الجامعة العربية، وينشأ بعد هذا الاتفاق اتحاد فيدرالي بين الدول العربية، ويكون اختصاصه مقتصراً على توحيد الجيوش الحيادية العربية وسياستها الخارجية على أن تدمج فلسطين بأسرها في هذه الدول، وتشمل إسرائيل بعد أن تزول عنها صفتها الدينية، ويصبح الإسرائيليون من رعايا هذا الاتحاد الذي يكفل لكل الأقليات حقوقها كاملة حسب التقاليد الدولية المتبعة". ويرى البعض أنه ليس صحيحاً أن سر غضب عبد الناصر عنه هو اقتراحه السلام مع إسرائيل، فلم يكن مقص الرقيب في هذا الوقت ليسمح بخروج مثل هذا الاقتراح من الأساس إن لم يكن بإيعاز من عبد الناصر نفسه.

وقيل: إنّ السبب الحقيقي هو عبارات حملتها رسالة نشرها فكري أباظة في باب "كلمة الحق"، تحت عنوان: "من محب وسهير إلى بابا فكري" تحمل إسقاطاً على عبد الناصر ونظامه الذي أسقط فكرة الديموقراطية من حساباته تقول الرسالة: "بالرغم

من أن فرانكو أنقذ أسبانيا من مجازر الشيوعية والحرب الأهلية وقام بعدة إصلاحات في الصميم.. بالرغم من ذلك فهو لا يظفر بالحب الذي يستحقه ولا بعرفان الجميل الذي هو به جدير من بعض خصومه، وتحليلنا على قدر إدراكنا أن هؤلاء الخصوم يؤثرون الحرية الشخصية على كل مجد وإصلاح، وحرية الكلام وحرية الحِل والترحال وحرية الاجتماع التي هي غريزة آدمية؛ أي حرية ولا حيلة للمنطق فيها ولا حيلة للإقناع بعكسها".

وأياً كان السبب، فقد عاد الرجل باستعطاف مؤلم لعبد الناصر والذي سبب للرجل السبعيني جرحاً غائراً في كبريائه لازمه حتى نهاية عمره... وقد جاء نص الخطاب المؤلم:

"كان واجباً عليّ أن أنشر لقرائي إيضاحاً عن مقالي.. ولقد كان أوجب أن أقدم هذا الإيضاح لصاحب الشأن ـ أولاً ـ وهو سيادة الرئيس.. ولقد فعلت.. الرجل العظيم الذي أعفى المحكوم عليهم بالإعدام من الإعدام! والذي أعفى الذين تآمروا على حياته من الأشغال الشاقة المؤبدة! والذي أعفى المحرومين – بأحكام – من حقوقهم المكتسبة من هذا الحرمان، ورد إليهم اعتبارهم الشخصي، والسياسي... هذا الرجل لا يعز عليه أن يعفي – فكري أباظة – لا من الإعفاء – وإنما من حيثيات الإعفاء.. إذا شاء الله.. فشاء.. ويمكن – بحال – أن يختفي قلم فكري أباظة في عهد جمال عبد الناصر! ولا بد أن يجد طريقه ـ في أي ميدان- ليستأنف جهاده وكفاحه في سبيل هذه الثورة وفي سبيل زعيمها وقائدها؟ والمسؤول الأول عن الوطن العربي الكبير الواسع المساحة والفادح الأرجاء. بقي واجبي نحو قرائي بعد أن أديت واجبي نحو سيادة الرئيس....

والإيضاح الذي أنشره هو قصة! قصة «معركة عنيفة» بين «ضميري» و«قلمي»! «فتنة أهلية» داخل كياني الهزيل الضئيل. قال ضميري لقلمي: أنت لم تُحسن ترجمة ما دار في خلدك! أو لم تسجل بعبارة أصرح، وأفصح، وأوضح ما أمليته عليك إملاء! لعلك قد هرِمت أو شِخت، أو تعثرت بحكم أرذل العمر، وهو ما أنت فيه؟! قال قلمي لضميري: إن الأقلام لا تشيخ! وقد تتعثر. ولكنها لا تتبدل ولا تتغير! ولقد محوت إسرائيل محواً من خريطة العالم! وحطمت دولتها تحطيماً! وأعدت الأرض التي دنستها إلى الكيان الفلسطيني العربي الكبير، ثم جعلت مخلفاتها المتناثرة من الآدميين رعايا للأمة العربية الكبرى في اتحادها الفدرالي الذي ينبثق من إرادتها، هي كما هو ظاهر من النص الجلي الصريح... اللّهُمَّ إلا إذا كان الحظ التعس قد نكب عبارتي بالغموض، وهذا قدر.. ولا حيلة لي في هذا القدر! وتدخلت «حنجرتي» في هذه المعركة الناشبة بين «ضميري» و«قلمي» فقالت: إن القضاء جرت تقاليده وأصوله على أن يراجع سوابق المتهمين.. وأنا الحنجرة قد هززتُ منبر مجلس النواب ـ البائد ـ هزاً فدوى دوي في أرجائه عشرين عاماً طوالاً من أجل فلسطين ـ وكنت صاحبة الصوت القاصف في الجلسات العلنية والسرية من أجل فلسطين، ثم هززتُ أرجاء الإذاعة هزاً مائتي مرة من أجل فلسطين فإذا أضفت أيها «الضمير» جهاد «الحنجرة» إلى جهاد «القلم» وجدت أن صاحبنا ـ فكري أباظة ـ لم يخرج عن مبادئ «القومية العربية» يوماً واحداً منذ أن كان لهباً من ألهبة الثورة في سنة **1919**- إلى أن كان – ولا يزال لهباً من ألهبة الثورة من سنة **1952** إلى سنة **1961**!! وتدخل «وجداني» في المعركة وقال: أيها الضمير – أيها القلم – أيتها الحنجرة مكانكم! كفى ضجيجاً وعجيجاً... إنّ صاحبي، وصاحبكم ليس بالجاحد: فلقد أكرمه الرئيس

هذا الكيان العربي الكبير وكرّمه: فأمر الرقباء – في عهد الرقابة – بألا يراقبوا ما يكتبه، ويكتبه زميله الأستاذ الكبير «التابعي»، وحين كان سيادته في زيارة الاتحاد السوفيتي أتاح له الكلام في حفلة كبرى بدل نائب الرئيس فكرّم معه الصحافة والصحفيين، وعنّف سيادته أحد الدبلوماسيين الشيوعيين حين حملت على صاحبكم، وصاحبي، الإذاعات الشيوعية الرسمية تتهمه بالارتشاء من الأمريكان! وأنه يمضغ «الدولارات الأمريكية» كما يمضغ «اللبان الأمريكي»، وأكرمه وكرّمه حين شرّفه برياسة مجلس إدارة أقدم دارين وهما دار الأهرام ودار الهلال، وحين منحه وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى مصحوباً ببراءة ووثيقة فيها كل التقدير والتكريم... صاحبكم وصاحبي ليس بالجاحد. ولن يكفر ولن ينسى هذا الفضل الجميل. ولن ينكر عرفان الجميل... أيها الضمير، وأيها القلم، وأيتها الحنجرة، وأنا معكم «الوجدان»: نحن كتيبة يجب أن تلتف دائماً حول هذا الحصن الحصين. ولن يختفي ضمير فكري أباظة، ولا قلمه، ولا حنجرته، ولا وجدانه في عهد «جمال عبد الناصر» ولا في عهد ثورته.... مستحيل! مستحيل!"

المثال الرابع: من مجلة الاثنين والدنيا العدد **464** بتاريخ **3** مايو **1943**م وحديث طريف مع الدكتور محجوب ثابت (يرجى العودة لكتابي على هامش التاريخ والأدب ورواق القصص الرمضاني) في مكتبة الضخم والمبعثر الكتب، وبه لوحة كبيرة كتب عليها "ممنوع لمس الكتب" والحديث يمكن أن نعرف منه تاريخ لحية الدكتور محجوب الشهيرة والتي أطلقها عام **1903** م وتضحياته في سبيل الحركة الوطنية ومرات اعتقاله ومنها في مسألة قتل المرحوم حسن باشا عبد الرازق (اغتيل بالخطأ مع إسماعيل بيك زهدي وكانا قطبا حزب الأحرار الدستوريين وكان المقصودين

بالاغتيال حسين رشدي باشا وعدلي باشا، لكن التبس الأمر على المنفذين لأن العملية كانت في جنح الظلام) كما قبض عليه مع محمود بيك بسيوني وعبد الستار بيك الباسل وحسن يسن في معتقل قصر النيل فالوحات الخارجة، ثم سجن الأجانب **1923**م وطوال هذه الاعتقالات اضطر إلى إغلاق أجزاخانته (الشعب) وتراكمت عليه الديون للصيادلة ووزارة الأوقاف.. وحول شعوره بعد كل هذه السنوات فقد كان كحال الكثيرين ممن ضحوا لأجل مصر وهو الألم لاهتضام حقوقه الأدبية وإهدار كرامته.

المؤلم أن هذا الحديث جاء بعد ثلاث سنوات فقط من دور تاريخي مشرف للدكتور محجوب ثابت الذي عرفته دوماً رجلاً بأمة (اختلفت مع ذلك مرة واحدة.. انظر كتاب رواق القصص الرمضاني)، وذلك عبر وساطته في الصلح بين قبيلتي الأشراف وهوارة الحميدات بمدينة قنا في صعيد مصر بعد سنوات من النزاع الدامي والمفزع وعقد الصلح فعلياً في **6** أكتوبر **1940** م في مكتب سعادة إسماعيل بيك مهني مدير أمن قنا، وبمباركة شيخ الأزهر ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتوسط فيها الدكتور محجوب ثابت إذ سبقتها مبادرة للصلح بين القبيلتين ذاتهما عام **1921** م حيث كان يحظى باحترام الجميع.

هذا الاحترام لشخص الرجل لم يقتصر على الداخل المصري، بل امتد للخارج ففي لقاء جمع بين محجوب ثابت كطبيب يمثل الجامعة المصرية ورياضي وأدولف هتلر زعيم ألمانيا النازية عام **1936** م وكان الدكتور محجوب في عجلة من أمره لدرجة أن أمر خادمة الفندق أن تكوي بدلته الأسموكن الزرقاء "المكرمشة" وهو يرتديها

وسط ضحك وإعجاب الحاضرين لكن أسلوبه الساحر الذي اشتهر به غطى على مظهره ونال إعجاب وتقدير هتلر (وردت القصة في ذكريات فكري أباظة عنه في مجلة المصور)..

حقاً العبارة الإنجيلية القائلة "لا كرامة لنبي في قومه"..

ثالثاً: التسامح الديني

المثال الأول: ما يميز صحافة زمان النظرة الدينية السمحة بعيداً عن التشدد والاستحواذ على رحمة الله لفئة دون أخرى، كما نرى اليوم من نعرات طائفية لا ينبغي أن تسود.. كنت أسمع أبي حفظه الله يقول: «لم يمت بعد من لم ينشر اسمه في وفيات الأهرام»، وكان والدي من المغرمين بصيحفة الأهرام يقرأها كاملة ووالدتي رحمها الله تفضلها أيضاً، ولكن لسبب آخر وهو أن عدد صفحاته كبير مما يؤمن لها تغليف أسبوع كامل لسندوتشات المدرسة صباحاً لي ولأختي.. إذاً نضع صفحة وفيات الأهرام أمامنا وننصب ميكرسكوبنا البحثيّ عليها وهذه المرة في **19-11-1949** م وثلاث نعايا متلاصقين: "نعي فرديناند ميرزا" و"الخواجا مانولي.ا.روسوس" و"علي محمود طه شاعر الجندول ومهندس الفنون والصناعات بمصلحة المجاري" والثلاثة استخدمت الأهرام في نعيهم دون تفرقة "توفي إلى رحمة الله"..

لقد فهم الرعيل الأول للصحافة أكثر من المتقدمين معنى ومغزى قوله تعالى في سورة البقرة: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (**62**)) وكذلك قوله تعالى في سورة آل عمران (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا

أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (**199**)).

المثال الثاني: طرح القضايا الشائكة خاصة تلك التي تتعلق بالأحوال الشخصية لأصحاب الملل الأخرى في ظل هذا التسامح. في عدد الأهرام **16654** في **21** إبريل **1931**م تطرق الحاخام الأكبر للطائفة الإسرائيلية حاييم ناحوم أفندي (تولى منصبه من **2** مارس **1925**م وحتى وفاته في **13** من نوفمبر **1960**م وكان عضو المجمع اللغوي)، للحديث عن مسائل الأحوال الشخصية والاختصاص القضائي، وأي تعارض قد يحدث بين قرارات المجالس الملية والمحاكم الشرعية مقترحاً إنشاء إدارة للديانات والمذاهب لتنظيم الأحوال الشخصية على وجه يكفل لكل طائفة ما لدينها من تقدير ورعاية.

ومن أمثلة التعارضات التي تحدث عنها الحاخام: حكم صدر من أحد المجالس الملية بالتفريق بين زوجين فلجأ الزوج إلى إحدى المحاكم الشرعية وحصل على حكم بإلزام زوجته بالدخول في طاعته وقامت جهات التنفيذ بالأخذ بالحكم الأخير، لأنه الأحدث وهو ينسخ ما قبله وأرغمت الزوجة بالفعل على الدخول في بيت الطاعة من غير اكتراث بقرار المجلس الملي السابق بالتفريق بين الزوجين.

المثال الثالث: قضايا التحول الديني ومنها ما تناولته مجلة المصور في عددها **1874** بتاريخ **9** سبتمبر **1960** م، وحديث عن الخواجة اليوناني "ستاورو بابادوبلو" صاحب حانة في القاهرة والذي أسلم وسمى نفسه "مصطفى ستاورو" وقصة إسلامه أنه رأى في المنام أنه يمسك بعصا غليظة ويطيح بزجاجات البراندي وبراميل النبيذ

في حانته حتى تحولت إلى بحر متلاطم عالي الموج وهو يجاهد في السباحة فيه حتى وصل أخيراً إلى شاطئ أخضر به أحواض للورود في إشارة إلى الجنة..

وفي الصباح حول الخواجة رؤياه المباركة إلى حقيقة وبحسب شهادة "عم محمد" البقال المجاور للمجلة فقد هوى بكلتا يديه (بوركت يديه) بعصا غليظة على الخمور وهو يصرخ: "دي منكر.. دي منكر.. دي رجس من عمل الشيطان"، وأشهر إسلامه واختار اسم مصطفى كما تقدم وأطلق لحيته وأمسك سبحة يسبح بها بأسماء الله الحسنى، وحول حانته إلى مقهى للشاي والقهوة والشيشة العجمي، وأتمنى لو كان أحد قد مال على أذن عم مصطفى وأعلمه أن أخطار الشيشة في الإصابة بالسرطان، وأمراض الجهاز التنفسي، والأمراض المتعلقة بالقلب لا تقل عن أخطار الخمور.. لكنْ لا نستطيع أن نلوم المجتمعات في هذه الآونة لتواضع الثقافة العلمية حول التدخين ومضاره..

نعود للخواجة مصطفى، والذي رتب أغراضه للحج لكنْ حال بينه وبين الذهاب لبيت الله تدبير النفقات فلمّا علم بذلك السيد توفيق عبد الفتاح وزير الشؤون الاجتماعية وعد بتلبية طلبه في العام القادم.

رابعاً: النقد البناء

المثال الأول: قدرة هذه الصحف على النقد وتجاوز الخطوط الحمراء أحياناً ولا يضاهي هذه الفترة سوى فترة الرئيس الأسبق محمد حسني مبارك، وطبعاً هذا المبحث من أمثلته قديماً ما يضيق به كتابي وتحفل به مجلدات لذلك اخترت مثالاً من صحيفة نادرة طواها النسيان لنسلط عليها الضوء قبل أن نشير لأحد الأمثلة منها إنها صحيفة "التيمس المصري"، وقد ظهر هذا الاسم لأول مرة بحسب كتاب

(تاريخ الصحافة العربية) لفيليب دي طرازي (طبعة **1913**م) كصحيفة سياسية أسبوعية تنطق بلسان الاحتلال البريطاني على يد المستر "بيمين" وكان يحرر نصفها باللسان العربي والنصف الآخر باللسان الإنكليزي، وظلت تصدر لمدة قصيرة لا تتجاوز الأربعة أعوام كما أخبر "سليم بن عباس الشلفون الذي كان متولياً كتابة قسمها العربي".

لكن سرعان ما عاد للاسم الحياة مرة أخرى، ولكن مع رسالة مختلفة هذه المرة فخرجت الصحيفة تحت شعار وطني مصري قبطي أصيل: "كن عادلاً ولا تخف أبداً" و"جريدة الصراحة والجرأة والإقدام" بفضل سالم سيدهم تادرس عام **1902**م، وكان ناظر وقف كبير لعائلته يبلغ ألف فدان غير الدور.. في العدد **199** من الجريدة الصادرة في **15** إبريل **1939**م وبعد احتفاء بسلامة الملك "عزيز مصر" من حالة الجديري الخفيف التي ألمت به (من المعلومات الطريفة وهذه من أفضل الاستفادات من الصحف القديمة) وبعدها راح يوجه سهام انتقاداته للنقراشي وهو في انتقاده يعطي درساً هاماً للنقد البناء بعيداً عن التجريح واستخدام العنف بما يصلح أن يكون درساً تاريخياً مهماً إذ يقول: "فمن قال إن النقراشي باشا (كان وزير الداخلية وقتها) من أنبياء الله المعصومين من الخطأ والخطل؟ إنه مخلوق مثلي ومثلك يحسن ويخطئ فإذا أحسن حمدنا له حسناه أو أخطأ قومناه بالطريق المشروع من النصح والإرشاد وما نزال نسدي إليه النصح حتى يوقن أنّ القليل من التوفيق خير من كثير من العمل فإن لم يعتدل فلدينا برلمان يحاسبه وملك يقيله و"رب يقينا شره" أما أننا نتصور فيه الخطأ في العمل فنعمد إلى الاقتصاص منه

بطريق الإجرام فلا وألف لا.. ولذلك أرجو ألّا يكون ما أذيع عن بعض الطلبة من أنهم كانوا يدبرون مكيدة لاغتياله غير صحيح لتبقى الأخلاق في مستواها الرفيع والطلبة في جادتهم القويمة المثلى لخدمة الوطن بالعلم والفضل والخلق الحسن".

ولنا فيما أقدمت عليه صحيفة المؤيد ومحررها محمود أنيس مثال حي من اتهام للحكومة المصرية بالتقصير والعجز عن القبض على الجناة وحملة لمطالبة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بعزل (الشريف عون الرفيق بن محمد بن عبد المعين بن عون) شريف مكة في أعقاب تعرض قافلة الحجيج المصري وكانت تحت إمرة إبراهيم باشا رفعت ومتولياً فيها أحمد بيك زكي أمانة الصرة لهجوم من بعض العربان في 4 فبراير 1904 م أسفر عن استشهاد ستة من بينهم الجندي في حراسة المحمل (أحمد شهاب الدين) من القاهرة فيما أُصيب عددٌ آخر بجروح منهم حسن أفندي محمود ناظر عزبة أحمد بيك شرمي من كفر الشيخ (صرف له تعويض 7 جنيهات) وزوجته وابنته وخادمته (عوضوا كل منهم ب 5 جنيهات) وتعرض العديد منهم لسلب الأمتعة والحلي والنقود ومن بينهم عوض أفندي داوود من الزقازيق (عوض ب 5 جنيهات) وفاطمة مصطفى سقعة من دمياط سرق منها نص جنيه (عوضت ب 2 جنيه).

وفي هذه الحادثة قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

"ضَجَّ الحِجازُ وَضَجَّ البَيتُ وَالحَرَمُ
وَاستَصرَخَت رَبَّها في مَكَّةَ الأُمَمُ
قَد مَسَّها في حِماكَ الضُرُّ فَاِقضِ لَها

خَليفَةَ اللهِ أَنتَ السَيِّدُ الحَكَمُ
لَكَ الرُبوعُ الَّتي ريعَ الحَجيجُ بِها
أَلِلشَريفِ عَلَيها أَم لَكَ العَلَمُ
أُهينَ فيها ضُيوفُ اللهِ وَاضطُهِدوا
إِن أَنتَ لَم تَنتَقِم فَاللَهُ مُنتَقِمُ"

بالطبع وكعادة الباب العالي أصم آذنيه عن هذه الدعوات ضد شريف مكة الذي اشتهر بقسوته على الحجيج، فكان يحبسهم ويمنعهم من الوصول إلى المدينة المنورة حتى يدفعوا إعانة السكة الحديدية بقيمة ريال عن كل حاج وكل جمل وكل محمل ومن يعترض يضرب هذا علاوة على ضرائب المطوفين وهي ريال عن كل حاج.

وسبحان من له الدوام فبعد عام تقريباً من هذه الحادثة توفي الشريف عون بنوبات صرعية...

المثال الثاني: نقل الرأي والرأي الآخر دون تحيز إذ كان للصحافة مساحة واسعة لتبادل وجهات النظر حول المشروعات التنموية بين مؤيد ومعارض والمثال على ذلك: مشروع خزان جبل الأولياء حيث عرضت مجلة المصور في عددها **399** بتاريخ **3** يونيو **1932** م تقرير عن المشروع بين مؤيد ومعارض واستعرضت وجهة نظر إبراهيم فهمي كريم وزير الأشغال وقتها المتحمس للمشروع ومعارضة عثمان باشا محرم وزير الأشغال السابق، وكذلك حافظ رمضان بيك زعيم المعارضة بالبرلمان.. كان طرح الموضوع قد بدأ في عهد وزارة إسماعيل صدقي وهي الوزارة الوحيدة من بين وزارات مصر التي تبنت المشروع ودافعت عنه رغم الرأي العام المعارض له.. لكن كان لكل طرف وجهة نظر جديرة بالاحترام.

بدأت فكرة خزان جبل الأولياء ضمن نبذة وضعها مستر ديبوي مستشار الأشغال المصرية والمفتش العام لري السودان عن أبحاثه بكتاب "الدليل في موارد أعالي النيل" والصادر عام **1904** للسير ويليام جارستين مستشار نظارة الأشغال المصرية السابق، وقد كان هذا الكتاب دستوراً للإنجليز فيما يتعلق بمشروعات ضبط النيل والري الكبرى.. كان اللورد كتشنر المعتمد البريطاني في مصر أول من تحمس لهذا المشروع عام **1914**م، وكانت وجهة نظره تحقيق الفائدة لمصر والسودان معاً، وقد عبر عن وجهة نظره في الكتاب الأزرق بقوله: "فالحكمة تقضي بإنشاء هذا السد لغرضين؛ الأول وهو المقصود بالذات: منع ضرر الفيضان الفائق الحد. والثاني: صيرورته خزانًا لخزن الماء فوقه. ولكنْ إنشاؤه لا يغني عن الأعمال اللازمة للتحكم بالمياه عند مصادر النيل في البحيرات الكبيرة لأجل حل مسألة الري الصيفي لكل القطر المصري".

فيما عارض الكولونيل كندي باشا مدير الأشغال بالسودان السابق هذا المشروع لأنه من الناحية الهندسية سيضيع كمية كبيرة من المياه، كما أن من يسيطر على هذا الخزان يقبض على مصر من عنقها كما أن تكلفته تتعدى قدرات مصر خاصة وأن إنجلترا قد أعلنت من البداية أنها لن تشارك في هذا المشروع بأي دعم مالي..

أما السير ويليم ويلكوكس، فقد ذهب إلى أبعد من ذلك حينما حذّر عدلي يكن باشا رئيس الوزراء سنة **1921** م من المشروع باعتباره اغتصاب لحقوق مصر التاريخية في النيل قائلاً: "لقد قضيت أربعين عاماً بمصر، وأكلت ملحها، وشربت ماء نيلها، لهذا أرى من الجبن والنذالة أن أقف مكتوف اليدين، بينما أشاهد بعينَيّ رأسي أن مصر الضعيفة يُراد قتلها باستعبادها وإذلالها بشكل لم يسبق له مثيل في

التاريخ؛ إذ يُراد قتلها بواسطة مشروعات الري التي يُراد إقامتها بالسودان للتحكم في مياه مصر ولاغتصاب حقوقها في ماء النيل لاستعماله بالسودان".

لا شك أن المشروع يحمل فائدة حملها الرأي الأول ومن سار خلفه من الساسة المصريين بينما الرأي الثاني كان يخشى من احتمالية انفصال السودان عن مصر خاصة أن المسألة المصرية لم تكن حسمت حتى هذا التاريخ.

لكن الطريف أن الحكومة البريطانية كانت الأشد عنفاً ضد معارضيها، حيث قامت بمحاكمة كندي وويلكوكس نتيجة حملتهما ضد الخزان وإحراج الحكومة البريطانية، فجردت كندي باشا من جنسيته البريطانية ومن ألقابه ورتبه وخفضت معاشه، وقضت على السير ولكوكس بالصمت التام وعدم الكتابة في مشروعات الخزانات بالسودان عاماً كاملاً.

المثال الثالث: طرح أفكار لحل المشكلات الاجتماعية بشكل جريء وصادم وطرحه للنقاش مع المعنيين، ومن ذلك ما جاء مجلة الاثنين والدنيا في عددها **292** في **10** يناير **1940** م، ومعالجة أمينة لمشاكل العاطلين عن العمل في مصر ولماذا لا يقبل الشباب على الأعمال الحرة؟! عقدت المجلة مقارنة بين الوظيفة (عمل مريح -مرتب مضمون- يقضي نصف العام في إجازات -لا يخشى المستقبل - مركز أدبي ممتاز) بينما الأعمال الحرة (عمل متعب- مرتب غير مضمون- لا إجازات- مستقبل مجهول- يفقد حتى المركز الأدبي) وهي نفس الطريقة التي يفكر بها شبابنا حتى يومنا هذا.

ومن الأمثلة أيضاً دعوة الأستاذ أحمد مرسي بدر لإغلاق دور السينما وقد جرب هجرانها منذ عام **1947** م.. جاءت مقالة الأستاذ أحمد في مجلة الجيل الجديد العدد

90 في 14 سبتمبر 1953م ليعلل مذهبه فهو يرى أن الفساد المستشري في المجتمع مبعثه تأثير السينما الواسع ويخص بالذكر السينما الأجنبية وأفلامها في مصر بينما يطلق على الأفلام المصرية وصف "الماجنة" ففي رأيه أن الأفلام الأجنبية التي تعرض تمجد حياة العصابات، مما أدى لاتساع رقعة الجرائم في مصر كما أنها أدت لانتشار "تعبيرات الحب الفاسد المحرم" على لسان شباب المدارس والجامعات وأن المؤلفين والمخرجين المصريين أخذوا حذوها في إنتاج "أفلام همجية وحيوانية" تعتز وتشيد بالخطيئة والخاطئات وتزين هروب الفتيات من أهاليهن للزواج من صعاليك.. وأما وأنه فقد الأمل في إصلاح السينما والدفع بها لعمل أفلام خلقية ثقافية تعليمية مصرية أكانت أو أجنبية تستهدف إصلاح المجتمع وتهذيب الحياة والغرائز وتقويم ما اعوجَ من الخلق، لهذا فهو يدعو بإغلاقها.. ما جذبني في هذا الطرح وبعيداً من مناقشته هو هدوء محرر المجلة الذي وصف هذا الطرح بالرأي الجريء والدعوة الخطيرة لذا فهو يسأل عن رأي نقيب السينمائيين ورئيس غرفة السينما وأعضاء النقابة عنه؟!

وما أعجبني على المستوى الشخصي أن وجدت قريناً لي في الماضي يشكك في وجود مجنون ليلي في التاريخ القديم أو الحديث كما تحدث الرجل في مقاله.

أعتقد أنّ اليأس نفسه قد تسلل للفنان المحترم حسين صدقي والذي أوصى أولاده بحرق ما تصل إليه أيديهم من أفلامه بعد رحيله؛ لأنه وجد أن السينما من دون الدين لا تؤتي ثمارها المرجوة. وقبل وفاته بدقائق عام 1976م قال لأسرته: "أوصيكم بتقوى الله وأحرقوا كل أفلامي ما عدا سيف الله خالد بن الوليد".

الفصل الخامس

إعلانات من زمن فات

1-إعلانات عن الدجالين والمشعوذين:

المثال الأول: إعلان رجل الأسرار ويبدأ باقتباس من أحد المتعافين بعلاجه "إني أقدم بكل سرور مزيد شكري للرجل العجيب الذي شفاني تماماً من ضيق التنفس الذي كنت مصاباً به من صغري، وقد عرضت نفسي على كثير من الاختصاصيين والأطباء المشهورين طول مدى مرضي بلا فائدة وأخيراً عملاً بمشورة أحد الأصدقاء عرضت نفسي على الرجل العجيب الذي أعطاني سبعة قطع من "التي ربي" وعلى حسب تعليماته حرقتها فكم كانت دهشتي وقد شفيت تماماً بعد أيام قليلة.. يارني وليم ريشموند" ثم يأتي الإعلان على ذكر خدمات رجل الأسرار الأخرى: "ينبئ بالضبط عن المستقبل- يشفي من الأمراض - يظهر الصور الفتوغرافيات للأشخاص التي توفيت". وفي نهاية الإعلان: "مواعيد الزيارة من **9-1** صباحاً ومن **4-7** مساءً.. اطلبوا الرجل العجيب من سكرتاريته بشارع كامل بالدور الأول نمرة **2** أمام أوتيل شبرد.. جنيه مصري واحد للإجابة عن أربعة أسئلة".

2-إعلانات الصناعات الوطنية: وفي مقدمتها السجائر!

المثال الأول: اللطائف المصورة في **28** مايو **1923** م و"طريق الاستقلال التام تعضيد محلاتكم الوطنية المصرية شمس الإسكندراني وأولاده بالسكة الجديدة وبالغورية بمصر.. زوروها لتنظروا بضائع صيفية جديدة -حرائر جميلة -الأثمان في غاية المهاودة".

المثال الثاني: العدد **32** في **31** أكتوبر **1932**م وإعلان الشريف عباس حليم عن سجاير آمون بخط يده "إني سعيد أن أرى جهود الشباب المصري تنصرف إلى ما فيه خير الوطن وتحريره من الاستغلال الأجنبي وأنا واثق وقد دخنت سيجارة آمون أن جودتها ستنصرها في الميدان المصري.. **14** أكتوبر **1932** م"

3-إعلانات الكتب المدرسية الخارجية:

المثال الأول: من اللطائف المصورة في **22** يناير **1923**م وحل التمرينات الهندسية لتلاميذ المدارس الثانوية للمهندس فريد ظريفة في جزْأَين ثمن الجزء **8** قروش، لحل جميع أسئلة شهادة الكفاءة وحل جميع تمارين كتاب هندسة الحكومة وكتاب التمرينات الهندسية للأستاذ ميشيل ظريفة.

المثال الثاني: من آخر ساعة في عددها **228** في **13** نوفمبر **1938** م والمذكرات الفرنسية للمسيو ألبير فيشة لطلبة السنة الرابعة وجميع أقسام التوجيهية "حيث تشتمل على فصل خاص بجميع الموضوعات الإنشائية والتمرينات الأجرومية على

مختلف أنواعها ومع كل درس مجموعة كاملة من الأسئلة تشبه أسئلة الامتحانات وتباع ب **15** قرش صاغ شامل أجرة البريد".

4- إعلانات ثقافية:

ومن أطرفها ما كان عام **1935** م حينما أعلنت مجلة "مجلتي" لصاحبها أحمد الصاوي محمد عن جائزة قدرها "خمسون جنيهاً لأروع القصص المصري الواقعي" وقد وصفت المجلة هذا المبلغ بأنه "تضحية كبيرة" وجاء في الإعلان: "لأول مرة في تاريخ الصحافة المصرية تقوم مجلة ناشئة في أول ظهورها بهذه التضحية الكبيرة خدمة للأدب المصري العصري، وأخذ بيد كل رجل أو سيدة ينشد الحقيقة لذاتها والفن للفن.

وكان من شروط الجائزة أن تكون القصة من واقع تاريخ حياتك : حادثة مروعة أو مشوقة أو عاطفية متأججة. أما لجنة التحكيم فكانت مشكلة من: الدكتور طه حسين- الأستاذ أنطون الجميل- الشيخ مصطفى عبد الرازق- الأستاذ خليل مطران- الأستاذ توفيق الحكيم- الأستاذ إبراهيم رمزي- الأستاذ محمود تيمور..

5-إعلانات طريفة:

المثال الأول: من جريدة مصباح الشرق في **24** أغسطس **1901** م وإعلان "من خطيب عن خطيبته.. أتشرف بإعلان الجمهور وبالأخص أبناء الطوائف المسيحية من شرقية وغربية بأني خطبت فريدة ابنة المرحوم غبريال من أهالي مصر المقيمين في السكة الجديدة وسلمتها خمسة وأربعين جنيهاً لمشترى ما يلزم للفرح من مصاغ

ولباس وغيره، وكان ذلك على يد جمهور من الناس.. وقد شاع أنها خطبت لواحد آخر مع ما دفعته كما تقدم ومع أني أنفقت عليها نفقات كثيرة أخرى مدة ثلاثين شهراً في مأكل ومشروب وعليه بادرت بهذا الإعلان وأبلغت غبطة بطريرك الأقباط المكرم وحضرات المحترمين الدكتور وطسن والدكتور هرفي وأولياء المخطوبة حتى لا يقدم أحد رؤساء الدين على عقد إكليل عليها لسواي.. أيوب مقار الخياط بالعدوية ومقيم بالإسكندرية لتغيير الهواء".

المثال الثاني: ما أوردته مجلة الجديد العدد **92/51** بتاريخ م **1930/1/31** إفرنجية (الطريف خطأ المجلة في كتابة تاريخ العدد بالعربية وهو **1930/1/13**م) ونقل لوكاندة الكوارع من شارع محمد علي إلى شارع الأمير فاروق بالعتبة الخضراء بعمارة الأوقاف وقد أوجد فيها فرعاً خاصاً بالكباب والحمام المشوي مع الاستعداد العظيم لفطور الصباح وجاء الإعلان مصحوباً بصورة لمحمد أفندي يوسف صاحب لوكاندة الكوارع.

المثال الثالث: من مجلة المصور في عددها **1096** في **12** أكتوبر **1945**م ورسم لرجلين أحدهما يقول للآخر: مصيبة... الحرب خسرت كل شيء في مصر.. فرد عليه رفيقه: إلا كازينو أوبرا الأكل الفاخر أحسن مما كان والبار أحسن والبوجرام أحسن وأحسن..

المثال الرابع: عن الأحذية المصرية بمجلة اللطائف المصورة العدد **409** بتاريخ **11** ديسمبر **1922** م وتحت صورة فتاة بجوارها أحذية وضعت هذه الأبيات: "ياريتني من ضمن الفتيات.. اختارلي جوز يغنيني العمر.

أمتن جزم أحسن مودات.. أضمن من الجنيهات الحمر.

الفرمة من أحسن أذواق.. والصنعة صنعة وطنية.

تلقاها في شارع بولاق.. في الفابريقة المصرية. "فاطمة فتيحة".

6- إعلانات التكافل المجتمعي والتبرع للفقراء:

المثال الأول: من أطرفها ما نشرته مجلة الدنيا المصورة في عددها 58 في 1 مايو 1930م، مستعرضة عدداً من الصور لحالات البؤس والحفاء للنساء والأطفال في شوارع مصر تحت عنوان: "هل ترضيك هذه المناظر؟ وهل يرضيك أن يرى الأجانب أطفال مصر بهذا الشكل؟! فإذا كان هذا لا يرضيك فهل تساعد هؤلاء الصغار بنصف قرش فقط. إذاً انتظر عدد الأربعاء 7 مايو من الدنيا المصورة فهو عدد ممتاز جعلنا ثمنه 15 مليماً (بدلاً من عشرة مليمات كالمعتاد) على أن المبلغ المتجمع من هذه الزيادة يخصص كله لمساعدة اليتامى وأبناء السبيل".

المثال الثاني: إعلان من مجلة المصور: "الإنسانية تناديكم ودموع البائسين تستعطفكم لمساعدة جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية في إنشاء أكبر مستشفى خيري لمعالجة الفقراء مجاناً ولا تطلب منكم أكثر من شراء تذكرة من اليانصيب المخصص لبناء المستشفى.. ثمن التذكرة 60 قرشاً صاغاً- ثمن السدس تذكرة 10 قروش صاغ - النمرة الأولى تربح 12.000 جنيه مصري- النمرة الثانية تربح 2.400 جنيه مصري -مجموع النمر الرابحة 60.000 جنيه مصري. التذاكر تباع في جميع مكاتب البوستة بالقطر المصري وجميع البنوك وفروعها والمحلات التجارية واللوكندات الكبرى ومكتب الجمعية بعمارة المواساة بالميناء الشرقية

بالإسكندرية -السحب في أول يوليو على الأكثر" تصور يا عزيزي أن تمول أفعال الخير عبر المقامرة والحظ وهو لون من ألوان الميسر المنهي عنه.. قال تعالى في سورة المائدة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)).

7- إعلانات أغذية الأطفال:

المثال الأول: "لبن اللنبريس أحسن لبن للأطفال وبسكويت اللنبريس أحسن بسكويت للأطفال في مدة طلوع الأسنان الوكلاء والمستودع: الشركة المصرية البريطانية التجارية- 33 شارع سليمان باشا بمصر والإسكندرية نمرة 11 شارع زغلول باشا".

الطريف أن شركة طعام اللتبريس الإنجليزية (شركة ألين آند هانبوريس صاحبة المنتجين استحوذت عليها شركة جلاكسو سميثكلاين في عام 1958 وعين الباحث الإسكتلندي الصيدلي ديفيد جاك في أعمال البحث والتطوير بالشركة حتى عام 1987) صاحبة اللبن والبسكوت قد تبنت واحدة من أوائل مسابقات القراءة في مصر حيث وضعت مسابقة لكتاب بالعربية يقع في 52 صفحة ومزين ب 27 رسماً تابع للشركة عن صحة الطفل وتغذيته وحمامه والأمراض التي تنتقل عن طريق الألبان وواجبات الأم في دور الحمل وما بعد الولادة مع شهادات أشهر أطباء الأطفال في مصر.. والمطلوب من المتسابقين أن يكتب في أسطر قليلة من 20-30 سطراً مجمل استفادته من الكتاب ولم تشترط المسابقة حسن اللغة بل سلامتها مع

حسن التعبير ولضمان الشفافية طلبت المجلة من المتسابقين "إمضاء الكتابة باسم مستعار ووضع الاسم المستعار مع الاسم الحقيقي ضمن ظرف صغير يوضع في الظرف الكبير"، والجوائز هي عشرة جنيهات مصرية جائزة أولى- خمس جنيهات مصرية الثانية- جنيهان مصريان الثالثة - والمراكز التالية ما قيمته جنيه واحد من طعام وبسكوت اللنبريس، وذلك بحسب مجلة المصور في **13** فبراير **1930** م أثناء شهر رمضان...

طبعاً هذا الزمان هو زمن الكتب الطبية المتخصصة والعلمية الثرية بحق خاصة المترجمة والتي وللأسف الشديد غابت الآن عن مجتمعاتنا وأصبحت حكراً على بعض الهواة قليلي المعرفة بالمستجدات أو الصفحات الإلكترونية التي تبحث عن الشهرة دون جودة المحتوى أو البرامج التليفزيونية التي تستضيف القادرين على الدفع المالي أو أصحاب الشهرة لحصد المشاهدات!

ومن المفيد أن نشير لكتابين ضمن ما عثرت عليه في رحلتي من كتب نادرة.. الأول: كتاب "مرآة المرأة وضع الدكتور الإنكليزي المشهور آرثر البت الحاصل على كثير من الميداليات ودبلومات الشرف وعضو في الجمعيات الطبية بأثينا وأبورتو ونيويورك ومدريد إلخ. ترتيب وتعريب السيد محمد منيب الحاصل على دبلوم من كلية ستي وجلنز بلندن وعلى درجة من جامعة لندن- طبع بالمطبعة العمومية بطنطا بشارع القاضي قرب البنك الشرقي الألماني - الطبعة الأولى **1913**م" ويتناول الكتاب موضوعات مثل: (بلوغ البنت-نبذة في الزواج -علامات الحمل- صيانة المرأة الحامل لصحتها- عوارض الحمل ومعالجتها- إسقاط المرأة - الولادة وما بعد الولادة- رضاع الطفل وتربيته- علل الحمل ومعالجتها- متى يستحب منع الحمل-

كيفية منع الحمل) ومن نماذج نصائح الكتاب المهمة مثلاً: عند بلوغ البنت الرابعة عشرة وجب على الأم التحدث معها عن التغيرات الطبيعية المشرفة عليها وتشجيع البنات على الكلام مع أمهاتهن أو من ينوب عنهن في تربيتهن "فالنصيحة الطيبة الصحيحة الصادرة من والدة شفيقة عاقلة في مثل هذا الوقت قد تساعد كثيراً في منع الشر والخطر، وربما كانت هي الواسطة في تخليص البنت من كثير من الضرر". والطريف في الشق العلاجي هي كيفية تحديد المقدار أو الحجم بالقياس للنكلة فمثلاً حينما وصف لعلاج عوارض الحمل كالقيء، أشار بشراء القليل من أكسالات السيريوم (**cerium oxalate**) وإضافة ما يمكنها إضافته إلى قطعة الاثنين مليم (نكلة) مع قليل من الماء وتستعطى ذلك ثلاث أو أربع مرات يومياً ليكون مفعوله لطيفاً حسناً، وإذا كان القيء شديداً فلا بأس من الاستراحة على الكنبة أو السرير لأنها مفيدة في مثل هذا الوقت.

طبعاً حينما أسوق بعض الأمثلة من هذه الكتب الطبية القديمة، فالمغزى هو الطرافة والوقوف على طريقة التفكير قديماً لا الاسترشاد بها حالياً، فمثلاً أكسالات السيريوم التي تحدثنا عنها في المثال كمضاد للقيء في الحوامل كانت تستند لدراسات زمنها وأحدثها **1909** م، وميكانيكة عمله غير واضحة وإن كان يغلب عليها أن تكون ذات تأثير موضعي على الجهاز الهضمي، لكن صعوبة امتصاصها عن طريق الفم علاوة على انخفاض قابلية ذوبانها في الماء جعل استخدامها كمضاد للقيء يهجر لصالح مضادات الهيستامين التي حلت محلها، وأصبح استخدام أملاح السيريوم موضعياً لتأثيرها المضاد للبكتيريا في الحروق.

ما زلتُ أتذكر أحد باعة الكتب القديمة وكان يرتب فرشة كتبه بالقرب من المستشفى الذي أعمل به، وكنت زبوناً يومياً لديه، وفي إحدى المرات ألح عليّ أن أشتري كتاباً علمياً باللغة العربية يرجع إلى عام **1982**م فشكرته مراراً لعدم حاجتي له، لكنه عاد ليذكرني بقيمة الكتب التراثية القديمة، فحاولت أن أبين له أن هذا لا ينطبق بأي حال على الكتب العلمية، فكلما اشتدّ قدمها كلما قلت أهميتها ودخلت في دائرة تاريخ العلوم لا التطبيق والاستخدام وعلى أية حال فكنت أحب الرجل في الله.. رحمه الله واشتريت الكتاب وأودعته مكتبتي..

الثاني: كتاب "نصائح للأمهات نقله إلى العربية الدكتور فريد عبد الله طبيب العيون بمستشفى بروسيا بمصر **1909**م" وقد "أعيد طبع هذا الكتاب الطبي العظيم (مطبوع بمطبعة مصر بالفجالة) في الأصل **16** مرة وطبع منه في المرة الأخيرة **3** آلاف نسخة لانطباقه على حاجات الجميع.

ومن النصائح بالكتاب: ما يجب على الأم ملاحظته لحفظ صحة طفلها في دور طفولته الأولى ويجملها في خمس مسائل مهمة: " **1**-الماء العزير **2**- اللبن الحديث الكثير الموافق لقوته الهاضمة (ويغذى بلبن أمه مدة السنة أو التسعة أشهر الأولى إذا أمكن) **3**-الهواء النقي الكثير **4**-ضوء الشمس الكثير **5**-النوم الغزير.. خمسة أمور أساسية إن نقص أحدها ساءت صحة الطفل".

المثال الثاني: "أمر يهم الأمهات جميعاً. إن الشهرة التي حازها دريكو (اللبن الأمريكي المتجمد الممتاز) لم تكن حتى الآن إلا نتيجة شهادات الأطباء الذين يصفونه للأطفال والأمهات اللواتي استفاد أطفالهن من تعاطيه فائدة كبيرة.. لا تستعملوا إلا اللبن المتجمد دريكو لتغذية أطفالكم.. يباع في كل مخازن الأدوية المشهورة".

والمثالان من مجلة الدنيا المصورة في عددها 24 في 30 أكتوبر 1929م.

****

الفصل السادس

من قصاصات كتب وصحف زمان

1-جنازات موسيقية:

في نوفمبر 2014 م شيعت جنازة الفنانة الراحلة صباح على أنغام موسيقى الدبكة اللبنانية والزغاريد مع فرقة موسيقى الجيش حيث وصل الجثمان إلى كنيسة القديسة تريزة بمنطقة الفياضية بلبنان للصلاة عليها، ثم ورت الثرى في مدافن أسرتها بمسقط رأسها "بدادون"..

ربما يبدو شكل التشييع بالموسيقى غريباً، ولكن لنا مع التاريخ جنازة مشابهة وهي جنازة وجيهة هانم بنت محب باشا (تحدثنا عن مقتلها في كتاب صفحات من التاريخ الأخلاقي بمصر) والتي لاقت مصرعها عام 1928 م وبحسب مجلة المصور في عددها 217 فقد خرج الجثمان من المستشفى الذي حنطت فيه الجثة في مدينة فيينا وسار خلف النعش سعادة محب باشا الوالد المكلوم ومحمد سرور بيك قنصل مصر وجمهور من الطلبة المصريين ارتدى بعضهم الطرابيش إبرازاً للهوية المصرية.. الطريف أن عدم وجود إمام في فيينا دفع المنظمين لتشييع الجنازة بلحن من ألحان شوبان الحزينة، عزفه أفراد الجوقة الموسيقية في دار الأوبرا بفيينا وتقرر أن يصلى على الفقيدة عند وصول جثمانها لمصر.. وسبحان من له الدوام.

2- قدم ساعتك من فضلك!

من الموضوعات التي دائماً ما تثير نقاشات المصريين بين معاضد لها ومناهض مقترح التوقيت الصيفي وتقديم الوقت لساعة واحدة.

بحسب مجلة المصور في 19 يوليو 1940 م فقد كان أول من تقدم بهذا المقترح النائب طاهر بيك اللوزي في مجلس النواب، وأخذت به الحكومة آنذاك لتوفير استهلاك الوقود بين 15٪-20٪ مراعاة لظروف الحرب العالمية الثانية وقتها، وجاء أمر حسن صبري باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكري فقدمت الساعات في جميع أنحاء القطر المصري ستين دقيقة وحدد الأمر آخر سبتمبر نهاية للتوقيت الصيفي لكن اللوزي كان يرى في وجوب أن يمتد لآخر أكتوبر أو نوفمبر ومن وقتها، وأصبحت الحكومات تتلاعب في عقارب الساعة.

الطريف أن حسن صبري باشا توفي بعد شهور قليلة من هذا القرار في قاعة البرلمان أثناء إلقائه خطاب قبوله وشاح محمد علي الأعظم، أعلى تكريم في مصر وتعتبر وزارته من الوزارات قصيرة العمر في تاريخ مصر في الفترة من 27 يونيو 1940 إلى وفاته في 14 نوفمبر 1940.

3-صاحب الأوقاف العظيمة

بعد صدور كتابي تاريخ (حائر بين بان وآن) طالبني بعض السادة القراء بأن أفصّل لذكر قاسم بيك رسمي، والذي تعرضت لذكر قبره تحت عنوان "لا تزعج الموتى" نظراً لعدم وجود أي معلومات عنه تقريباً على محرك البحث جوجل.

قاسم رسمي باشا كان من أهالي جزيرة كريد (أكبر جزيرة في البحر الأبيض وتسمى كريت أو أقريطيش كما كان يسميها العرب) جاء إلى مصر في عهد محمد علي باشا الكبير حيث أتاحت النهضة التعليمية في عهد الأخير للكثيرين الالتحاق بالمدارس المصرية مجاناً فتلقى الفنون العسكرية وبرع في فن الطوبجية فدرسها بشكلٍ وافٍ في مكتب الطوبجية بطرة.

تخرج عام **1834**م وكان في معية إبراهيم باشا وعلا شأنه في عهد الخديوي إسماعيل.. تقلّد وظائف حكومية هامة طيلة أربعين عاماً، فكان ناظراً لديوان الجهادية، ومديراً لبعض الأقاليم ومفتشاً عاماً للوجه القبلي، وناظراً للخاصة، ومديراً للدائرة السنية، ومحافظاً للقاهرة...

كان له دور كبير في فتح أكثر الشوارع التي تم تنظيمها في عهد الخديوي إسماعيل، وكان يلجأ لحيلة مؤسفة لإجبار الأهالي على التخلي عن منازلهم فكان يرسل أعوانه ليلاً للبيوت المستهدفة في التوسعة لإحداث ثغرات بها، ومن ثم تغدو آيلة للسقوط فيسهل مساومة أصحابها وتخليهم عنها دون معارضة.

وفي امتحاناته للضباط أثناء توليه نظارة الجهادية كان يميل للاختبارات العملية فيعد تماثيل صغيرة تمثل الجنود والمدافع ويبسطها أمام الممتحن ويأمره أن يرتبها تبعاً لحركات الهجوم والدفاع ويناقشه خلال ذلك. كانت آخر مناصب قاسم باشا رسمي منصب رئيس مجلس شورى النواب في الفترة من **28** مارس **1878**م-**21** أبريل **1878** م حيث جاءت وفاته خلال انعقاد الدور وعين الخديوي للرئاسة جعفر مظهر باشا والطريف أنه مات في العام نفسه أيضاً.

عاش قاسم باشا سبعين سنة ولم يخلف عقباً وتوفي كما أشرنا آنفاً وذلك عام **1878**م بمنزله بمنيل الروضة تاركاً وقفاً كبيراً ينفق في وجوه الخير، يتألف من دارين الأولى دار منيل الروضة بحديقة تبلغ ثلاثة أفدنة وربع الفدان، ودار بسوق السلاح بقسم الدرب الأحمر (يقال: إنّ السبب في تسميتها يعود لمذبحة المماليك وقيل: إنّ الاسم أسبق من ذلك وقيل نتيجة لاشتغال بعض أهل المنطقة بالنحاس الأحمر على غرار منطقة الدرب الأصفر منحر ذبائح الفاطميين في الماضي وتقع بشارع المعز وسميت نسبة للنحاس الأصفر) ومساحتها **2045** م واستأجرها أمراء دارفور من الحكومة المصرية، كما تضمن الوقف ألفاً وثلاثة وخمسين فدان وأربعة عشر قيراطاً بمركز السنبلاوين بالدقهلية وخمسمائة وثمانية وثلاثين فدان، وثلاثة وعشرين قيراطاً بشبين الكوم وتلا ومنوف.

4-مؤتمر للأخلاق

بالتأكيد نحن بحاجة للأخلاق وأحوج إلى أن تجتمع بلداننا من أجل وضع مواثيق للعمل الأخلاقي المبني على تحكيم الدين وضوابطه فالدين هو ينبوع الأخلاق بلا منازع والحنين إلى الأخلاق فطرة أودعها الله البشر ولا يأباها من كان لديه مثقال ذرة من ضمير.

في الماضي كان الدين أداة لترسيخ سلطة الحاكمين، فكان يطوع بصورة أفرغته من قيمه وفضائله وجعلت من الفقهاء والعلماء حاشية تلبي للحكام مطامعهم وتزين للناس أخطاءَهم، وتقدم تبريرات لها من الشرع الحنيف لا أساس لها سوى اتباع الهوى والسعى وراء مقاصد الدنيا ونسيان الآخرة.

ومع الزمن جدب العلماء وقلوا ومنهم من اختار العزلة طوعاً وضعفت شوكتهم وتعالت أصوات السفهاء بالنيل منهم والاستهانة بكل ما هو ديني وبضعف الدين في نفوس الناس أصبحت الأخلاق غريبة في عالم تسوده تعاليم القوة والأصوات الصاخبة.

ورغم تعدد الجمعيات الأهلية وأهدافها المعلنة نحو التكافل الاجتماعي لكن في ظل غياب الأخلاق يصبح عملها مشوباً بالفساد أحياناً وبالتنافسية غير الشريفة أحياناً أخرى ونحو مظلة جامعة لهذه الجمعيات لابد من عودة كل ما هو أخلاقي ليعود الضمير في نفوس الناس ينبض من جديد ويحكمون أخلاقهم في كل ما يفعلون.

في **28** و**29** نوفمبر **1935** م عقد مؤتمراً للشباب الأخلاقي برئاسة محمد علي باشا علوبة وقد أوضح في كلمته أمام الحضور أنه ترك الأحزاب، لكن لن يترك السياسة لأن السياسة البعيدة عن الحزبية هي السياسة الوطنية الخالصة لوجه الله والبريئة من أدوات التخريب فهي متجهة حتماً إلى ما يفيد الوطن داعياً إلى توحيد الجمعيات الكثيرة الموجودة في البلاد سواء جمعيات أخلاقية أو اجتماعية أو أدبية حتى تكون كلها جمعية كبيرة منتشرة في القطر ولها فروع كثيرة.

فهل نكرر هذه التجربة بشكل أوسع وأشمل وأعظم وبوتيرة زمنية منتظمة.

وحري بنا قبل أن نغادر هذا المبحث أن نسلط الضوء على دور علوبة باشا في التصدي للأفكار المنحرفة حينما كان سفيراً لمصر في باكستان، حيث رفض التصريح بدخول مصر لأحد مبعوثي "ميرزا بشير أحمد" أحد دعاة "القاديانية" في الهند وباكستان والذي ادعى أنه نبي القرن العشرين ويسعى لبناء كعبة جديدة ومؤسس

هذه الجماعة الضالة هو "ميرزا غلام أحمد" الذي ادعى أنه نبي غير مشرع أوتي كتاب مقدس من عشرة آلاف آية، وأنه استكمال لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ذلك أن النبي محمد هو خاتم الأنبياء، ولكنه ليس آخرهم متخذاً من مدينة "قاديان" مكاناً مقدساً باعتبارها مهبط الوحي عليه، وأنها كانت في الماضي ملاذ المسيح عيسى عليه السلام، وقد بلغ الثمانين من عمره وانتقل منها لكشمير لتعليم الإنجيل.

5-لغة الباشا بعافية!

يعاني الكثير من المصريين من ضعف مهارات التحدث بالإنجليزية على الرغم من أن تدريس اللغة الإنجليزية في مصر يبدأ في مرحلة مبكرة من التعليم، إلا أنه لا يؤتي ثماره في إتقان مهارات التحدث وسلامة مخارج الألفاظ لاعتماد المناهج على الجانب النظري دون الممارسة الفعلية.. حدثني صديق لي وكان قد التحق بأحد المستشفيات للعمل بالجودة، وكانت الاجتماعات التي تجمعه برؤساء الأقسام ومالكي المستشفى لزاماً أن تكون بالإنجليزية ونظراً لتواضع لغته فقد كان يجد صعوبة في البداية في مجاراة الاجتماعات خاصة وأنّ التمريض كان أجنبياً بالكامل وترأسهم رئيسة التمريض، تعمل بدون ترخيص مزاولة والظريف أنّ أصحاب المستشفى جميعاً لم يتموا المرحلة الجامعية وكل ثقافتهم لا تتعدى بضع كلمات إنجليزية وإيماءات برؤوسهم استحساناً للخطاب الإنجليزي الرنان، لكنهم وضعوا قواعد للاجتماعات أن تكون لغتها الإنجليزية دون لفظة عربية واحدة!

ومع دخول المستشفى للاعتماد وكان صاحبنا متصدراً المشهد لعرض مؤشرات الأداء ومشاريع التطوير وإدارة المخاطر كان أصحاب المستشفى يستجدون لجنة الاعتماد أن يكون حديثهم بالعربية وصاحبنا يضحك بين ثنايا نفسه.

لكن يبدو أن المسألة لها جذور من الماضي ففي مجلة آخر ساعة المصورة العدد **114** في **13** سبتمبر **1936** م، تحدثت المجلة عن أن محمد محمود باشا أمضى المعاهدة باللغة الإنجليزية ولا يعترف إلا بهذه النسخة رافضاً وحدة الصيغة العربية على الرغم من موافقة زعماء أحزاب الأقليات وتنقل المجلة عن حافظ عفيفي باشا أن دولة الزعيم لا يعرف الإنجليزية كما يجب أن يعرفها من يفخر أنه من خريجي أكسفورد، وأن الأونورابل سيسل كامبل هي التي كتبت خطاباته ومذكراته التي تبادلها مع مستر هندرسون! والجدير بالذكر أن محمد محمود باشا من أوائل الخريجين المصريين من جامعة أكسفورد كما حصل على لقب دكتور فخري في القانون الدولي منها، وقد حملت مجلة المصور في عددها **247** في **5** يوليو **1929** م، صورته مع سكرتيره الأستاذ كامل بيك عبد الرحيم في حديقة دار المفوضية المصرية بلندن قبل الحفلة العظيمة التي أقامتها جامعة أكسفورد له في **26** يونيو بمناسبة منحه اللقب.

6-الملك والمسرح

في العدد **118** من مجلة آخر ساعة في **11** أكتوبر عام **1936** م، سجلت المجلة المرة الأولى التي يشاهد فيها الملك فاروق التمثيل العربي حيث حضر فاروق حفلة المواساة التي مثلت فيها جماعة أنصار التمثيل والسينما رواية (إنقاذ ما يمكن إنقاذه) اقتباس الأستاذ سليمان نجيب سكرتير وزير الحقانية والطريف أن سليمان

نجيب اقتبس هذه العبارة من خاله أحمد زيور باشا والتي قالها عقب حادثة مقتل السردار عام **1924** م (راجع تأملات بين العلم والدين والحضارة الجزء الأول).

الرائع في سليمان نجيب حقاً هو أنه كان يستوحي أعماله من واقعه المحيط فمثلاً القصة التي كتبها تحت عنوان (مات) والتي تحدثت عنها في كتاب نوستالجيا الواقع والأوهام اكتشفت وأنا أقلّب في أرشيف مجلة آخر ساعة لدي أنها قصة حقيقة حدثت بالفعل لأخيه حسني نجيب بيك مدير الإذاعة عام **1927**م، وذلك بحسب مجلة آخر ساعة في عددها **842** في **13** ديسمبر **1950**م.

نعود لحفل الملك والذي نظمه أحمد حسنين باشا، وكان ضمن وفد جماعة أنصار التمثيل الذي تشرف بمقابلة جلالة الملك بملابس التمثيل: سليمان نجيب ومحمد كريم ومحمد عبد القدوس وتوفيق المردنلي والآنسة أمينة رزق وقد عبر الملك فاروق عن سروره قائلاً: "أنتم الليلة رفعتم رأس مصر في التمثيل صحيح أهنيكم جداً".

الطريف أنّ الاقتباس في حياة سليمان نجيب الأدبية أوقعه في سجال فكري مع الكاتب محمد التابعي والفنان يوسف وهبي على صفحات مجلة آخر ساعة ففي العدد **604** في **22** مايو **1946** م من المجلة كتب سليمان نجيب مقالاً بعنوان "كلنا لصوص ولكن" في معرض الرد على مقال نقدي نشره التابعي حول فوضى الاقتباس في السينما والمسرح في مصر في أعقاب عرض فيلم الماضي المجهول لأحمد سالم والذي تبين أنه مقتبس من فيلم أمريكي هو "عودة الأسير" وتضمن مقال التابعي مطالبة لبعض كتاب المسرح ومنهم سليمان نجيب بأمانة ذكر المصدر المقتبس عنه

أعمالهم... جاء رد سليمان نجيب في مقاله أن الاقتباس مبعثه غياب الكتاب المصريين الكبار عن الكتابة للسينما وأنه يتوخى الحرص في مسألة الاقتباس فهو لا يقول إنّ القصة من تأليفه أو بقلمه إنما يقول إنّ فكرتها مقتبسة من رواية "فلان" بعد استئذانه... الطريف أنّ سليمان نجيب بحسه الفكاهي اللاذع أدخل يوسف وهبي إلى السجال حينما اتهمه بأنه اقتبس أو "لطش" روايته (المشكلة الكبرى) والتي ترجمها سليمان نجيب من الإنجليزية دون أن يشير إليه وحولها إلى فيلم منذ سنتين و"كسب منها ما كسب"... سرعان ما جاء رد يوسف وهبي سريعاً ومركزاً في العدد التالي **605** في **29** مايو من العام نفسه، حيث كتب "لسنا لصوصاً يا سليمان بيك نجيب" مطالباً إياه بإبراز ما يثبت أنه استأذن صاحب الرواية الأصلي كما وضع سليمان بيك بين خيارين إما أنه "ضعيف الذاكرة أو مغالط إلى حد المبالغة" مذكراً إياه أنه قام بالفعل باستئذانه في اقتباس الفكرة "فأذنت لي عن طيب خاطر"، وتم وضع اسمه بالفعل على شريط السينما! وأنّ الاستعانة بفكرة رواية "المشكلة الكبرى" في فيلم (عريس من إستانبول) الذي أخرجه وكتب له السيناريو والحوار يوسف وهبي لا يعدو كونه "ظلاً ضئيلاً من هيكل القصة" والتأليف السينمائي بالفيلم والحوار والحوادث لا تمت لها بصلة..

7-من أغرب العناوين

المثال الأول: من أغرب عناوين الكتب وقد يمثل في فن بيع الكتب حديثاً "الصدمة" التي تثير فضول القراء وتدفعهم لاقتناء الكتب ولا أعتقد أن صاحبه كان يبغي من ورائه أن يجني مالاً أو شهرة وقد اختار أن يضع حرفين من اسمه على

الغلاف إنه كتاب "عشق المرحوم مصطفى كامل باشا وأسماء عشيقاته بقلم أ.ف.... مطبعة المعارف أول شارع الفجالة -مصر -فبراير **1908** م".

غلاف الكتاب حمل اقتباسين: الأول "من عشق فعف، ثم مات، مات شهيداً (حديث شريف)" وطبعاً هذا يبرز تواضع ثقافة المؤلف الدينية فالحديث في لفظه وألفاظ أخرى موضوع ولا يصح نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم. والثاني: "كان للمرحوم مصطفى كامل باشا بين جنبيه قلب خفاق ككل إنسان وجنان يهتز وأي جنان فكان له أن يعشق وأن يحب ويهيم ويتغزل ويذوق في الحب العذاب الأليم (المؤلف).. طبعاً الغلاف يوحي وأننا قادمون على نيران ملتهبة من العشق ولكن الحقيقة وملخص الكتاب وهو **151** صفحة في عبارات نسبها المؤلف لمصطفى كامل باشا وأنه كتبها على فراش المرض في يوم وفاته **10** فبراير **1908**م يقول فيها: "فأما شارع عابدين فأعشق فيه الأريكة الخديوية الكريمة والقسطنطينية فأعشق فيها الخلافة الإسلامية العظيمة وكنت أعشق في باريس الحرية الغالية الثمينة ومع ذلك فعشقي لك هو الأول والأخير، والذي عشت به وأموت الآن عليه يا "عزيزتي" مصر.. الشهيد مصطفى كامل وانتهى الكتاب بـ "مات صاحب اللواء فليحيا اللواء.. مات الرئيس فليحيا الرئيس".

طبعاً أنا لا أستطيع أن أمر أمام هذه العبارات مرور الكرام فالمعروف أن العلاقة بين مصطفى كامل والخديوي عباس حلمي الثاني قد ساءت والدليل ما كتبه الفقيد إلى شقيقه علي فهمي في **13** سبتمبر **1904** قائلاً: "إني يا أخي قرفت من خدمة هذا الرجل، ولذلك تراني مصمماً قطعياً على الانفصال عنه نهائياً، ولو صرت مكبلاً في

الديون". وهو ما يجعلني متشككاً في صحة ما نقله المؤلف المجهول علاوة على أن المنطق يفرض عدم معقولية كتابة هذا الغزل الذي لا يخلو من أغراض دنيوية والرجل قاب قوسين أو أدنى من ملاقاة ربه.

المثال الثاني:

"مذكرات راقصة" بقلم الفنانة فكرية علي، وبحسب إعلان الكتاب في العدد **41** من مجلة أهل الفن بتاريخ **22** يناير **1955**م، فقد جاء تقديم الكتاب ككتاب فضائحي وبالأسماء على النحو التالي "أول كتاب من نوعه يتحدث عما يجري في الكباريهات من المضحكات والمآسي وعن أصحاب وصاحبات الصالات والكباريهات! (بديعة مصابني-ببا عز الدين -انصاف ورتيبة رشدي-فتحية محمود - إحسان عبده- مرسي سعد الدين -يوسف عز الدين -صفية حلمي) وعن مديري هذه المحلات وفضائحهم وأسماء زبائن الفتح- محامي يدير كباريه- يصدر قريباً بالصور- تحجز النسخ من مطبعة وكالة مصر للصحافة **24** عماد الدين والثمن **10** قروش". هل صدر هذا الكتاب بالفعل أم كانت مجرد تصفية حسابات بين الراقصة وبعض الأشخاص... لا أملك إجابة في حدود بحثي المتواضع أو ضيق الوقت للبحث في مثل هذه الأمور غير النافعة.

8-آثار تائهة

في مجلة المصور في عددها **1178** بتاريخ **25** إبريل **1947** تحت عنوان "لكل من هذه التحف قصة" تحدثت المجلة عن انتقال عرش محمد علي باشا إلى ملكية أحد الأفراد

وذلك عبر مزاد عمومي وتبدي المجلة دهشتها كيف بيع في مزاد عام؟! وأن الملك فاروق اشتراه ورممه واسترد رونقه وصار في قصر الطاهرة.

إجابة سؤال المجلة ربما تقبع في عدد أقدم من المجلة وذلك في عدد المصور بتاريخ **4** سبتمبر **1936** في تحقيق بعنوان "جولة في متحف الشمع" ويتضح منه أن كرسي العرش الذي كان يجلس عليه محمد علي وهو من الخشب المذهب اشتراه فؤاد عبد الملك مؤسس متحف الشمع المصري وجمعية محبي الفنون الجميلة، ثم قرر بيعه ليشتريه فاروق.

بعد الثورة انتقل هذا العرش إلى قصر الجوهرة بالقلعة وعليه التقط الملاكم العالمي محمد علي كلاي صورته الشهيرة.

9-محاضرات قيمة

كم اغتبطت دولاً عربية كثيرة حولنا فعلت منصات إلكترونية لنشر الثقافة الجماهيرية وتقديم محاضرات قيمة.. وفي هذه النقطة تحديداً أرى أن تاريخ مصر كان أفضل من حاضرها اليوم.. فلو عدنا للوراء لوجدنا كماً هائلاً من المحاضرات المتخصصة والعامة يلقيها أساتذة كبار على الجمهور وتغطيها الصحف والمجلات وتفرد لها الصفحات.. من منا لم يسمع عن شخصية كشكش بيك عمدة كفر البلاص التي قدمها الريحاني على مسرحه دون أن نعرف معنى الاسم وتأصيله من قبيل الفضول العام، فنجد العلامة أحمد زكي باشا يلقي محاضرة في المجمع العلمي المصري باللغة الفرنسية في **3** فبراير **1930** م وتنشرها مجلة مصر الحديثة المصورة في **19** فبراير عام **1930** م باللغة العربية وفي بحثه عن المعنى اللغوي للكلمة نجده

يرجع للسان الدارج وليس للقواميس اللغوية فكلمة (كش) تشير لاقتراب الخطر في رقعة الشطرنج وأصلها عند الفرس (كوشت) ونقلها العرب بكسر الكاف وبتر التاء ومن العرب حرف "الفرنساويون" هذه اللفظة وجعلوها "أشيك" للدلالة على اللعبة كلها.. ويشير العلامة أحمد زكي باشا إلى أن استعمال "كش" منفرداً يدل على الزجر والوعيد والخطر والتهديد بينما استعماله مزدوجاً "كش كش" يشعر بالتلطف والتعطف والتودد والتزلف ويضرب مثالاً على أصل هذه الشخصية من التاريخ بضابط في الأسطول المصري اسمه "كوشك" علي بيك أي علي بيك الصغير، سكن الإسكندرية بعد أن أحيل للمعاش وكان من طبعه العطف على الكلاب وإطعامها الحلوى والسكاكر فالتفت حوله وبهذه المناسبة حدث التحريف باسمه ليغدو الأميرالاي كشكش بيك.

كانت المحاضرات قديماً تظهر في صورة هدية مع العدد مثل عدد مجلة المصور **675** في **17** سبتمبر **1937** م ومحاضرة فكري أباظة الصحفي الكبير.

10- ومن رحم الصواعق تتأتى المنافع:

ينطبق هذا المثل على كثير من القصص التاريخي في الماضي ومن الأمثلة الطريفة:

المثال الأول: الفلاح والباشا.

نقد شديد لحكومة رياض باشا رفع صاحبه إلى المراتب العليا هذا تماماً ما حدث مع الفلاح القروي حافظ القرآن الفتى "إبراهيم الهلباوي" الذي خطر له أن يهاجم رياض باشا قبيل الثورة العرابية وكان الأخير في عنفوان قوته ومعلوم عنه قسوته وشدته وعدم تقبله للمعارضة وقد اجتمعت في قبضته كل الصلاحيات والسلطات

مدعوماً من الدول الأوروبية الدائنة واشتهر عنه أنه لا يسلم على وزرائه إلا بأحد أصابعه دون أن يتحرك.. استدعى رياض الفتى الجريء الهلباوي ليمثل أمامه مكبلاً بقطع من الخشب (لم تكن القيود الحديدية قد عرفت) وكانت المرة الأولى التي تطأ فيها قدما الفتى القاهرة.. بادر رياض باشا بسؤال الفتى عن باعثه للنقد فقال الهلباوي: اتباعاً لسبيل الحق فغضب رياض باشا واحتدّ قائلاً: "طب استنى أنا حخرب بيتك"... فرد الهلباوي بلهجته الريفية: "ما تجدرش".. دهش الباشا وقال:"إزاي؟!".. قال الهلباوي: "لا أنت ولا ربنا كمان؟!" زاد اندهاش الباشا ولم يطفئ هذا الاندهاش سوى استطراد الفتى قائلاً: "أنا ماليش بيت علشان تخربه".. شجاعة الفتى الفطرية دفعت الباشا لاستخدامه فاستدعى سكرتيره إبراهيم باشا ممتاز، وأوكله أمره والاعتناء به وتغيير هيئته الريفية إلى الزي الإفرنجي وأعطاه خمسة جنيهات.

أتى الهلباوي في المقابلة الثانية في غير هيئته الأولى مهندماً بالزي الإفرنجي، لكن لازال على سجيته الريفية وطريقته العفوية فلم يراع البروتوكولات وجلس دون أن يأذن له رياض باشا فغضب الأخير أشد الغضب وراح يعنفه بشدة، فإذا بالهلباوي يقول له: "أنا نضيف وأنت نضيف.. احنا الاتنين نضاف ما نجعدش ليه مع بعض" فانفجر الباشا ضاحكاً وعيّنه محرراً بالوقائع المصرية براتب أربعة جنيهات ومن هنا كانت البداية وبدأ الهلباوي حكاياته في التاريخ وذلك بحسب مجلة كل شيء والعالم العدد **205** في **13** أكتوبر **1929**م.

ولمزيد من الاطلاع عنه يرجى العودة لكتبي على هامش التاريخ والأدب، وتاريخ حائر بين بان وآن، ورواق القصص الرمضاني.

المثال الثاني: الرائد والكوليرا

بحسب كتاب تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر (الجزء الثاني) لجورجي زيدان **1902**م كانت مشكلة على مبارك مع التعليم هي خشونة المعلمين وقسوتهم مما دفعه للفرار منه مرات ومرات.. كانت بداية تعليمه القراءة والكتابة على يد رجل أعمى من قريته (برنبال) والتي كانت تتبع مركز دكرنس محافظة الدقهلية، لكن ظروف عمل والده أدت إلى انتقال العائلة لعرب السماعنة بالشرقية وهناك ختم القرآن على يد الشيخ أبي خضر في عامين لكن قسوة الشيخ وضربه له مراراً جعله يرفض العودة له مجدداً، بل ويهجر الفقه وعلومه ويتجه للكتابة وعهد به أبوه إلى "صديق يتعاطى الكتابة في القسم بناحية الأخيوة" فحدث أن "سأله مرة كم يجمع الواحد والواحد، فأجابه «اثنين»، فضربه بمقلاة البن فشجَّ رأسه" وذلك في جمع من الناس فشق ذلك على نفس الفتى ولما شكا لأبيه لم ينصفه، فعظم عليه الأمر واختار الفرار إلى المطرية جهة المنزلة ليقيم لدى خالة له وهروباً من أسرته ومن التعليم.

لكن الأقدار كانت تخبئ له شأناً وأي شأنٍ! ففي الطريق أصابته الكوليرا وكاد يهلك فرق له أحد الناس وحمله لبيته في قرية (صان الحجر) حتى تماثل للشفاء، وكان يدعي أنه يتيم الأبوين لكنَّ والده وأخاه تمكنا من العثور عليه قبل أن يفر من القرية ليعود مجدداً لرحلة التعليم وتعهده والده بتعليمه القراءة، ثم جعله مساعداً لأحد الكتاب في القسم نظير راتب خمسين قرشاً، لكن الكاتب لم يعطِه قبضة، فقرر أن يأخذه بنفسه وحدث "أنه أُرْسِلَ يوماً لقبض حاصل بعض القرى، فقبّضه وأبقى معه من المقبوض استحقاقه من الراتب وأرسل الباقي" فغضب عليه الكاتب

ووشى به لدى جامعي الأنفار للعسكرية فقبضوا عليه لكن سرعان ما أفرج عنه بعد سعي والده لدى محمد علي باشا.

ثم التحق بالعمل كاتباً لدى (عنبر أفندي) مأمور زراعة القُطن في أبي كبير وكان حبشياً مما أثار اندهاشه، فمثل هذه الوظائف كانت حكراً على الأتراك، ثم تبين له أن السر يكمن في مدرسة القصر العينيّ والتي تُعلِّمُ الخط والحساب واللغة التركية، وبالتالي تفتح أمام منتسبيها الأبواب لشغل هذه المناصب العليا، ولما كان الالتحاق يستلزمه الوسائط مما يستعصي على قروي مثله إلا أنه وجد ضالته في بوابة خلفية للالتحاق هي مدرسة الخانقاه والتي ينتخب من بين طلابها من يلتحق بمدرسة القصر العيني وتحقق مراده والتحق بمدرسة الجهادية بالقصر العيني وعمره اثني عشر سنة، وكانت مدرسة داخلية ذات نظام عسكري صارم وتحمل هناك سوء المعاملة والطعام القبيح ومما زاد عليه أن أصابه الجرب! وتشاء الأقدار أن يخصص محمد علي باشا مدرسة القصر العيني لتعليم الطب ونقل طلبتها الحاليين ومن بينهم "علي" إلى المدرسة التجهيزية بأبي زعبل وهناك تأثر بأسلوب ناظر تلك المدرسة المرحوم إبراهيم بيك رأفت في شرح الدروس الرياضية التي كانت مستعصية على الفهم في تلك الآوانة كالطلاسم، وكانت طريقته هذه "باب الفتوح عليَّ" بحسب ما كتب علي مبارك عن قصته.. والواضح أن هذه الطرق المبسطة قد تركت في نفسه أثراً وأصبحت وسيلته في تعليم الأجيال القادمة علوم الهندسة كالعصا والحبل وكان يدرس في الخيام ويخط على التراب، ويكتب بالفحم على البلاط كما سنرى لاحقاً.

التحق صاحبنا بمدرسة المهندسخانة في بولاق لمدة خمس سنوات وكان ناظرها مهندساً فرنسياً هو "يوسف لامبيز بيك" وسافر إلى باريس ضمن البعثة التي أرسلها

محمد علي باشا وضمنها بعض من أنجاله وأحفاده ومن حسن طالع صاحبنا أن كان منهم إسماعيل باشا الذي سيغدو خديوي مصر كما سنرى بعد ذلك.. في عهد الوالي عباس حلمي الأول تم استدعاء البعثة ومن ضمنها صاحبنا وقد رقاه عباس لرتبة يوزباشي وأُلحقه بالجيش المصري وانتدبه بلجنة الامتحانات التي عينها لاختبار مهندسي الأرياف ومن فرط ثقته به أوكل إليه نظارة المدارس ولما ولي سعيد باشا حكم مصر غضب على "علي" بفعل الوشايات ففصله من نظارة المدارس، وكذلك العسكرية وعاد الرجل إلى نقطة الصفر مجدداً وضاقت أحواله إلى درجة استعداده أن يعمل مدرساً في النظارة التي كان مديرها بالأمس القريب، كما لجأ لتجارة الكتب فاشترى بعض الكتب التي عرضتها الحكومة للبيع بأثمانٍ بخسةٍ، وأعاد بيعها فربح من ذلك ما يعينه على العيش... ثم جاء انفراج حاله من حيث لم يحتسب مع تولي الخديوي إسماعيل حكم مصر حيث تذكر رفيقه في بعثة الأنجال وأوكل إليه مهام عدة منها التنظيم العمراني للقاهرة على النمط الحديث وشق الشوارع وبناء الميادين وإمدادها بالمياه وإنارتها... حقاً أسرف إسماعيل في ذلك، ولكن القاهرة وقتها كانت مدينة خالية من كل مظاهر الحياة الحديثة، كما أوكل إليه نظارة القناطر الخيرية كما عادت له نظارة المدارس من جديد، وله عدة مؤلفات أشهرها الخطط التوفيقية تلك الموسوعة الشاملة التي لا غنى عنها لأي باحث في تاريخ الشوارع والعمائر الإسلامية في مصر، كما أنشأ دار العلوم لجمع علوم اللغة والدين والعلوم الكونية وصهرها في بوتقة واحدة لإعداد المعلمين النابهين القادرين على إدارة العملية التعليمية في البلاد.

وهكذا شاء الله أن يتحول الهارب من التعليم بالأمس إلى رائد للتعليم والعمران في بلاده..

المثال الثالث: وهي يخفى صاحب الكتاب عن مهب الصدف؟! أفشي لكم أمراً عني.. الكثير من أصدقائي كانوا يسألونني لماذا تضع اسمك د. محمد فتحي عبد العال، وتحدث فجوة بينك وبين قارئك، فالمناسب أن تكون في حديثك لا فرق بينك وبينه، وقد وضعت مقعدك جواره وتتسامران معاً على صفحات يقرأ عقلك وتتفهم تساؤلاته وتبادر بالإجابة عليها.

وفي كل مرة كان عليّ أن أبرز أسبابي وأنّ اسمي هو السبب.. دائماً ما أختار عنواناً لكتابي لم يطرق من قبل لا رغبة في التفرد، ولكن بعداً عن الصراعات الفارغة التي تستهلك النفس وترهق البال، لكن مع اسمي لم يكن الأمر سهلاً كعناوين الكتب.. اسمي الرباعي هو "محمد فتحي عبد السيد عبد العال".

طبعاً لو استخدمت اسمي "محمد فتحي" فأمامك آلاف يحملون هذا الاسم، والخلط سيكون كبيراً ولو قلت: "محمد فتحي عبد العال" فهناك العديد أيضاً، وأقربهم صديق صحفي لي، بل لقد أرسلت لي إحدى المذيعات تستفسر إن كنت أمت بصلة لأحد مخرجي التليفزيون، لذلك أقرنت اسمي على غير رغبة مني بدكتور.

سيقول قائل: لمَ لا تستخدم اسمك الأوسط "عبد السيد"؟! وهل فاتني هذا يا قارئي العزيز؟! استعملته وكثيراً في صفوف الدراسة، وسبب لي مشكلات لا حصر لها، ففي الورقيات يكتب "عيد السيد" أو يتطوع موظف فيحذف "عبد" وتصبح "السيد" فقط، أأخبرك بأمر مضحك أنّ موظفاً استبدله ذات مرة بـ "عبد الستار"، فقلت له: لماذا؟ قال لي: هذا الاسم لا يجوز؟! ومن قرأ أو نطق الاسم صحيحاً فخذ عندك من

التندر والفكاهة ما لا أذن سمعت ولا عين رأت ما زلت أتذكر مدرس الرياضيات في المرحلة الإعدادية حينما سمع اسم جدي لأول مرة وقوله في وسط الفصل: "أنت مسيحي وإزاي اسمك محمد؟!".

حينما بلغت قررت أن أتحايل على نطق الاسم وأن أدعي أن نطقه الصحيح هو عبد (السَّيِّد) وليس عبد (السيد) بكسر السين، وقد ساعدني على ذلك اتساع ثقافتي الدينية مع دخول الجامعة، ووجدت الملاذ الآمن في حديث عبد الله بن الشخير: (انطَلَقتُ في وَفدِ بني عامرٍ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقُلْنا: أنتَ سيِّدُنا. قال: السيِّدُ اللهُ تبارَكَ وتعالى. قُلْنا: وأفضَلُنا وأعظَمُنا طَوْلًا. قال: قولوا بقَولِكم، أو بعضِ قَولِكم، ولا يَسْتَجرِيَنَّكم الشَّيطانُ -وفي روايةٍ: لا يَسْتهوِيَنَّكم الشَّيطانُ- أنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ، عبدُ اللهِ ورسولُه، ما أُحِبُّ أنْ تَرفَعوني فوقَ منزِلَتي التي أنزَلَني اللهُ عزَّ وجلَّ.) وبالتالي فالسيد من أسماء الله وهي الحجة التي استندت لها أمام أحد أساتذة الجامعة الذي استغرب اسم جدي في امتحان الشفوي.

بالمصادفة وأنا أقلّبُ في أوراق جدي القديمة والمحتفظ بها والدي العزيز وجدت وثيقة نادرة تخص القضية نمرة **29** لسنة **1924**م بشأن جدولة تركة المرحوم "عبد العال أحمد عضمة" من الميمونة (والد جدي) حيث عقدت الجلسة بديوان المحكمة الأهلية في **27** يناير **1924**م برئاسة حضرة علي بيك عاصم القاضي، وبحضور حضرات فضيلة الأستاذ الشيخ محمود خيرت راضي القاضي الشرعي والشيخ سالم شرف الدين عضو أعيان وأحمد (...) زيد كاتب الجلسة حيث إنّ مديرية الشرقية طلبت بإفادتها نمرة **4546** أخذ رأي المجلس نحو صرف مبلغ **324** قرش قيمة متجمد معاش المرحوم عبد العال أحمد عضمة إلى ورثته وتعيين وصي على القصر

"عدلي وحسب النبي وعبد الحسيب وعبد الله" لقبض المعاش وانتهت الجلسة بتعيين خضرة بنت حسن علي وصية على أولادها القصر والتصريح لها بصرف متجمد المعاش.

يا إلهي: أين اسم جدي؟! فجميع المذكورين أخوة لجدي ما عدا عبد الله؟! إذاً لعل عبد الله هو اسم جدي الحقيقي فمن يسمى "حسب النبي" متجنباً "عبد النبي" لن يقع في تسمية ابنه الآخر (عبد السيد) هكذا يقول المنطق، ولكن الحياة لا تدور غالباً في فلك المنطق.. لعلّ سرّاً غريباً وراء المسألة، وأنّ جدي وكان أمي لا يقرأ ولا يكتب كان لا يعرف اسمه الحقيقي وغلبت عليه هذه التسمية دون أن يدري خاصة أنه احتفظ بهذا الورق سنين طويلة دون أن يحاول أن يستخدمه أو يطلع عليه أحد.. لكن يبقى احتمال أخير وهو أنه خطأ كاتب المحكمة في نسخ الحكم لذا كان عليّ أن أبحث بين جنبات مجلة الأحكام الشرعية لأطلع على الحكم، ولكن للأسف حاولت مراراً دون جدوى.

من الأمور التي أثارت شهيتي نحو البحث وجود كفر يسمى بكفر أبو عضمة من البلاد الحديثة وكان من توابع مدينة فارسكور التابعة لمديرية الدقهلية وقتها، ثم فصل عنها عام **1259**هـ، أي بين عامي **1843** و**1844** م، لكن في العصر الحديث صدر قرار الرئيس جمال عبد الناصر رقم **525** لسنة **1966**م، بإلغاء كفر "أبو عضمة" وضمه لنطاق مدينة فارسكور ليصبحا مدينة واحدة تابعة لمحافظة دمياط.. ترى هل ثمة أصول تجمع هذا الكفر بوالد جدي ربما نعم وربما لا؟! سأبحث وأبحث حتى وإن لم أصل لشيء في هذه الوجهة فسأجد وجهات أخرى مفيدة وهذه

متعة البحث في التاريخ فلن تخرج أبداً خاسراً في أي مغامرة تاريخية عبر سطوره وكتبه.

في بداياتي كنت أسمع من عائلة أمي أن باسم رأس عائلتهم (زردق) مسجداً في الموسكي بسوق الخضار.. الحقيقة كان أمراً يدعو للزهوّ، ولم أدقق هذه المعلومة إلى أن بدأت أتعلم طرق البحث والمقارنة فبدأت أبحث عن مصدر المعلومة فوجدته كتاب الخطط التوفيقية لعلي مبارك الجزء الأول صفحة **3** ولم تحمل الصفحة سوى هذه العبارات القصيرة: "(جامع زردق)، هذا الجامع بشارع سوق الخضار بالموسكي جدده المرحوم عبد الرحمن كتخدا كما في تاريخ الجبرتي ووثائق وقفيته وبأعلى بابه على لوح من الرخام هذا البيت: "سما مسجداً والفوز أرخه حوى.. فأتقن يا رحمن عبدك مسجداً".

طبعاً حاولت كثيراً البحث عن أصل زردق وماذا جاء به لهذه المنطقة ومنزلته إلى حد بناء مسجد باسمه، فلم أجد شيئاً فقررت أن أعود لكتاب الخطط التوفيقية أدقق فيه مرة أخرى فوجدت مفتاح المسألة حينما عثرت في صفحة **81** من الجزء نفسه على هذا النص: "وعطفة سوق الخضار بأولها الجامع المعروف بجامع الشيخ زروق جدده المرحوم عبد الرحمن كتخدا" إذاً الأمر بلا ريب تصحيف، وأن ناسخ الكتاب وقع في خطأ فكتب "زردق" والصحيح "زروق" وشتان بين الاسمين، فالأول لا يعرف أصوله على وجه التحديد أما الشيخ زروق فهو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بـزرّوق الفقيه المالكي صاحب الشروحات المعتمدة عند المالكية وقد كان إماماً لها ومرجعاً في المذهب وقد قضى شطراً من حياته بمصر يلقي الدروس بالجامع الأزهر، وكان يحضر دروسه جمع غفير من الناس وله كتب

عديدة في التصوف منها: (ستة وثلاثون شرحاً على الحكم العطائية (لابن عطاء الله السكندري)) و(قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة) ويسمى الجامع حالياً بجامع (الشواذلية).

ولا أخفي عليكم أني أخرت خروج هذا الكتاب للنور حتى أحصل على إجابة شافية بشأن مسألة جدي وأصل والده، لكن داهمني الوقت المخصص وكان لزاماً أن أدفع به للنشر قبل إجازتي الصيفية في مصر.. لكن يظل بيننا الوعد إن كان بالعمر بقية أن أحدثكم بما وصلت له ذات يوم!

أما عن الميمونة (يخلط البعض بينها وبين قرية الميمون إحدى قرى مركز الواسطى في محافظة بني سويف) وقت أن عاش بها والد جدي وأصله كما يزعم البعض من القنايات (اسمها القديم القينيات نسبة لقنوات من الحجارة الصماء كان يعصر فيها العنب قديماً)، فهي من القرى الضاربة في القدم، حيث وردت باسم "المأمونة" في أعمال الشرقية ضمن قرى الروك الناصري التي أحصاها الشيخ الإمام شرف الدين يحي ابن المقرا ابن الجيعان في كتاب (التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية) وكانت مساحتها **1200** فدان وبها رزق **75** فدان عيرتها **5700** دينار، ثم استقرت **4000** دينار، بحسب الكتاب السابق وفي العصر العثماني وردت باسم "المأمونة" في التربيع العثماني الذي أجراه الوالي العثماني سليمان باشا الخادم في عصر السلطان العثماني سليمان القانوني ضمن قرى ولاية الشرقية، وحدث تحريف في اسمها حيث وردت باسم "الميمونة" في مسح محمد علي باشا لقرى مصر في عام **1228**هـ/**1813**م ضمن قرى الشرقية.

وبحسب كتاب "دليل الشرقية في وصف بلاد المديرية" تأليف سعودي چلبي طبع بمطبعة علي أحمد سكر بشارع محمد علي بمصر 1319 هجرية (بين عامي 1901-1902م): "الميمونة وخلوة الشعراوي (كان يمتلك والد جدي فيهما أرضاً بالفعل) فهما في شمال كفر بني قريش وفي حدود مديرية الدقهلية وعدد سكانهما 1225 نسمة وزمامهما 892 فدان وكسور منها 866 فدان و7 قراريط و23 سهم تزرع مربوط أموالها السنوي 1192 جنيه و25 مليم والباقي تالف ومنافع عمومية وبهما من النخيل 170 نخلة مربوط أموالها السنوي 4 جنيه و250 مليم، وأشهر عزبهما عزبة ورثة إسماعيل باشا صديق (عقود شراء والد جدي التي أملك نسخة نادرة منها تشير لهذه العزبة) وأطيانهما تروى من بحر الخزان وبحر بندق ومتوسط ثمن الفدان من 50 إلى 60 جنيه ويبعدان عن المركز بمسافة 2 ساعة وأقرب طريق لهما محطة الجديدة واسم عمدة الميمونة الشيخ قمحاوي إبراهيم أما خلوة الشعراوي فهي مضافة لعمدية العقدة".

وحتى نستفيد معاً من هذا المبحث ولا يكون أمراً شخصياً بكتاب مفترض أن يكون عاماً فلنتخذ من قرية "الميمونة" مثالاً لقرية مصرية في بدايات القرن الماضي نرى تعدادها السكاني وحجم التعليم فيها والتنوع الديني بها.. بحسب كتاب "تعداد سكان القطر المصري سنة 1907م الصادر عن نظارة المالية بإدارة المستر لويس مدير عموم مصلحة التعداد (وهو من رجال الخدمة الملكية بالهند). طبع بالمطبعة الأميرية بمصر 1909م": يبلغ عدد المنازل المأهولة 285.. مجموع النفوس 1596

(عدد الذكور **851** وعدد الإناث **745**) فيما يخص القراءة والكتابة فعدد القارئين الكاتبين **92** فقط جميعهم ذكور فيما يخص التركيبة الدينية فعدد المسلمين طبقاً لنفس الإحصاء **1496** وعدد الأقباط مائة جميعهم أرثوذكس علاوة على اثنين عرب.

الواضح أن الربط التعدادي والمالي بين القريتين قد انتهى مع فصل خلوة الشعراوي عن الميمونة بالقرار المالي رقم **14** لسنة **1934**م بحسب كتاب "الدليل الجغرافي لأسماء المدن والنواحي المصرية المعتبرة وحدة عقارية لحصر الأراضي وتحصيل الأموال المقررة والصادر عن مصلحة المساحة -وزارة المالية **1941**م".

التحول في القرية بعد ثورة **1952**م يمكن سبر خيوطه العريضة عبر بحث بسيط على خدمة كتب جوجل مما يقودك إلى معلومات تبدو متناثرة لكنها معبرة منها أن تعداد القرية كان عام **1963** م بحسب عدد المصور (شهر إبريل) يبلغ ثلاثة آلاف نسمة وأن رياح التنمية الصناعية الريفية وتعليم المرأة الريفية القراءة والكتابة قد شملتها في العهد الاشتراكي الناصري، وذلك عبر الحوار الذي أجرته المجلة مع الفلاحة الفائزة فيها (فتحية متولي الخولي).

كما تستطيع أن تكتشف أنّ تحولاً قد حدث في مستوى التعليم بالقرية حينما تطالع قصة (ضاعت المسؤولية) للطالب بالثانوية العامة (عبد الرحيم طاهر على سعدة) بمجلة الثقافة مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون تصدر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي في يوليو **1963** م...

11- من أدب الرحلات العلمية:

دأبي دائماً التأكيد أن الملك فؤاد هو مؤسس النهضة التعليمية في مصر لدرجة لا مثيل لها عبر التاريخ المصري وأن هذه النهضة التعليمية تستحق تسليط الضوء عليها ووضعها تحت المجهر للاستفادة من دروسها التي يمكن أن تقود تقدم ونهضة مصر يوماً ما.

ولأني ناقشت هذا المبحث على مدار كتب سابقة عدة يمكن العودة إليها فإني أتوقف هنا عند رحلة علمية فريدة وهي البعثة الزراعية التي أرسلها الملك فؤاد إلى جاوة وسنغافورة وجزيرة سرنديب (سيلان) لدراسة النباتات بها، واستجلاب ما هو مفيد منها للزراعة بمصر.

كانت البعثة بناء على توصية من الدكتور "فان ليفن" المدير السابق لحديقة النباتات ببوبتنزرج بجزيرة جاوة بعد قدومه لمصر بناء على دعوة الملك فؤاد الذي كان يسعى لتحسين نطاق الزراعة ولقائه به في الإسكندرية، ثم زيارة ليفن إلى الأقصر وأسوان فوجد أن بيئة مصر مناسبة لنمو نباتات المناطق الحارة وأن هذا يعود بالنفع على مصر حيث يمكن تصدير نباتات في القصارى كالنخيل والنباتات الزهرية إلى أوروبا.

تبنى الملك فؤاد التوصيات وفي 4 سبتمبر 1933 م سافرت بعثة على حساب وزارة الزراعة من بورسعيد مؤلفة من ثلاثة هم صاحب العزة محمود بيك توفيق حفناوي عميد كلية الزراعة بصفته رئيساً للبعثة، وبعضوية الأستاذ عبد الغني صبحي الاختصاصي بقسم البساتين بالجيزة، وإبراهيم عثمان المدرس بكلية الزراعة

والأخير هو واضع كتاب "بعثة زراعية إلى جاوة وسنغافورة وسيلان"، والذي اعتمدنا عليه في هذا المبحث وله أيضاً كتاب تاريخ فلاحة البساتين بمصر **1935** م.

وينقل إبراهيم عثمان في كتابه اهتمام شركتي بواخر نيدرلند وروتردام لويد الهولانديتان بالبعثة وعدم قبولها أي أجر نظير نقل النباتات التي حملتها البعثة من جاوة إلى مصر، وكذلك أبدت حكومة جاوة نفس الاهتمام فانتدبت من موظفيها من رافق البعثة وساعدها في جمع المعلومات كما أعطيت النباتات والبذور للبعثة دون مقابل...

هذه هي المكانة التي تليق بمصر حينما تسعي للعلم والتطوير والتقدم..

وتعد هذه البعثة من أوائل البعثات التي يتم فيها الاعتماد على العنصر المصري بالكامل إذ سبقها بعثة زراعية في عهد محمد علي باشا إلى الهند قام بها المستر (تريل) الاختصاصي الإنجليزي في فلاحة البساتين كما أرسل إبراهيم باشا المسيو بوفيه عام **1830** م إلى بلاد العرب لجلب نباتيّ البن والقات.

12-حديقة الحيوان بين الأمس واليوم

في العدد (**101**) من مجلة المصور في **17** سبتمبر **1926**م، تحدثت عن حديقة الحيوانات باعتبارها المصلحة العمومية الوحيدة التي تتألف هيئتها (في المجلة "هيأة" من أخطاء زمان) من المصريين فقط وهي تعد ثالث حديقة في العالم بعد لندن وبرلين، ولكن المأمول بحسب المجلة أن تتبوأ بعد سنة أو سنين المقام الأول بين مثيلاتها! فهل هذا تحقق؟! احفظ السؤال لديك وتعالى نكمل معاً.

حملت المجلة في عددها النادر صورة الدكتور إبراهيم بيك قدري مدير حديقة الحيوانات (أول مدير مصري لها بعد مستر بورمان) وتحدثت عن صفقة حيوانات عن طريق المبادلة مع الهر "هاجنبك" الألماني وصناعته الاتجار في الحيوانات حيث يمتلك مدرسة لتدريب الحيوانات على ألعاب السيرك والفرق ومن الحيوانات التي انتقلت للحديقة: سبع البحر وشيخ البحر وحيوان أرماديلو (المدرع) والكوتي (يشبه الثعلب) والسمبر (أيل المستنقعات) ومن الطيور الجديدة "البطرق" ويسمى "بنجوين" ويشبه النورس..

نعود لسؤالنا: هل تحققت أمنية المجلة وقد مضى ما يقرب من مائة عام على تاريخ هذا العدد؟!

في عام **1871** م جاء ميلاد فكرة بناء حديقة الحيوانات على مساحة **30** فداناً وفي عام **1875**م كلف الخديوي إسماعيل المهندس جوستاف إيفل بعمل كوبري معلق داخل الحديقة التي كانت حينها جزءاً من قصر الجيزة وقد حمل الكوبري شعار الخديوي إسماعيل وتزينه ثلاث نجوم، وأسفله هلال ونجمة ويعلوه التاج الملكي وفي عام **1891**م كان الافتتاح في عهد الخديوي توفيق وحملت الحديقة اسم "جوهرة التاج لحدائق الحيوان في أفريقيا".. واستمر الاهتمام بها في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني (انظر كتاب نوستالجيا الواقع والأوهام) وفي عهد الملك فؤاد (راجع ما أسلفنا في عدد المصور كمثال) وكذلك في عهد فاروق إذ كانت متنزهاً له ولبناته وبعد ثورة **1952**م تولى أمرها اللواء عبد الله باشا النجومي السوداني الأصل وياور

الملك فاروق، ثم محمد نجيب فجلب لها أغلب الحيوانات المفترسة من براري أفريقيا والسودان حتى أصبحت ثالث حديقة عالمية في اقتناء الحيوانات والطيور النادرة..

في العهد الملكي كانت الثقافة بالحيوانات في أوجها وهذا ما تعكسه كتابات هذا العهد فنجد كتاب "الطيور المصرية" تأليف عبد الله النجومي باشا والدكتور حسين فرج زين الدين مفتش بوزارة المعارف العمومية والدكتور محمد عبد المنعم المنيري اختصاصي بحديقة الحيوان والدكتور مصطفى كمال فايد مدرس بكلية التجارة **1950** م وكتاب "تربية الخيول العربية" تأليف حضرة صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي ضمن إصدارات الجمعية الزراعية الملكية "تأسست **1898**م تحت رعاية حضرة صاحب الجلالة الملك" ومنها كتاب "الطيور المنزلية والأرانب" تأليف الدكتور محمد عسكر بيك ناظر مدرسة الطب البيطري ومدير قسم تربية الحيوانات (سابقاً) **1934** م وبالكتاب صور نادرة لأشكال الذبح فمثلاً ذبح الطيور في القاهرة بمعرفة الحاخام لليهود بينما ذبح الطيور في منازل المسلمين بواسطة السيدات يذبحن بأنفسهن.

وزارة المعارف العمومية لم تكن بعيدة عن هذه المباحث العلمية فنجد "رسالة في فحص الجمل من حيث سلامته وخلوه من العيوب مع شرح خاص لسنه تأليف د.س. رابلياتي مدير معمل السيرم بوزارة الزراعة الحائز على نيشان الإمبراطورية البريطانية وبكالوريا العلوم وزميل بكلية الأطباء البيطريين الملوكية وصاغ بالقسم البيطري بالجيش البريطاني سابقاً. عَرَّبه حضرات عبد العزيز نعماني أفندي وعبده إبراهيم أفندي وحسن فاضل أفندي الأطباء البيطريين"**1935**م.

ومن الكتب الطريفة عن الحديقة في عصرها الذهبي: كتاب "حديقة الحيوان - وصف- نقد- خطرات نفس" تأليف محمد إسماعيل إبراهيم دبلوم المعلمين العليا ومدرس آداب بمدرسة الظاهر الأميرية -دار الطباعة الأهلية **10** شارع نوبار بمصر -الطبعة الأولى **1931**م والكتاب يتضمن وصف وجولة في الحديقة وحديث عن الحيوانات مثل الأسد والنمر والفيل والقرد وعن مقصف الحديقة وبرلمانها وأشجارها.

كانت حدائق الحيوان المصرية في الماضي وبحق واجهة حضارية تليق بصورة مصر الحديثة، فكانت مكاناً للترفيه لملك مصر فاروق وبناته في طفولتهن، وبحسب مجلة الاثنين والدنيا عدد **692** في **15** سبتمبر **1947** م، فقد شهدت حديقة الحيوان بالإسكندرية زيارة صاحب السمو الملكي الأمير طلال ولي عهد المملكة الأردنية الهاشمية وقتئذ بصحبة نجليه ومن المعروف أن نجله الملك الحسين بعد ذلك قد تلقى تعليمه في كلية فيكتوريا بالإسكندرية.

كما استضافت حديقة الحيوان بالجيزة لقاء الرئيس محمد نجيب بالعقيد السوري أديب الشيشكلي قبل فترة وجيزة من تولي الأخير الحكم في بلاده بشكل رسمي حيث تناولا الغداء في جزيرة الشاي، وذلك بحسب مجلة الجيل الجديد العدد **51** في **15** ديسمبر **1952** م..

هكذا كانت بداية الحديقة وأزمنة عزتها أما نهايتها فكتبت في عهد الرئيس مبارك حيث شهدت الحديقة في عهده عزف متواصل لكوميديا سوداء من نوع فريد حيث اللا مبالاة والإهمال الجسيم ففي عام **1990** نفقت السلحفاة العملاقة (الفيل)

وتحدثنا عنها في هذا الكتاب وعمرها **288** عام، وقيل وقتها: إنّ السبب إصابتها بأعراض الشيخوخة وهي تتعدى عمر أكبر سلحفاة في العالم حالياً والمسماة "جوناثان" والبالغة نحو **190** عاماً. وفي عام **1993** قتل حارس بواسطة أسدين بعد أن ترك باب قفصهما مفتوحاً كما داس فيل على أحد حراسه وقتله قيل بسبب المعاملة السيئة وفي عام **1998** تم إغلاق متحف الحيوان وبين عامي **2003** و**2004**م خرجت مصر وحديقة الحيوانات بالجيزة من تصنيف الاتحاد الدولي لحدائق الحيوان «الوازا» (**WAZA**) بسبب تجاهل توصيات الاتحاد وعلى رأسها الاهتمام بنظافة الحيوانات وشكلها ومعاملتها بالشكل اللائق وعدم ربط الأفيال بالسلاسل المعدنية وضرورة تحصين الحيوانات خاصة النادرة من الأمراض والتي أدت لنفوق عدد منها بالفعل.. ومع تفشي أنفلونزا الطيور في مصر أغلقت حديقة حيوان الجيزة عام **2006** م لمدة ثلاث أشهر.

لقد كنت شاهداً على الرائحة الكريهة المنبعثة من الحديقة وتدني مستوى النظافة داخلها وخارجها حينما كنت بمرحلة الماجستير وكنت آتي إلى جامعة القاهرة بجوارها أحياناً..

ويعد عام **2013** م هو العام الحزين للزرافات في الحديقة حيث انتحرت الزرافة "روكا" بسبب الإهمال، وقيل: بسبب سوء معاملة الزائرين كما أصيبت الزرافة "سنسن" بالاكتئاب فامتنعت عن إرضاع صغيرها "عزيز" ومع محاولات الحديقة إرضاعه بلبن السرسوب البقري لزيادة كفاءة جهازه المناعي إلا أنه أصيب بالإسهال الشديد ونفق عام **2016**م، مما زاد من اكتئاب الزرافة "سنسن" وتم جلب عريس لها

هو "زيزو" من جنوب أفريقيا عام **2020** م ، لكنه نفق بالإهمال بعد قدومه بوقت قصير كما شهد عام **2019**م نفوق آخر أفيال الحديقة وهي الفيلة "نعيمة" بجلطة دموية.. وتسعى حالياً الحكومة المصرية لتطوير الحديقة بشكل كبير.

الإهمال لم يكن وحده سيد الموقف فبحسب تقارير صحفية لبوابات الأهرام والوطن المصريتين والوطن العمانية في يناير **2018**م فقد أعلنت صالة المزاد (روى) في نيو أورليانز الأمريكية لبيع التحف والأنتيكات يوم **27** أكتوبر **2016**م عن عرضها لغرفة نوم الملك فاروق للبيع بمبلغ بـ ٩٨٥ ألف دولار، وعرضت الدار عدة مشاهد مصورة على "اليوتيوب" لمكونات الغرفة التي يرجح أن تاريخ صنعها يعود لعام **1870**م، وهو ما يعني في حالة صحة ذلك أنها صنعت للخديوي إسماعيل وليس لفاروق وهي إحدى إبداعات مصمم الأثاث الفرنسي الشهير"أنطوان كريجر"، حيث صممت على النهج الإمبراطوري الفرنسي من سبع قطع مصنعة من خشب الماهوجني ومطعمة بحليات من النحاس المشغول المطلي بالذهب. هذا المزاد جعل البعض يتكهن بأنّ الغرفة المعروضة هي الغرفة الملكية ذاتها بحديقة الحيوان بالجيزة التي أعلن وزير الزراعة واستصلاح الأراضي الأسبق أيمن أبو حديد عام **2013**م، عن اختفائها من الاستراحة الملكية بالحديقة والمفترض أنها مغلقة منذ عام **1986**م، واستبدالها بغرفة حديثة تم جلبها من محل أثاث بالقرب من الحديقة ودارت الشكوك حول وزيرين أقاما بالغرفة قبل إغلاقها أحدهما بمفرده والآخر مع أسرته، وأن إحدى زوجتي الوزيرين لم يرق لها أثاثها

خاصة حجرة النوم، فحدث هذا الإبدال واختفت غرفة النوم عن الأنظار من وقتها..

بعد ظهور فيديو المزاد سارعت وزارة الزراعة إلى التنصل من المسؤولية، فأكد مدير الحديقة أن لا وجود لاستراحة ملكية من الأساس وأن الموجود استراحة حكومية غرف نومها عادية وغير مسجلة كآثار ومساحتها حوالي **17** م^2، ولا تسمح باستيعاب مكونات حجرة النوم التي ظهرت بالمزاد والتي تحتاج مساحة أكبر وأن تحقيقاً تم إجراؤه عام **2013** م، وأحيل الموضوع إلى النيابة الإدارية وقيده بالقضية رقم **715** لسنة **2013**، وثبت عدم صحة الموضوع وتم حفظه..

الملك السابق أحمد فؤاد الثاني حمل الحكومة المصرية المسؤولية عن سرقة الغرفة وحثها على حماية إرث أسرة محمد علي باشا التاريخي والثقافي بالمتاحف..

13-عاقبة الظالمين

جاء في مجلة المحيط (علمية- زراعية- فكاهية -مصورة -تصدر مرة في الشهر لمنشئها عوض واصف) في عددها الثاني بتاريخ أول فبراير **1906**م قصة شديدة الطرافة تحت عنوان "المظالم المصرية الغابرة-صفحة مطوية من ربع قرن - داود باشا في قنا وأهالي البعيرات بجوار الأقصر - عقبى الظالمين".. خلاصة القصة عن بلدة صغيرة اسمها البعيرات بالقرب من القرنة لا يتجاوز عدد سكانها **800** نفس عام **1879**م، وتقريباً هذابعام الواقعة ذاته، وكانت تتبعها جزيرة صغيرة في النيل مكونة من **20** فداناً، هم رأس مال ومصدر رزق فلاحي البلدة ومن يعولهم.. طمع

أحد موظفي الأقصر في امتلاك هذه الأراضي جورا بمساعدة داود باشا مدير قنا وكان بينهما ود وهداه تفكيره إلى حيلة شديدة الدهاء للاستيلاء عليها دون أن يدفع ثمنها لأصحابها.. استغل الرجل أمية أهل القرية وهي سمة في كل قرى مصر تقريباً في بدايات القرن المنصرم واتفق مع الصراف وبعض الحكام أن يدفع ما تأخر على أهالي تلك القرية من الأموال الأميرية مقابل عقد مبايعة يختم عليه أهل القرية دون أن يعلموا بحقيقة البيع وانطلت الحيلة على البسطاء، وفقدوا مصدر أرزاقهم.. طبعاً إخلاء الأراضي من أصحابها، وتمكين المالك الجديد سبب ثورة عارمة بالقرية التي أصاب أهلها الذهول وسط هرج الرجال وصراخ النساء وعويل الأطفال، وحتى يتلاشى المالك الجديد المصادمات المباشرة مع الأهالي والتي لا قبل له بها؛ فأرسل لداود باشا يتهمهم بالعصيان؛ فأسرع الأخير بالقبض على ثمانين منهم، وأوقع بهم أشد صنوف العذاب.

كان داود باشا بحسب الصورة التي رسمتها عنه المجلة غشوماً ظلوماً يتلذذ بمشاهد التعذيب ومناظر الدماء ومن لا يقدر على قتله كان يضع في عينه "ششم" فيعميه ويشبه المقال الرجل بنيرون في شغفه بحرق البلاد ودومتيانوس الذي إن لم يجد من يقتله يعمد لقتل الذباب.

وكانت سجون قنا في عهده "سلخانة بشرية" وكانت تنعت بقبر داود إذ أن الداخل إليها ولو لسبب بسيط قلّما يخرج حياً ومآله الوحيد القبر..

عظم الأمر على بعض أهالي البلدة ومنهم مصطفى آغا عياد، فأرسل شكوى واسترحاماً للسير إدوارد مالت القنصل الإنجليزي في مصر لإنقاذ الثمانين شخصاً المعتقلين قبل أن يلقوا حتفهم وطلبوا في الخطاب حِفظَ أسمائهم سراً خشية بطش

داود باشا بهم إن عرف بأمرهم، لكن القنصل نقل الخطاب كاملاً بحذافيره إلى الخديوي توفيق باشا وكانت البلاد في بدايات حكمه فأرسل سلطان باشا إلى قنا للتحقيق واستجلاء الأمر فثارت ثائرة داود باشا وخشي السيد بيك عياد نجل مصطفى آغا على نفسه وعلى أبيه ولامه على ما فعل، وكان الابن موظفاً تحت إدارة داود باشا وأضحى الناس في خوف وترقب مما ستسفر عنه الأيام وهم للموت أقرب من الحياة.

خرجت تحقيقات سلطان باشا في صالح الأهالي وأفرج عنهم وعمت الفرحة البلدة أما داود باشا فانتقم الله منه في أعز ما يملك وهو ابنه سليمان ضابط الجيش الذي اتهم بإحراق الإسكندرية إبان أحداث الثورة العرابية قيل: بأمر عرابي، وقيل: دون موافقته، وشنق على مرأى من أبيه ليذوق من الكأس نفسها التي أذاق منها غيره.. كما أصيب في أواخر حياته بمرض عضال وأصبح لا يأكل ولا يشرب إلا قليلاً، ويصرخ طوال الوقت من الألم "يتقلب بطناً إلى ظهر كما يتقلب المحروق على نار هادئة"، وتختم المجلة القصة بقولها: "يحسب الناس أن من ساء ينسى ومليك الملوك ليس بناسٍ".

14-الفرعون الصغير: ورثته ولعنته

جاء اكتشاف هوارد كارتر موقع مقبرة توت عنخ آمون في 4 نوفمبر 1922م ثم دخولها في 16 فبراير 1923م بدعم مالي من اللورد كارنافون كحدث عالمي كبير جعل من مصر محطاً للأنظار، وقد اعتبر الملك فؤاد هذا الاكتشاف فأل خير مع إعلان مصر مملكة مستقلة في العام نفسه في 15 مارس عام 1922م. الطريف هو

استخدام شركة سجاير "ماتوسيان" لاكتشاف مقبرة توت عنخ أمون في الترويج للتدخين وجوائز لمدخنيها تصل إلى أربعة آلاف جنيه مصري..

إذا ذكر هذا الكشف لابد وأن ترتبط به لعنة الفراعنة... الطريف أن إنكار هذه المسألة جاء مبكراً ومن هوارد كارتر ذاته ففي حوار مع مجلة المصور المصرية بفندق الكنتنتال نشرته المجلة في عددها **285** بتاريخ **28** مارس **1930** م، وصف لعنة الفراعنة بالخرافات السخيفة وأنّ لاوجود لها حتى في أساطير قدماء المصريين، وأنّ مثل هذه الأخبار الملفقة تسيء لمصر، وقد تسبب عزوف السياح عن المجيء لها، ويحكي واقعة طريفة حدثت له بأحد المحافل في لندن حيث تحدث أحد الأشخاص عن هذه اللعنة وسرد أسماء الشخصيات الذين طالتهم لعنة المقبرة، فسأله كارتر عما حدث لمستر كارتر؟! وكان الشخص يجهله تماماً فاندفع قائلاً: "إنه لقى حتفه قبل اللورد كارنافون بستة أسابيع" فضج الحضور بالضحك.. الجميل في الحوار أيضاً استبعاد كارتر لوجود قبر الإسكندر الأكبر تحت مسجد النبي دانيال..

كنوز مهولة خرجت أمام أعين العالم ويعود الفضل في تأمينها وحمايتها من العبث والسرقة لمرقص باشا حنا وزير الأشغال..

رافق الحدث أيضاً أغنية منيرة المهدية "ما يجبش زيي إن لف الكون.. إحنا أبونا توت عنخ أمون" من كلمات محمد يونس القاضي كما غنت نعيمة الصغيرة: "قوم هات لي بدلة لازم تكون... لونها بديع توت عنخ آمون" ووضع أمير الشعراء أحمد شوقي قصيدة لهذا الحدث الاستثنائي يقول فيها:

"يُضيء حجارةً، ويضوعُ طينَا
يُخالُ لروعة التاريخ قُدَّت

جنادله العُلا من طور سينا
وكان نزيلُهُ بالملْكِ يُدعى
فصار يلقَّب الكنز الثمينا
وقُوما هاتفين به، ولكن
كما كان الأوائل يهتفونا
فثم جلالة قرَّت، ورامت
على مرِّ القرون الأربعينا ".

على الجانب الآخر ظهرت حالات حول العالم تطالب بما أسموه "إرث توت عنخ أمون" ففي سبتمبر **1932** ظهر في مصر مواطن يدعى "إثناسيوس بقطر" من مدينة الواسطى بني سويف. أرسل للعديد من الدوائر والجهات العليا في مصر مطالباً بإرثه من الملك الراحل لقباً وممتلكاتا باعتباره الوريث الوحيد لحضرة صاحب الجلالة الملك توت عنخ آمون وكل ما خلفه الملك توت من ممتلكات يؤول إليه بموجب هذه القربى، وأن تتم مناداته بـ"صاحب السمو الفرعوني"، وأن يُباح له وحده "حق الإقامة في أي معبد من معابد آلهة أجداده الفراعنة، ليحيي فيه شعائرهم وعباداتهم" مهدداً بالصوم حتى تجاب مطالبه جميعاً دون إبطاء.

في التوقيت نفسه أيضاً وبحسب مجلة الدنيا المصورة في **26** أكتوبر **1932** فقد وصل إلى مدير المتحف البريطاني خطابان تحت العنوان نفسه "إرث الملك الفرعوني الراحل".. الخطاب الأول من مواطن إنجليزي، اسمه ج. ل. ستيوارت، يعيش في بلفاست كتب فيه: "أقرر لكم أنني الوريث الوحيد للملك المصري الشاب توت

عنخ آمون، وبناء على حقي الأكيد في ذلك الميراث، أرجو أن تبادروا لحفظ ما تحت أيديكم لحين حضوري لتسلمها، بعد إثبات شخصيتي ونسبي للملك".

أما الخطاب الثاني فكان من سيدة ادعت أنها زوجة الملك توت بتناسخ الأوراح وراحت تصف حياتها الخيالية وسط أبهة الملك بقولها: "طول الوقت أشعر أنني غريبة في الجو الذي أعيش فيه، ويخيل لي أنني كنت أحيا بين الخدم والجواري والعبيد، يقومون على خدمتي وعبادتي، وما إن رأيت صورة الملك حتى عادت إلى الخواطر الغامضة وتذكرت أنني كنت زوجة ذلك الملك الجميل، وأنه طالما داعبني وناداني بمعبودتي".

الطريف من بين هذه الادعاءات هي صلابة وثبات موقف "إثناسيوس بقطر" والذي عاد مجدداً للمطالبة بحقوقه في حديث نشرته صحيفة أخبار اليوم في **24** مارس **1945**م بالتزامن مع وعد من وزيرالمالية بتسوية تركة عرابي الضخمة (مشكلة تركة عرابي لم تكن في التعنت الحكومي وحده لضخامتها لكن لتعدد الورثة نظراً لزيجات عرابي المتعددة ما بين مصر وسيلان) فعاد ليطالب بإرثه هو الآخر من جده الفرعوني! حيث قال بحسب ما جاء في بوابة أخبار اليوم نقلاً عن العدد الأصلي: "سأقدم للبرلمان طلباً آخر أبين فيه مرة أخرى عدالة مطالبتي بميراثي وبلقب «صاحب السمو الفرعوني» بصفتي حفيد أسرة الفراعنة وسليل حكام مصر في أزهى وأمجد عصورها.. إن مستنداتي التي تثبت هذه المطالب، أعني أوراق البردي وغيرها، لا تزال محفوظة لدي، ولا أرى بأساً من أن أذكر هنا أني قضيت سنوات عديدة متنقلاً بين المعابد الفرعونية المختلفة في أسوان وكوم أمبر وأدفو، وبعد أزمة العلمين (نوفمبر عام **1942** م) حضرت إلى هذا المعبد الذي أقوم به على قمة جبل

عتاقة بالسويس وحضرت هنا لكي أقوم بمراسم الصلوات الفرعونية لإيزيس وأوزيريس وحورس، كي ينقذوا أرض «حم» المقدسة من ويلات الحرب الحديثة، وقد استمعت الآلهة لتضرعاتي فارتد العدو على أعقابه إلى غير رجعة. أنا لا أطالب بميراث جدي وباللقب الذي استحقه طمعاً في حطام الدنيا من مجد ومال، فقد بلغت من العمر عتياً واشتعل الرأس شيباً، وعلمتني الحياة أن كل ذلك هباء ويذهب مع الريح، بل أن منتهى أملي وغاية وجودي هو تعمير المعابد القديمة لتستعمل في الصلوات والعبادات وليس للفرجة وتمضية الوقت لكل من يدفع الرسوم المفروضة لذلك.. وأي عار أعظم من رؤية أقدام الأجانب تدنس قدس الأقداس في معابدنا؛ حيث لم يكن يسمح لغير فرعون مصر ورئيس الكهنة بالدخول عاري الأقدام حاسري الرؤوس".

السيرة الذاتية

د. محمد فتحي عبد العال (جبرتي الجائحة وعماد التاريخ)

من مواليد الزقازيق محافظة الشرقية بمصر عام 1982

المؤهلات العلمية:

1-بكالوريوس صيدلة جامعة الزقازيق 2004.

2-دبلوم الدراسات العليا في الميكروبيولوجيا التطبيقية جامعة الزقازيق 2006 .

3-ماجستير في الكيمياء الحيوية جامعة الزقازيق 2014.

4-دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية من المعهد العالي للدراسات الإسلامية 2017 .

5-شهادة إعداد الدعاة من المركز الثقافي الإسلامي التابع لوزارة الأوقاف 2017.

6-دبلوم مهني في إدارة الجودة الطبية الشاملة من أكاديمية السادات للعلوم الإدارية 2017.

7-شهادة برنامج أكاديمية زاد (علوم شرعية) بالتعاون مع الأكاديمية الإسلامية العالمية بكندا 2019.

المؤلفات الفكرية:

1-كتاب تأملات بين العلم والدين والحضارة -دار الميدان للنشر والتوزيع في جزئين 2019و2020 .

2-كتاب مرآة التاريخ-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2020 .

3-كتاب على هامش التاريخ والأدب -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2021.

4-كتاب جائحة العصر - دار النيل والفرات للنشر 2020 .

5-كتاب حكايات الأمثال -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع2021.

6-كتاب فانتازيا الجائحة-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.

7-كتاب صفحات من التاريخ الأخلاقي بمصر-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022 .

8-كتاب حكايات من بحور التاريخ -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2021.

9-كتاب حواديت المحروسة - دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.

10-كتاب من سجايا رمضان أسماء الله الحسنى- دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.

11-كتاب تانزاكو السعادة - دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.

12-كتاب على مقهى الأربعين- دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.

13-كتاب نوستالجيا الواقع والأوهام- دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2022.

14-كتاب تاريخ حائر بين بان وآن - دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2022.**

15-كتاب صفحات من التاريخ الإسلامي دروس وعبر- دار الوهيبي للنشر والطبع والتوزيع والإنتاج الفني والإعلامي -ابن معيط للطباعة **2023.**

16-كتاب سبحات من عوالم كوفيد -**19** الخفية –دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2022.**

17-كتاب رواق القصص الرمضاني –دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2023.**

الروايات والمجموعات القصصية:

1-رواية ساعة عدل-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2020.**

2-رواية خريف الأندلس-دار لوتس للنشر الحر **2021.**

3-المجموعة القصصية في فلك الحكايات -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2021.**

4-المجموعة القصصية حتى يحبك الله-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2022.**

5-مسرحية أقدام على جسر الشوك - دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2022.**

وقد شاركت الكتب بمعارض القاهرة والإسكندرية والسودان وإسطنبول وعمان وتونس.

الكتب الإلكترونية:

1- كتاب نسائم القلب (هايكو).

2- كتاب الزعيم وظليله.

3- كتاب السلطان وبناء المسجد الحرام.

4- كتاب القصة القصيرة في رحاب منتدى الضاد العربي (كتاب جماعي) إشراف الأستاذة الدكتورة وسام علي الخالدي. الصادر عن منتدى الضاد العربي في أكاديمية إثراء المعرفة، في منظمة الصداقة الدولية السويد، الدورة 2 من مسابقة القصة القصيرة "الكتابة موقف ومسؤولية" حزيران 2021م.

5- الكتب الإلكترونية المشتركة مع كتاب عرب آخرين:

- حكاياتي (مجموعة قصصية للأطفال مشتركة).

- لمحات أدبية (كتاب في التنمية البشرية مشترك).

- حكاية ومعلومة (مجموعة قصصية للأطفال مشتركة).

- نافذة على العلم -عصر الجينات (كتاب علمي مشترك).

- نافذة على العلم-زمن الجائحة (كتاب علمي مشترك).

- نافذة على العلم-قطوف علمية (كتاب علمي مشترك).

- نساء من التاريخ (كتاب تاريخي مشترك).

- نساء القصور على مر العصور (كتاب تاريخي مشترك).

- قطوف من الحضارات (كتاب تاريخي مشترك).

- حكايات من بحار المعرفة (مجموعة قصصية للأطفال مشتركة).

- رقائق من المعارف (مجموعة قصصية للأطفال مشتركة).

-درر المعرفة (مجموعة قصصية مشتركة).

تحت الإصدار:

هوامش على دفتر أحوال مصر

وقد ترجمت كتاباته إلى عدة لغات أجنبية هي الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والصينية واليابانية والروسية واليونانية والعبرية والتركية والفارسية والتشيكية والألمانية والفنلندية.

المشاركات في كتب جماعية:

أولاً: في مجال الكتب العلمية:

1-المشاركة في كتاب الأمن الصحي كأحد مهددات الأمن القومي والمجتمعي العالمي الصادر عن المركز الديموقراطي العربي ببرلين بألمانيا ببحث تحت عنوان "جائحة كورونا خيارات علاجية"**2020** .

2- المشاركة بمقال علمي تحت عنوان "نحو علاج ناجع لفيروس كوفيد **19**" في الكراس العلمي الإلكتروني لكلية النسور الجامعة بالعراق "مقالات تثقيفية خاصة بكوفيد **19**"**2021**.

3-المشاركة ببحث في الكتاب الجماعي الرابع لسلسلة الدراسات الاجتماعية - مجتمع الكورونا إلى أين التداعيات والرهانات الصادر عن مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية لجامعة **20** أوت **1955** سكيكدة الجزائر **2022**.

ثانياً: المشاركة في كتب جماعية في مجال القصة القصيرة والمقال:

1- كتاب ديوان العرب الجزء الثالث (المقال)-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2020.

2-كتاب أقلام عابرة (قصص قصيرة)-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2021.

3-كتاب صليل الحروف موسوعة أدبية الجزء الثاني (قصص قصيرة) -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع 2021.

4-كتاب سفراء الدهشة (قصص) -دار يسطرون للطباعة والنشر 2022.

5-كتاب قصتي لك (قصص قصيرة) -دار كيانك للنشر والتوزيع 2022.

6-كتاب على جناح الحلم (قصص قصيرة) دار لوتس للنشر الحر 2021.

7-كتاب حينما نطرق الأبواب (مقالات) دار لوتس للنشر الحر 2022.

8-كتاب افتراضي (قصص قصيرة) تحت إشراف دكتور عصام محمود أستاذ النقد الأدبي جامعة حلوان -دار السعيد للنشر والتوزيع 2022.

9-الكتاب الذهبي مئة قصة لمئة مبدع من 11 دولة -مؤسسة روز اليوسف 2021.

10-كتاب دفتر وقلم شموع عربية الجزء الثاني -دار جين للنشر والتوزيع-ليبيا

11-من إبداعات الملتقى قصص قصيرة -دار الملتقى للنشر والتوزيع 2020 .

12- عطر السرد في بلاد النيل (قصص قصيرة جداً) عبد الزهرة عمارة وجمعة الكندي- دار أمارجي للنشر والتوزيع بالعراق 2022 .

13-نقطة ومن أول الشغف-دار الزيات للنشر والتوزيع **2023.**

الجوائز والتكريمات التي حصل عليها:

1-صيدلي مثالي من الهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية **2017 .**

2-صيدلي مثالي من نقابة صيادلة الشرقية **2015** ودرعي نقابة صيادلة الشرقية ونقابة صيادلة مصر.

2-درع ملتقى ابن النيل الأدبي في القصة القصيرة **2021.**

3-شهادة تكريم ضمن الفائزين في مسابقة القصة القصيرة من مؤسسة روز اليوسف "مائة قصة لمئة مبدع من **11** دولة" في كتابها الذهبي **2021 .**

4-شهادة تقدير من نقابة صيادلة الجيزة ولجنة الثقافة والإبداع ضمن فاعليات مهرجان الإبداع الصيدلي الخامس **2021.**

5-درع التميز والإبداع من مجلة أمارجي العراقية **2018.**

6-شهادة تقدير من مهرجان الإبداع والمبدعين العرب في دورته الخامسة تحت رعاية دار جين للنشر والتوزيع بمدينة البيضاء في ليبيا في ديسمبر **2020.**

7- شهادة تقدير من نقابة صيادلة القليوبية ولجنة الثقافة والإبداع ضمن فاعليات مهرجان الإبداع الصيدلي السادس **2022.**

الحوارات واللقاءات:

1-لقاءات مع التليفزيون المصري برنامجي بالريشة والقلم وأنا من البلد دي.

2-لقاءات مع الإذاعة الفرنسية راديو مونت كارلو والإذاعة المصرية.

بالإضافة لعدد من اللقاءات الصحفية والإذاعية الأخرى .

المناصب التي شغلها :

1-رئيس قسم الجودة بالهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية سابقاً.

2- صيدلي ومسؤول إدارة المخاطر وسلامة المرضى ومؤشرات الأداء بمستشفى الفلاح الدولي بالرياض سابقاً.

3-كاتب وباحث وروائي مصري.

النشر الصحفي والمقالات بصحف عربية ودولية:

1- **الأهرام -الأهرام المسائي -روز اليوسف -الزمان -العروبة -الجمهورية**
2- **صوت الأحرار -الجديد-كواليس -الأمة العربية -الجمهورية**
3- **فيسانيا -صدى المستقبل**
4- **صحف للجاليات العربية بالغرب: أيام كندية بكندا وصوت بلادي بالولايات المتحدة الأمريكية**
5- **العراق: الموقف الرابع-مجلة المرآيا-بانوراما شباب-الصباح - الدستور- البينة الجديدة**

الموسوعات التي ورد ذكر سيرته وإسهاماته بها بين عامي 2019-2021:

1-موسوعة صحفيون بين جيلين -الجزء الثاني إعداد صادق فرج التميمي- العراق

2-مجموعة من أدباء العرب شهريار في بغداد سير ونصوص إعداد: د. زينب السوداني وعبد الزهرة عمارة -إصدارات أمارجي الأدبية العراق.

3-الفيصليون وما يسطرون سجنوه في كتاب-إصدارات الفيصل -باريس.

4-دليل آفاق حرة للأدباء والكتاب العرب الإصدار الثالث إعداد الشاعر محمد صوالحة والروائي محمد فتحي المقداد- الأردن.

5-الموسوعة الحديثة للشعراء والأدباء العرب الجزآن الخامس والثامن عن دار الرضا للنشر والتوزيع ودار الجندي للنشر والتوزيع- مصر.

كتب نقدية تناولت أعماله:

كتاب المغايرة والتجريب في السرد الروائي قراءات نقدية لروائيين عراقيين وعرب للأستاذ غانم عمران المعموري-دار أمارجي للطباعة والنشر.

6- أسماء لامعة في سماء المدينة – سيرة محمد فتحي عبد العال – إصدار **31** عن دار أمارجي للطباعة ولانشر – العراق.

****

قالوا عن كتاباته:

لقب الدكتور محمد فتحي عبد العال ب"جبرتي الجائحة" لتعدد كتاباته الشاملة حول هذه الفترة الفارقة من التاريخ الإنساني..

"لم أعرف د. محمد فتحي عبد العال شخصياً، لكنني عرفته من خلال كتاباته العلمية والأدبية والفلسفية مثقفاً شاملاً، يبرع فيما يكتب من موضوعات".

الكاتب الصحفي أسامة الألفي

"الدكتور محمد فتحي عبدالعال كاتب مصري برع في كتابة القصة القصيرة، في رصيده مؤلفات أدبية وفكرية عديدة وجوائز محلية وعربية، شاركت مؤلفاته في معارض القاهرة والإسكندرية والسودان وعمان وتونس وإسطنبول، وفق بين الإبداع والبحث العلمي".

صحيفة الرياض السعودية

"الإبحار في سير التاريخ ليس بالأمر السهل، بل فن يقتضي نوعًا من المهارة والخبرة التي تنمو داخل المؤرخ شيئاً فشيئاً، الأستاذ الدكتور محمد فتحي عبد العال، واحدٌ من هؤلاء الذين أتقنوا هذه المهارة من الإبحار، لكنه إبحار على طريق مغاير، والسباحة عكس التيار، ليروي لنا من قصص التاريخ ما غاب عن دفاتره، وذلك من خلال كتابه"" تاريخ حائر بين بان وآن.. تاريخ لم يرو وسير لم تدوّن"، الذي صدر مؤخراً".

بوابة الأهرام المصرية

تم بحمد الله تعالى

محتويات الكتاب

إهداء.....4
مقدمة..... 5
الفصل الأول..... 7
من ملفات حوادث وقضايا الماضي..... 7
الفصل الثاني.....79
متفرقات من أدب الرسائل والإهداءات والخطابة والاقتباسات وصنوف المديح الشعبية والنخبوية وأشكال الشكر وصور الرثاء ونماذج من لغو الحديث وغيرها في الزمن الماضي.....79
الفصل الثالث.....117
عامان من تاريخ مصر1948-1949 117
الفصل الرابع.....151
الصحافة زمان.. سيرة أخرى.....151
الفصل الخامس.....206
إعلانات من زمن فات 206
الفصل السادس.....216
من قصاصات كتب وصحف زمان 216
السيرة الذاتية 254
محتويات الكتاب.....265

هوامش على دفتر أحوال مصر

الدكتور

محمد فتحي عبد العال

الطبعة الأولى
1443 هـ 2023 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد
جوال: 00201211132879
00201030502390
E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر .